الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

العدد الثالث : رجب الأصب ١٤٢٩ هـ.ق

كلمة التحرير
النظرية المهدوية والتنظير على أساس الثقافة المهدوية
/ السيد رضى موسوي الجيلاني
الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه و معطياته التاريخيه
/ فاطمه خزرجي النجفي و مهدي النجفي
أهمية فكرة المنجي الموعود في اعتقاد أهل السنة
/ مهدي فرمانيان
الاسطورة الصهيونية المسيحية ودور المخلّص العالمي
/ محسن قنبري
المهدي المنتظر وهم الانتظار و همّ الفرج
/ خالد زهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية

العدد الثالث

رجب الأصب ١٤٢٩ هـ . ق

تصدر عن:

مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:

مسعود بورسيدآقايي

مدير التحرير:

رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:

آيةالله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور مسعود بورسيدآقايي، الدكتور رضي موسوي الجيلاني

المترجم:

ضياءالدين خزرجي

مدير الترجمة:

ابوالفضل نورمحمّدبور

تصميم والكرافيك:

رسول محمدي، علي قنبري

أَلسَّلامُ عَلَيكَ يا صَاحِبَ التَّدبير

فهرس المندرجات

كلمة التحرير ٣

النظرية المهدوية والتنظير على أساس الثقافة المهدوية ١٧
السيد رضي موسوي الجيلاني

الإعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه ومعطياته التار يخيه ٤٦
فاطمة خزرجي النجفي

أهمية فكرة المنجي الموعود في اعتقاد أهل السنة ٧١
مهدي فرمانيان

الاسطورة الصهيونية المسيحية و دور المخلّص العالمي ١١٠
محسن قنبري

المهدي المنتظر وَهْمُ الانتظار وهَمُّ الفَرَج ١٦١
خالد زَهْري

كلمة التحرير

قال عليه السلام: «**الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة.**»[1]

للأماني قدرة عجيبة في حياة الانسان، لأنها تفجّر الطاقات، وتنمّي الكفاءات، وتربّي الانسان.

شقت الشيعة طريقها في ظل الأماني، واتخذت لها منهجاً راقيا في الوعي والتعليم، وحملت أعباء المسئولية في فترات تاريخية عصيبة وصعبة، ولكنّها لم تتوقف عن الحركة، بل كانت تربى بالاماني كما قال عليه السلام: «**فعللنا بالاماني.**»[2]

و قد تمخّضت هذه التربية والاستعداد الشيعي من خلال مجرى الأحداث التاريخية، حيث اكتملت تلك الحركة الشيعية وازدهرت، ووصلت إلى ذروة البلوغ الاجتماعي والكمال.

ثم نقلت بذور تلك الأماني إلى الشعوب والمجتمعات البشرية التي عاشت القلق في وجودها، فطمأنتها ودعتها إلى استخدام المنهجية البناءة في تطبيق تلك الأماني في

حياتها للوصول إلى البلـوغ الاجتمـاعي والأهـداف الراقيـة والمتكاملـة. قـال الامـام الصادق عليه السلام:

> انما هلك من استعجالهم لهذا الأمر: أن اللّه لا يعجل لعجلة العباد. ان هـذا الأمـر غاية ينتهى اليها، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا.[٣]

و لا يتحقق البلوغ والوعي الاجتماعي في الأمة ما لم تصل إلى هـذه الغايـة؛ ومـالم تربى الشيعة على تلك الاماني. أي وصول الشيعة إلى «هذا الامر» وهو: إقامـة الدولـة الاسلامية المحمدية، والتعجيل في فرج آل محمد صلى الله عليه وآله، وذلك من خـلال اعتمادهـا علـى التربية التي نشأت عليها، وبذور الأماني التي زرعتها في أوساط الأمة.

و لا يختص ذلك بالمجتمع الشيعي وأفقه السامي فحسب، بـل يعـم كافـة المجتمعـات البشرية التي تبحث في مسيرتها للوصول إلى تلك الغاية المرجوة، لتبدلها إلى لغة الحـوار في هذا العصر. ولعل الأمة تبحث عن «هـذا الأمـر». للوصـول إلى تعجيـل «فـرج آل محمد». لكنها لم تكن قد استعدت له من قبل، او امتلكت شعورا وقابلية لذلك.

وهذه الرغبة العاجلة ستؤدي إلى الهلاك، لان الله لايعجـل لعجلـة العبـاد كمـا ذكـر ذلك عليه السلام، فان «هذا الأمر» غاية ينتهى اليهـا، فلـو قـد بلغوهـا، لم يـستقدموا سـاعة او يستأخروا، فان التوقع بحصول «هذا الأمر» واستعجالهم له، سيؤدي بهم إلى الهلاك، كما جاء عنه عليه السلام قوله: «فلو قد بلغوهـا» أي وصـلوا لهـذا الغايـة، اي البلـوغ الاجتمـاعي حقيقة، ونالوا «غاية الأمر». ففي هذه الحال؛ «لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا»، وقـد تحقق «هذا الأمر» بعجالة في أقل مـن لحظـات، فـاذا جـاء المَلـك، هربـت الـشياطين والأشباح. واذا لم تخرج أشباح الجهل والظلام البـشري الـساذجة، ولم يـصل الانـسان مرحلة البلوغ، فلا تأتي ملائكة الانقاذ. وما لم تكن هناك رغبة وإرادة في الوصـول إلى البلوغ، فلا يتحقق «هذا الأمر»، ولا يكون ذلك أبداً.

إذن، على الأمة ان تسعى للوصول إلى مرحلة البلوغ الاجتماعي والغايـة المطلوبـة، وحينها سيتحقق شرط «هذا الأمر» اي تعجيل فرج آل محمد صلى الله عليه وآله. فما لم يتحقـق هـذا

الشرط، فلا يتحقق المشروط.

لقد عمّت ألطاف الله كل الوجود، فلا بخل في نفس الفاعل ولامنع، بل المشكلة، تكمن في نفس القابل، وأن الذي سيحلّ المشكلة ويفتح العقدة هو استعداد القابل. فينبغي توفّر القابلية والاستعداد لدى العباد ليحصل البلوغ الاجتماعي المشروط.

قال الشاعر:

الحامل يجعلك محمول و القابل يجعلك مقبول[٤]

فلتكن مصغيا قابلاً مطيعاً ليصاغ لك قرطاً من ذهب[٥]

وبناء على هذا، ينبغي الاهتمام بهذا الموضوع لفهم محل النزاع، فان أهم موضوع في عصر الغيبة وأكمله هو البلوغ الاجتماعي، واستعداد الأمة وتهيؤها لاستقبال هذا الحدث العظيم.

و بعد ان عرفنا محل النزاع، وانتبهنا له بدقة، فسنضع له حلولاً وأساليب عملية لحل هذه المشكله واستئصالها من جذورها، ونستنتج كيف يمكن بلوغ الغاية، والوصول إلى البلوغ الاجتماعي وتطويره، ثم الانتقال إلى الهندسة الاجتماعية، وأهم محور فيها هو ايجاد الأرضية المناسبة للظهور والاستعداد له.

شواخص البلوغ

ان هندسة البلوغ الاجتماعي بحاجة إلى معرفة شواخص الهندسة لترسيخ دعائمها، ويتم ذلك من خلال تقوية ركائز النظام الهندسي الاجتماعي. وسنشير هنا إلى ثلاث شواخص أساسية في اقامة هذا النظام وهي:

١. الرغبة الاجتماعية في إقامة الدولة الكريمة.

اللّهم انا نرغب اليك في دولة كريمة.

٢. الشكوى والاستغاثة الجماعية والاجتماعية حول الوضع الراهن.

انا نشكو اليك فقدنبينا وغيبة ولينا.

٣. الاستعانة الاجتماعية:

و اعنا على ذلك بفتح منك تعجله.[٦]

الف) الرغبة الاجتماعية

يعتبر ادارة رغبات المجتمعات البشرية وميولها من المحاور الاساسية في تعيين الاستراتيجية الاستكبارية، فبعد ان تقوم بتغيير الرغبات والميول والاذواق السابقة لدى هذه المجتمعات، فانه يتم وضع رغبات أخرى تنسجم مع اهدافهم وشعورهم، وتعيينها لهم، واستبدال السابقة بها، وهذا التكليف كان قد علمه الشيطان أتباعه، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[٧].

الشياطين يريدون وسوسة من لهم رواسب وثوابت ايمانية، لانهم يعتقدون ببقائهم واستمرارهم في هذه الحياة الدنيا، ولايظهر حب الدنيا في قلوبهم، فيحاولون استبدال هذه القلوب والافكار بوساوس زائلة، ليكونوا أمام مبدئين من الرغبة:

إما البقاء والاستمرار لنفسه، والتفكير في الآخرة، أو الميل والرغبة في قبول هذه الوساوس المحدودة في عمر الانسان الذي لايزيد على السبعين عاما في هذه الحياة الدنيا.

ان للانبياء والاوصياء والاولياء رغبة في البقاء والاستمرار، لكن شياطين الأنس والجن لهم رغبة في ايقاع الوساوس المحدودة في إدارة المجتمعات من خلالها. ويحاول الشياطين اصطياد أوليائهم بشتى الاساليب والسبل والخدع والأضاليل بالاستماع لهم، وإصغاء القلوب اليهم. فالصغو والاصغاء هو الاستماع لكلام والموافقة عليه. ويعتبر مصطلح الاصغاء أحد الابحاث في العلاقات ووسائل الاعلام والانشطة التبليغية في عصرنا الحاضر.

قال الامام الصادق عليه السلام:

من اصغى إلى ناطق فقد عبده، فان كان الناطق عن الله فقد عبدالله، وان كان

الناطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس.[٨]

فان قبل الانسان عملية الاصغاء وارتضاها لنفسه، فسيخضع إلى ما بعدها من مراحل «كالارتضاء» واقتراف الذنوب وارتكاب المحارم، كما قال الله سبحانه:

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.[٩]

وتقترن مرحلة الاصغاء هذه بمرحلة «الارتضاء والاقتراف»، ويظهران في حلّة ومظهر واحد، ولا ينفصلا عن بعضهما، فتعضّ بأنيابها قلوب البشر، ليتشاجروا ويتصارعوا فيما بينهم، ثم تحوّله أخيراً إلى الرضوخ والطاعة. قال تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.[١٠]

حيث نهى سبحانه عن مجالسة من يكفر بآيات الله ويسخر بها، بقوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ ثم أضاف: ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

و يظهر في هذه الآية ان جلوسكم معهم والاصغاء إلى حديثهم سيكون سبباً في إصرار هم على المعاصي وارتكاب الذنوب والآثام، وبقائهم على كفرهم، واستهزائهم بآيات الله، فهم مثلهم في الكفر إن أصغوا إلى حديثهم، وجلسوا معهم، كما قال سبحانه: «انكم اذن مثلهم» أي في رتبة واحدة في الكفر والنفاق، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

لقد كان الجهل البشري مسرحاً لمراودة الشياطين في التاريخ وعلى مختلف العصور والأزمنة، وانتج هذا الجهل الذي صار ألعوبة مواقف من التقوقع والانغلاق على الذات والأنانية وعبادة النفس والشهوات، وحرم هذا الانسان من الهداية السماوية الربانية وسائر الانتفاع.

فأعلن هذا الانسان عن عصيانه لمناهج السماء والحكومة الالهية التي رسمها الانبياء والاوصياء. وأخذ يدور منهزماً حول ذاته، منطوياً على عبادة الشهوات، فامتزجت رغبته وميوله بمرحلة الاصغاء والارتضاء والاقتراف، وسارت نفسه باتجاهها. فمرّ بتجارب مريرة بدئا من أضيق المناهج والاساليب الحكومية وأكثرها دكتاتورية وتعسفاً، وانتهاء بأوسع أساليب الليبرالية وتطبيقات الحكومة.

فتهيأ هذا الانسان المتعب والمطلق العنان ليحرر نفسه، ويتحول من ناطق عن ابليس إلى ناطق عن الله؛ ويتجه في ميوله ورغبته إلى عنان السماء ليرتفع بها مع السماويين، ويجتاز الأرضيين والمتقوقعين على أنفسهم، وينطلق نحو المتجمهرين حول الله؛ ويفارق عبّاد الذوات والشهوات، ويتجه نحو عبّادالله، قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها.[11]

ثم رغب بعدها في دولة كريمة ومعالمها، وشرح لها قلبه وفؤاده، ونادى بها برغبة وشوق، وأحسّ بالامام العطوف، والرفيق الرئوف، واستجاب لندائه بخطي صلبة وثابتة، وتهيّأ لاستقباله. وهذا هو ابتداء البلوغ والكمال الذي يحكي مظهراً من مظاهر اللطف والود.

قال الشاعر:

أنت جاذب للحق إليك رغبتنا أن تكون أعوانا لديك[12]

ب) الشكوى الاجتماعية

لايحصل أي تغيير وتحول لواقع الانسان المعاصر أو تحسينا لأوضاعه مادام راضياً عما هو عليه، ويشير هذا إلى عدم البلوغ والنمو. لكنه يرفض واقعه التقليدي اذا وصل رتبة البلوغ، ولايرتضي البقاء عليه، فيقدم شكوى لتغييره، وينطلق بهذا الاتجاه.

وقد لاقى هذا الانسان عناء ونصباً من تلك التوهمات التي نسجها فكره وخياله عبرالتجربة التي مرّبها مجتمعه في مراحل تاريخية مختلفة، ومتاهات ومسالك صعبة وضيّقة، وتجربة كافة التصاميم للحكومة البشرية ومختلف الاساليب، ثم نظر هذا الانسان

نحو السماء ليجدد عهده معها، ويستلهم منها القوة والحياة، ويتضرع إلى الله طلبا لعفـوه، ويشكواليه ما ألمّ به.

ان وجه الحاجة والاضطرار إلى خالق الوجود ومحادثته في خلـوات الأنـس سـتهيّأ القلوب وتحضّرها، لتتفرع منها جذور الأماني، وترفع شكواها إلى مقام الربوبية، وتقـدم تقريراً لـه عن معاناتها وآلامها. وتشكوله فقد نبيها وغيبة وليها. كل هذا يحصل في ظل الافتقار والاضطرار إلى الحجة، ثم ينادي الانسان ويستغيث في أعماقه احيانـا بحاجتـه إلى حجة الله ووليه.

ج) الاستعانة الاجتماعية

عندما يشعر الانسان بان كل ما قدّره لا يفيد ولاينفـع، وعلـم بافتقـاره واحتياجـه، يلتفت إلى السماء ليستمد منها العطاء، ويبحث عن سبب متصل بين الأرض والـسماء، وينادي بصوت عال: «**أين السبب المتصل بين الأرض والسماء**»[١٣] فتشبّ فيه رغبة البلوغ، وهي الارادة نفسها للنهوض على أقدامه، لأن الارادة هي القدرة والاسـتطاعة وترجمـة النهوض ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[١٤] ولهذا، فان طلب الدعاء من خـالق الوجـود والمـدبر للكون يتطلب معارف عميقة ومتميزة، نشير إلى بعضها:

١. اظهار الرغبة في قيام دولة كريمة باذن الله.

٢. التضرع والشكوى إلى الله لمعالجة الوضع الراهن.

٣. الاستغاثة والاستعانة وطلب الفتح وتعجيل الفرج من الله تعالى.

ان الدعاء مظهر من مظاهر البلوغ الاجتماعي، فعندما تتوجه المجتمعات البشرية نحـو المنجي والموعود المخلص، وتتضرع إلى الله، وتشكو له معاناتها وهمومها، وتتستغيث بـه في قضاء حوائجها وملمّاتها، فان هذا يحكي عـن بلوغهـا الاجتمـاعي ومـسيرها نحـو الكمال، وقد خرجت من حبائل الـذات ومـصائد الـشيطان، واتجهـت نحـو عبـادة الله وشكر المنعم، «**فالدعاء مخ العبادة**» كما روي عنه ﷺ.[١٥] والعبودية لله هـي غايـة الخلقـة،

وقمّة البلوغ الانـساني والنمـو والكمـال. فالعبوديـة تـتم بالـدعاء، وتتجلـى في أروع مظاهرها فيه، ولذا خرج في التوقيع الصادر من الامام المهدي عجل الله فرجه لاسحاق بـن يعقـوب قال:

> فأغلقوا ابواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علـى مـا قـد كفيـتم، اكثـروا الدعاء بتعجيل الفرج، فان ذلك فرجكم.[١٦]

ما احلى هذه النصائح والمواعظ وأجملها لنا، لتنقذنا من الضياع والانحراف والـذهاب يمينا وشمالا، والسؤال عما لا يعنينا، لا رجاعنا إلى الطريق القويم الذي يرافقـه التعـالي والبلوغ.

هكذا يكون الدعاء من الوظائف التي دعينالها، ليصبح مخّا للعبادة، ومظهراً من مظاهر البلوغ البشري.

ان المجتمعات البشرية بحاجة إلى التواصي والنصائح الهامة، لأنهـا وصـلت إلى حـد البلوغ الذي تحدّث عنه عليه السلام فقال:

> تمدحت بالغناء عن خلقك وأنت أهل الغنى عنهم، ونـسبتهم إلى الفقـروهم أهـل الفقر اليك، فمن حاول سدّ خلّته من عندك، ورام صرف الفقر عن نفسه بك، فقـد طلب حاجته في مظانها، واتى طلبته من وجهها، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقه، أوجعله سبب نجحها دونك، فقد تعرض للحرمـان، واسـتحق مـن عنـدك فوت الاحسان.[١٧]

و يتضح هنا ان اهمية الانسان وقيمته عندالله هي في التضرع والدعاء والعبودية كمـا قال تعالى:

> ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.[١٨]

و يظهر في الآية: تكذيبكم الله ورسـوله، فـان لم تـسرعوا نحـوه بالـدعاء والتـضرع وعبوديته سبحانه، فلا قيمة لكم عنده، ويكون تكذيبكم لزاماً عليكم، فلاتضروا بـذلك الا أنفسكم وكفى بالله حسيبا.

ومن تحرر من أسر عبودية الذات والمعاناة التي هي من لوازم تكذيب الحق والانقطاع عن الله، والانفتاح على النفس والشهوات ـ وأدار ظهره من عبادة الذات والشهوات والملذات، وتوجه إلى الله بالدعاء والتضرّع والعبودية، لتعمّه الرحمة والعناية الالهية، فسيكون له منزلة وشأن عندالله سبحانه، وسيأتي ذلك اليوم باذنه تعالى. قال امير المؤمنين عليه السلام: «**لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها.**»[١٩]

نعم، هكذا تحدّث الامام عليه السلام عن الدنيا وإدبارها عنهم، ثم عودتها لهم كما يعود الضروس إلى أمه.

لقد مرت البشرية بتجارب عديدة، ومنيت بهزائم مريرة، جعلتها تؤوب إلى الله، وتتضرّع اليه، فاتجه الانسان عدة اتجاهات، وولى وجهه شطر «سبيل الله» و«الصراط» و«الوجه» و«باب الله» كما روى ذلك في زيارة الناحية: «**السلام عليكم يا سبيل اللّه الذي من سلك غيره هلك.**»[٢٠] وقوله عليه السلام: «**اين باب اللّه الذي منه يؤتى، اين وجه اللّه الذي اليه يتوجه الأولياء.**»[٢١] وقوله عليه السلام أيضاً: «**انتم الصراط الأقوم.**»[٢٢]

وهنا نقول: إنّا توجّهنا واستشفعنا وتوسّلنا بكم إلى الله[٢٣] لا إلى غيركم.

ان عطفكم اللا محدود، وطلبكم منّا بالاكثار من الدعاء، والتضرع إلى الله، يدعونا للخروج من تقوقع الذات إلى التصديق بالله، والتوسل له سبحانه بتعجيل الفرج، لان توسع الدعاء هو بمقدار وكثافة اتساع مخ العبادة، التي تعتبر فلسفة الخلقة، كما نقرأ في الدعاء: «**واليك منتهى الرغبة في الدعاء.**»[٢٤]

ونحن بدعاء الفرج هذا، نعبدك يا رب، وحدك لا شريك لك.

ولكي يتحقق الفرج، علينا أن نعرف فلسفة الفرج، وعبودية الله،

قال تعالى:

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ﴾[٢٥].

ويتحقق هذا المعنى في شواخص البلوغ الاجتماعي لتصبح مؤثرة واكثر نشاطاً عندما

تتجلى في اطارها الجماعي والاجتماعي العام. وقد ورد في توقيع صدر عن الامام المهدي عليه السلام للشيخ المفيد قائلاً: ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة، وصدقها منهم بنا فما يحجبهم عنا إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم.[٢٦]

ان ما يؤخر ويقدم في الظهور ومشاهدة الامام المهدي والتمكين له هو عدم الاجتماع القلبي للأمة المبتني على لزوم معرفته والاعتقاد بالحق في أمره ونهيه هنا: العثور على البلوغ الاجتماعي ومعرفة نوعه

ان علينا التمهيد والتحضير للظهور. وهذا نوع الاجتهاد المطلوب في تعجيل الفرج.

ولا يتيسر هذا، الا بظهور الاتباع المخلصين للامام المهدي الموحد في معترك الحياة، ليمسكوا بأيديهم أزمة القلوب والافكار في عصرهم نحو البلوغ والنمو والاعتزاز. قال الامام الهادي عليه السلام:

> **لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكن أولئك هم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عزوجل.**[٢٧]

ان المجتمعات البشرية بحاجة إلى توعية وتفكير من نوع التخصص والاختصاص، وإلى الفقهاء العارفين بأمور زمانهم، الذين همهم في حياتهم هو إيصال مجتمعات إلى البلوغ الاجتماعي، والقيام بالوظائف الأربعة التالية للدعوة الصالحة للدفاع عن حريم الدين والولاية، والانقاذ والتحشيد والتعبئة والتهيئة

أما الأولى، الدعوة:

ان الانشطة الثقافية والدينية التي يقوم بها مختلف التوجهات والمجموعات في غيبة

هي خيرة عصر الظهور والانتظار، وان التوسعة الثقافية وتحضيرهم لها تتم بالـدعوة إلى قائم آل محمدﷺ ونشر ثقافة الانتظار. فاعتمدت منهجية العلماء في عصر الغيبة علـى ادارة أذهان المجتمع وأفكارهم، وتوجيه رغبة الأمة نحو خليفة الله وحجته، «من أراد اللّه بدأبكم، ومن وحّده قَبِل منكم، ومن قصده توجه بكم».[٢٨]

الثانية، الدلالة:

ان على رجال الدين مسئولية هامة وخطيرة أخرى غير الدعوة، وهي الدلالة والهداية، أي هداية القائلين بالامام المهديعجل الله فرجه بافكارهم وقلوبهم معاً، وايجاد صلة الارتباط بهم، وعلى العلماء التزام ثلاث أمور في عملهم هي: الاحاطة التامة بالمعرفة والعاطفة، والتعامل مع أنصار المهديعجل الله فرجه لكي لايقعوا في مستنقع الشهوات ويكونوا غرضاً لسهام الشبهات المسمومة، وهجوم الشياطين، ومحادثة الناس على قدر عقولهم، فيمضوا معهم في هذا الطريق، ليكونوا نبراسا وسراجاً مضيئا لهدايتهم، ويربطوا على قلوبهم في حب الامامعليه السلام ويضعوا برامج ومشاريع وحيانية لرفع الهموم والمعاناة عنهم، وادارة مجتمعاتهم.

الثالثة، الذب والدفاع:

وعلى العلماء في عصر الغيبة أيضاً مسئولية الدفاع والذب عن الدين وحريم إمامهم، وحفظها من خطر الفتن والسهام المسمومة المتوالية، وحتى لاتخدش أشواك الأعداء اعتقاد انصار الامام المهديعليه السلام وعشّاقه.

ان على العلماء الفقهاء ان يكونوا عارفين بأمور زمانهم، من خلال حضورهم النشط والفعال في مجالات الحياة، وان يكونوا عالمين بلغة عصرهم، ليرصدوا أمواج الفتن، ويضعوا الحلول لها.

الرابعة، الانقاذ والتخليص:

لقد تلوثت المجتمعات البشرية بمدى ابتعادها عن الثقافة الوحيانية بالآثام والمعاصي،

فوقعت في وحل المشاكل والمعاناة، وابتليت بالفتن المتناوبة، وأخذت تصفّق بأيديها وأرجلها للخروج من قعر هذا المستنقع النتن، وما لحقتها من امواج مروّعة، فكان العلماء هم المنجون والمنقذون، وقد اغضبوا الشياطين في صنائعهم للأمة، فكان اذا رحل عالم عن هذه الحياة الدنيا، يفرح الشياطين، ويستبشرون طربا وسروراً لموته.

الازمات الحادة والنزاعات في عصر الغيبة

ابتليت المجتمعات البشرية والشعوب والامم بهزائم فادحة، وانكسارات في شتى الميادين؛ كان سببها عدم البلوغ والنمو الاجتماعي، كما قال عليه السلام: «**لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الهادين بعد الهادين**». بل: «**الأمة مصرة على مقته، ومجتمعة على قطيعة رحمه، واقصاء ولده**»، وقد وصلت إلى قمة انحرافها وسقوطها في عدم البلوغ، وصاروا في غربة عصر الغيبة، فحصلت فترة في غيبة الحجة الالهية والعنصر السماوي اللطيف، وتبعت هذه الفترة حيرة، وتركت الأمة في مستنفع هذه الحيرة والذهول، وتداعت عليها الفتن، وسهام البلايا والمنايا المسمومة في عصر الابتلاء: وحاصرتهم الفتن، وجرّتهم وراء القضبان، ولن يهدأ لها بال وقرار حتى تأخذه نحو ظلام اليأس الدامس وظلمات الجهل.

و يمكن مشاهدة حالات النزاع الأربعة: الفترة، الحيرة، اليأس، والفتنة في عصر الغيبة في نظرة خاطفة إلى الأخبار والنصوص والتأمل فيها.

ان على رجال الدين والمفكرين الواعين مسئولية مواجهة هذه الانحرافات وحالات النزاع الاربعة ليتم اجتيازها، وفتح أسلوب هندسة البلوغ الاجتماعي.

و يتجه العلماء وبمقدار ما أوتوا من قوة وكفاءة نحو تغطية حدث «الفترة» ثم ينطلقوا بدلالتهم نحو ازالة «الحيرة»؛ وبعدها الذب والدفاع عن حريم الولاية والدين، ومن ثمّ مواجهة «الفتنة» وفتح عقدها العمياء عن الذهن والقلب، وتحرير ايادي الأمة وأرجلها واطلاق سراحها، لكي لاتسوقهم أمواج الفتن نحو أسر الشهوات وقعر الشبهات. ويسير العلماء أخيراً إلى جهة الانقاذ والتخليص في مواجهة حالات القنوط واليأس لتحريرهم من قعر الهلاك.

ويبتني نظام الفقهاء في عصر الغيبة على أساس فقهي، ويمكن فهم مصطلح الفقه والتفقه من خلال ما يحمّل على هذا المفهوم وهو بمعنى الفهم والدقة والتأمل. قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: «إنا والله لا نعدّ الرجل من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له، فيعرف اللحن.»[٢٩]

ومن خلال استعداد الفقهاء وقابليتهم، فهم يحاولون تغذية هذا الثقل من المسؤولية ووضع المصل في شرايين الأمة ومساماتها لهندسة البلوغ الاجتماعي في مواجهة التحديات والانحرافات المذكورة آنفا في المجتمع، ومن ثم التحضير للظهور.

و من هنا، فان كافة أنشطة رجال الدين والفكر اصطبغت برائحة التمهيد والظهور؛ وان همّهم وشغلهم الشاغل هو تصعيد الحاجة والاضطرار، وتعميق هذه الثقافة في مجال البلوغ والادراك لدي الأمة.

لقد سعى الفقهاء دوماً إلى تحقيق وتطبيق هذا الشعار وزرع بذور الأماني، مستمدين ذلك الفكر من معمار الثورة الاسلامية في ايران وقائدها الراحل الامام الخميني قدس سره، الذي بذل جهده في اقامة الدولة الاسلامية، وتهيئة الأجواء النشطة والفعالة لايصال الأمة الاسلامية إلى النمو والبلوغ الاجتماعي في كافة ربوع العالم، وذلك برفع هذا الشعار «السلام عليك أيها المقدم المأمول» ليتم الاشراف والمراقبة في معرفة شواخص البلوغ الاجتماعية وهي: الرغبة، الشكوى، والاستعانة الاجتماعية، والعمل على تطبيقها، ثم الدعاء والنداء والقول: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. اين بقية اللّه التي لاتخلو من العترة الهادية.»

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الهوامش

١. اصول الكافي، ج٢، ص ١٩٢، الرواية السادسة.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق، باب كراهية التوقيت، ص ١٩٤، الرواية السابعة.

٤. جلال الدين محمد بن محمد المولودي، المثنوي، الدفتر الاول.

٥. المصدر السابق.

٦. مفاتيح الجنان، دعاء الافتتاح.

٧. سورة الانعام، الآيات ١١٢ ـ ١١٣.

٨. بحارالانوار، ج٢، ص ٩٤.

٩. سورة الانعام، الآية ١١٣.

١٠. سورة النساء، الآية ١٤٠، والآية ٦٨ في سورة الانعام مع اختلاف يسير.

١١. نهج‌البلاغة، ترجمة وشرح فيض الاسلام، الحكمة ٢٠٩.

١٢. جلال الدين محمد بن محمد المولودي، المثنوي، الدفتر الاول.

١٣. مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

١٤. سورة الحديد، الآية ٢٥.

١٥. بحارالانوار، ج ٩٠، ص ٣٠٠.

١٦. الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ١٧٦.

١٧. الصحيفة السجادية، الدعاء ١٣.

١٨. سورة الفرقان، الآية ٧٦.

١٩. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٩.

٢٠. مفاتيح الجنان، زيارة الناحية.

٢١. المصدر السابق، دعاء الندبة.

٢٢. المصدر السابق، زيارة الجامعة الكبيرة.

٢٣. المزار الكبير، ص ٥٦٧، بحارالانوار، ج ٩٤، ص ٣٦.

٢٤. مفاتيح الجنان، اعمال ليلة ٢٧ رجب.

٢٥. سورة النور، الآية ٥٥.

٢٦. الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٨، طبعة بيروت.

٢٧. المصدر السابق، ص٩.

٢٨. مفاتيح الجنان، زيارة الجامعة الكبيرة.

٢٩. النعماني، الغيبة، الباب ١٠، ص١٩٨، الرواية ٢.

النظرية المهدوية والتنظير على أساس الثقافة المهدوية

السيد رضي موسوي الجيلاني

نبذة

يرى المشاهد المتتبع في تاريخ المسلمين والمذاهب الاسلامية و تاريخ الشيعة بالتحديد أنهم قصروا في فكرة التنظير في العديد من القضايا الاجتماعية والانسانية، واكتفوا بمطالعة و بيان مفردات الروايات والأخبار والمباني الدينية.فقد قام كثير من المفكرين والباحثين الاسلاميين في استخراج الأصول من مصادر الثقافة الدينية، وخاصة المهدوية من خلال عرضهم أبحاث مختصرة و موجزة لاتفي بالغرض المطلوب في قضايا العرفان، السياسة، الادارة، فلسفة التاريخ، مستقبل البشرية ومصير العالم، علم دراسة الانسان والمجتمع، وهي كلها ترتبط ارتباطا وثيقا وقويا بالتعاليم والمبادئ الاسلامية والشيعية بالتحديد. ولاشک في تأثر الأديان من خلال فلسفة التاريخ بأبحاث عديدة ومتنوعة مثل آخر الزمان، نهاية البشرية ومصير العالم، المنجي والمخلص أو تأثرها بالعقيدة المهدوية. لكن الباحثين الاسلاميين تأثروا قبل كل شيء من

خلال فلسفةالتاريخ بأفكار المنظرين الماركسيين والشيوعيين وعرض أفكارهم في مجالات مختلفة. الثقافة المهدوية تعني مجموعة تعاليم، كلام وخطابات، تواقيع، و مباني كلامية نابعة من صميم الاعتقاد بالامامة المهدوية في عصر الغيبة، وقد أطلق عليها تسمية المنهج المهدوي. وعندما تعينت هذه الفكرة وأصبحت منهجاوأسلوبا للمنظرين، ارتضي هذا النهج، وعدوه أصلا بديهيا عاما، وفكرا أساسيا أصيلا، اصطبغ بأساليب عملية ومنهجية بناءة كان لها دورها ومعطياتها، وتشكلت منها النظرية. فمن خلال هذه النظرية المهدوية الملهمة يمكن الكشف عن النظريات الأخرى، وتقديمها الدعم للمفكرين والباحثين الدينيين في اثبات واستمرار وتوجيه النظريات الاخرى في حقل العلوم الانسانية.

المفاهيم الأصلية في البحث:
التنظيرالديني، المهدوية، النظرية، المبادئ والتعاليم الدينية، النظرة العملية والمنهجية.

المقدمة

تعتبر المصادر الدينية بمثابة الأصل عند المؤمنين لاستخراج ومعرفة العقائد الدينية، الأخلاق، والآداب الاسلامية، النظريات العلمية وتطبيقاتها، وعرض النماذج والتصاميم الدينية.

لقد بذل المفكرون والباحثون جهوداً حثيثة ومظنية من خلال هذا العرض لإشاعة ونشر الثقافة الإسلامية في الأمة وتوعيتها، ولكنهم ومع الأسف الشديد لم يعتمدوا كثيراً على تلك المصادر والمناهج الدينية لإظهار بعض الأصول والمباني العملية في عملية التنظير، او اعتماد البحوث والدراسات الفكرية الواسعة في المجالات الإنسانية والعلمية.

إن المجتمعات المعاصرة وعلى رغم التطور العلمي والحضاري والتقنية الحديثة بحاجة ماسة اليوم إلى عملية التنظير في كافة شئونها، وفي مختلف أصعدتها المادية والمعنوية.

وهذا يقتضي توفر الاصول العملية في المبادئ الدينية في مختلف مجالات الأمة وشئونها العامة، ويدعو إلى البحث والتدقيق في المصادر الدينية، ووضع التصاميم والمحاور العامة لقواعد التنظير في تلك المباني والتعاليم والتوجهات العقائدية والدينية. وقبل أن تكون هذه المجتمعات بحاجة إلى وضع واختراع الالفاظ والمصطلحات، فقد

كانت بحاجة أشد إلى إبداء نماذج وأساليب منظّمة ومدروسة ومنسجمة، بل منطقية ومنهجية بنّاءة لتلك المناهج والتعاليم الدينية. فكانت المهدوية في المنظر الكلامي بمثابة ركن أساسي ومهم في المعتقد الديني، وقد ورد بشأنها وصايا وإشارات عديدة من أئمة الدين عليهم السلام.

ونتسائل هنا: هل يمكن من خلال التنظير ووضع الاساليب والاستراتيجيات الجديدة والمتطورة لفكرة المهدوية من تطبيقها في المجالات الفردية والاجتماعية المختلفة أم لا؟ بمعنى حضورها وتواجدها في تلك المفاهيم الدينية والعقائد الإسلامية في الواجهة العامة؟ فكما يمكن استخراج أصول الادارة والحكم في الإسلام في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر، فهل يمكن استخراج واحتواء الأصول المهدوية لغرض الدعم والاسناد للمجالات البشرية من خلال الفرضيات الكلامية في السنة والسيرة المهدوية في المجال الاجتماعي؟

وعلينا أن نلتفت هنا إلى أن الحياة المهدوية في المجال الفردي تختلف عنها في المجال الاجتماعي، ففي الجانب الفردي، يمكن من خلال قراءة النصوص والأخبار والخطابات المهدوية ونشر سيرته المباركة دعوة الناس وتشجيعهم وترغيبهم نحو العقائد الدينية، أما في المجال الاجتماعي، فأن نشر وتوسيع المباني الدينية بحاجة إلى نماذج وأساليب عامة تصبّ في هذا الاتجاه، ولا يتم نشر هذه العناصر والمفاهيم الدينية إلا من خلال هذا الاسلوب، قال (تيتوس بوركهارت) الخبير في الفنّ المعماري الإسلامي:

> لو سئلني شخص ما عن الإسلام، فأجيبه: اذهب واستغرق في التفكير في بناء مسجد «قرطبة» في إسبانيا، أو بناء مسجد «ابن طولون» في مصر!![1]

وفي كلامه إشارة صريحة على عظمة الإسلام التي تجلّت في الفن المعماري الإسلامي، الأدب، الادارة، النظام الاجتماعي، تطوير المدن والاعمار، العلاقات الاجتماعية والإنسانية وغيرها.

ولا يتحدد الدين في المجال الفردي والجانب العبادي، بل تقوّم ملامح الشخصية في الإسلام على ثوابت وركائز مؤثّقة ومعينة. لذا ينبغي بيان أهمية الدين ومنهجه العملي

من خلال إجابته عن أسئلة المخاطبين في المجالات النظرية والعملية عند مقارنة الأديان وتطبيق بعضها على البعض الآخر، ولا يكتفي بتحليل باطن الدين لاظهار أهميته.

المباني الأصلية في الفكر الشيعي في قراءة الأسلوب الظاهرياتي

تعتمد كافة الأديان والمذاهب على مفاهيم ومبادئ أساسية في كياناتها، فهي الدعائم والركائز الأصلية في قوام تلك الأديان، فلو انهارت هذه الأسس والركائز لمحقت الأديان.

ويمكن مشاهدة هذه المفاهيم والأسس من الخارج وبأساليب المعرفة الظاهرياتية، ولا داعي لمعرفة المباني الدينية من ناحية الشخص المعتقد بالمذهب. بل أن كل ظاهرة في الأسلوب الظاهرياتي تظهر مفاهيمها وركائزها الاساسية للمخاطبين، وتبدي عناصرها الباطنية الخفية، ولهذا السبب ربّما يلقي الباحث نظرة توصيفية ومعرفة ظاهرياتية من الخارج حول الموضوع ليتمكن من تشخيص المفاهيم والركائز الأصلية في أي فكر ومذهب، لانه يتأمل في الموضوع دون تأثر قلبي أو تعلّق ذهني، ويمكنه أن يعطي رأيه، ويحكم حول بيان الأسس الفكرية لدين أسهل.

رأى كثير من الباحثين البارزين والكتّاب المعاصرين أمثال: جيلسون، ميرجا إلياده، هنري كوربان، آنماري شيمل، فريدريك هايلر وغيرهم من الاوفياء والمخلصين، بأن الظاهرة هي التي تظهر بنفسها، أو التي تسمح لأن تشاهد[٢]. وبهذا الاسلوب التحقيقي، وقبل أن نحكم بصحة أو كذب ظاهرة معينة، فاننا نقيم ارتباطاً معها ابتداء لنعرف من خلال هذا الارتباط كافة المباني، الأسس، والعناصر الذاتية الباطنية والاساسية الاصلية.

قال مك كواري:

> إن الأسلوب الظاهرياتي بهذا النحو هو إظهار الشيء الذي يريد إظهار نفسه، أي رفع حجب المحجوبين وازالتها بأن يسمح لنا أن نرى الشيء الذي وضعه، ونشاهد ما هو؟

وكما قال كوئنتين لوئر:

إن الأسلوب الظاهرياتي هو ليس أسلوب استدلالي، بل أسلوب توصيفي. ولهذا فهو يأمل من ذلك أن يرى الآخرون الأمور بهذا النحو.[٣]

ولو شوهد الأسلوب الظاهرياتي والاسلوب التوصيفي للمذهب الشيعي، وكان هدف الباحث والمحقق هو تشخيص العناصر والمباني الاساسية وأصول الفكر الشيعي، فلا شك في أن قسماً من هذه المباني الدينية سيكون لها ظهور وملامح أكثر إشراقاً وإضاءة في مقارنتها إلى عناصر دينية أخرى، لأن كافة المعتقدات والمباني الدينية في ذات مبادئ مذهب أو دين هي متساوية في الأهمية، وإنّما أن رتبها بالنسبة للبعض متفاوتة.

فلو دققنا النظر مثلاً في العناصر ومبادئ الاعتقاد في المذهب الشيعي، فإن الاعتقاد بالامامة والمهدوية هي من العناصر الثابتة والضرورية في الفكر الشيعي، بحيث أن عدم وجود هذه العناصر الذاتية سيؤدي إلى انهيار الفكر الشيعي وزواله. ولهذا السبب، فإن هذا العنصر الاساسي المهم سيكون معرّضا للسؤال والاستفسار إن كان هناك تعارض مع الفكر الشيعي. وقد فهم قسم من المخالفين هذا المعنى جيّداً وهو أن قبول أو إنكار التشيع إنما هو قائم على الحكم حول هذا العنصر الأساسي، مضافا إلى أسلوب معرفة الظواهر.

فلو كان هناك أساليب أخرى في هذا المنظار كالاساليب الكلامية أو التاريخية لدراسة الفكر الشيعي، فسنستنتج أن فكرة المهدوية لها أهمية ومنزلة خاصة في هذا المذهب وحتى في الفرق الاسلامية الأخرى. وهذه النظرة أيضاً كالمعرفة الظاهراتية أثبتت فكرة الامامة المهدوية أساساً في الفكر الشيعي.

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن أركان التشيع؟ فأشار إلى هذه العناصر والاركان الدينية الخمسة، وقال: «الصلاة، الزكاة، الحج، الصوم، والولاية.» ثم سئل عن أفضلهن؟ فقال عليه السلام: «الولاية أفضل.»[٤]

وبناء على هذا، فإن الولاية التي هي امتداد للنبوة، ومنهج الرسالة المتمثل بالأئمة المعصومين عليهم السلام هي من أهم العناصر الكلامية، بحيث أن الشريعة مستمرة بها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاء ذلك في تفسير الإمام عليه السلام.

لقد دعا الفكر المهدوي نظراً لأهميته ودوره الريادي وموقعه الممتاز في الفكر الـشيعي ـ بعض المستشرقين ومفكري الشيعة من خلال بحوثهم ودراساتهم حول الفكر الـشيعي إلى معرفة عناصره. وكان من بين الباحثين الذي أبدوا آراءهم حول المنهج المهـدوي في الفكر الشيعي وأهميته في الإسلام هو (هنري كوربان) في حديثه عن الجانب الكلامي في الإسلام، و(حامد إلجار) في الفلسفة السياسية. فـرأى (هنـري كوربـان) بـأن المهدويـة تشكلّ ركناً هاماً وأساسياً في المعتقد الشيعي جعلـه يفـوق كافـة المـذاهب الإسـلامية، وكانت سبباً في رقيّه وازدهاره.

وكان هذا المستشرق ومن خلال معرفته التامة واستقرائه للفرق الإسـلامية والـشيعية يرى بوضوح أن فكرة الامامة والمهدوية ركناً هاماً وأساسياً في المذهب الشيعي[٥].

وكذا «حامد إلجار» الخبير والمنظّر المختص في شـؤون الثـورة الإسـلامية في ايـران والباحث السياسي في الفكر الإسلامي رأى أن انتصار الثورة الإسلامية في ايـران كـان بسبب اعتمادها على أصول ونظريات هذا المذهب.

ثم قام بتحليل ودراسة جذور وعوامـل ظهـور الثـورة الإسـلامية وعلـل وأسـباب انتصارها.

وأشار إلى ثلاثة أركان أساسية ومهمة في الفكر الشيعي هي:

١. الاعتقاد بالمهدوية ومفهوم الغيبة.

٢. الاعتقاد بالمفهوم الاستشهادي من خلال الاقتداء بثورة الإمام الحسين عليه السلام.

٣. عدم شرعية كافة الحكومات الموجودة في عصر الغيبة.

واعتقد هذا الباحث الإسلامي أن فكرة الإمام المهدي عجل الله فرجه لها دور فاعل وهـي ركـن أساسي وعامل مهم في ظهور الحركات التحررية في العالم والتحول في المجتمـع الـشيعي، وأن الثورة الإسلامية في إيران جاءت متأثرة بهذا الفكر والمبدأ الحيـوي والاساسـي في الإسلام. ثم قدّم الباحث الإسلامي «حامد إلجار» دراسـة تحليليـة وموضـوعية جـادّة وعميقة في الفكر المهدوي في كتابه حول الثورة الإسـلامية، حيـث خـالف الكـثير مـن أسلافه المنظّرين في الثورة الإسلامية في حديثهم عن عناصر أخرى في الفكـر الـشيعي،

ورأى أن جذور الثورة الإسلامية ممتدة من الفكر المهدوي، وأن هذه الركائز الثلاثة في الفكر الشيعي لها دور أساسي في معرفة الثورة الإسلامية.

ثم أشار إلى أهمية هذه العناصر الأساسية ودورها في تحليل التاريخ الشيعي منذ العصر الصفوي إلى ظهور الثورة الإسلامية في ايران، وأكّد على أن نظرية الامامة والفكري المهدوي الذي هو من مصاديقها هي ركن أساسي في الفكر الشيعي وتحقيق الثورة الإسلامية في ايران[٦]. ولهذا اعتبر الباحثون في معرفة الظواهر أن المهدوية عنصر ذاتي وأساسي في الفكر الشيعي، لا يمكن تغافله أو تجاهله في تحليل دراسة الأفكار الكلامية والمجتمعات الشيعية، وأن لها حضوراً فاعلاً ومستمراً في كثير من التنظيرات ومنها فلسفة التاريخ والعرفان، العرفان الإسلامي، الكلام الإسلامي مستقبل العالم ومصير البشرية، التخليص والانقاذ، الهداية وصلاح الامم والشعوب، ومجالات اجتماعية وفردية عديدة.

فمن خلال استقراء ودراسة مباني وتوجهات الفكر الشيعي، (بدون الانحياز في الباطن إلى جهة معينة) لا شك في أنها ستؤدي في النهاية إلى دراسة وتحليل مباني الفكر المهدوي أيضاً.

وبنظرة خارجية غير كلامية حول هذه القضية وبدون الانحياز الباطني، ستجعل الباحث في هذا المجال متعاطفاً مع الفكر المهدوي أيضاً. ولهذا السبب رأى بعض المحللين والمفكرين مثل: «هنري كوربان» و«حامد إلجار» أن الثقافة المهدوية لها تأثير هام وكبير في بيان منطق كثير من الافكار، الاساليب والانشطة الكلامية والسياسية عند الشيعة.

اختلاف المباني المهدوية مع نظرية المهدوية

ورد مصطلح «Doctrine» في المعاجم اللغوية وتعني النظرية، الاعتقاد والتصديق، المبدأ، المذهب وغيرها من المعاني في العلوم المختلفة[٧].

والمهم في هذا البحث في معرفة مصطلح «Doctrine» بمعنى النظرية، هو ليس ضم

المهدوية إلى سائر الاعتقادات، بل يتم من خلال النظـرة المهدويـة استخراج أسـاليب وحلول عملية وأصول ومباني عامة يمكن تطبيقها في مجالات التنظير، وقد اصطلح عليها «بالنظرية المهدوية».

فهي تعني أن تعلّم التجربة المهدوية هـو بمثابـة مـسير عملـي في التـنظير، وتطبيـق الأصول والمباني المهدوية في هذا التنظير. وينبغي أن يعتمد التنظير على محـاور وركـائز محددة واطار عام، وأن تكون النظريـة المهدويـة مُلهمـة ومُمِـدَّة للنظريـات الأخـرى، واستخدامها في إثبات بقاء وتوجيه النظريات من خلال تطبيقات العلوم الإنسانية الـتي يقوم بها المفكرون الملتزمون[٨].

إن كافة المفاهيم الدينية لا تقدر أن تبدّل إلى نظرية، لأن كل هذه المفاهيم والتعـاليم الدينية ليس لها مقام وأهمية كمبدأ المهدوية، أو اعتبارها أساساً وركيزة مهمة من ركائز الدين ودعائمه. فمثلاً هناك أبحاث كلامية في الثقافـة الإسـلامية تبـدّلت إلى نظريـات بسبب اختلاف الفرق المذهبية ونظرتها بشأنها، أما المهدوية لدى كافة الفرق المذهبية في الإسلام فإن لها أهمية ومقام النظرية، وهي عامّة، كما هو شأن نبـوة الـنبي محمـدﷺ. وربما تكون هناك أبحاث في مذهب ما أو فرقة خاصة.

وهو اعتقاد عام وأساسي لمبحث الامامة في الفكر الـشيعي، فـإن لهـا أهميـة ومقـام (النظرية) أيضاً، أما لدى سائر الفرق المذهبية فليس له أهمية وقيمة (النظريـة). وعلـى هذا، يمكن القول: بأن بعض الابحاث الاعتقادية لدى بعض الفرق والمـذاهب الإسـلامية ليس له قدرة (النظرية) وقوتها، لأنها ليست من جملة الأبحاث الخلافية الـتي لهـا أهميـة عامة كالجزيرة الخضراء، ووجود زوجة وذرية للإمام المهديعج والعلائم غير الحتميـة في عصر الظهور وأمثالها من الابحـاث المهدويـة الـتي لا ترتقـي إلى أهميـة (النظريـة) ومنزلتها، لأن الجميع لا يعتقد بها، ولا يتفق كافة العلماء الإسلاميين بشأنها.

إن مجموع التعاليم، الخطابات والتصريحات، التوقيعـات الـصادرة عنـهع، والمبـاني الكلامية النابعة عن الاعتقاد بامامة المهديعج في عـصر الغيبـة كلّهـا تـشكل الثقافـة المهدوية ويقال لها: «الاعتقاد المهدوي»، ولكن لو صار هـذا الاعتقـاد مـسلكاً ونهجـاً

للمنظّرين، فعليهم أن يقبلوا بأن هذا أصل بديهي لا اعتراض عليه، عـام وأصـيل، وإن اتخذ لنفسه طابعاً عملياً، وهذا ما يصطلح عليه «بالنظرية»[٩].

إن الفاعلية والحيوية والقوة العملية التي تمتلكها النظرية المهدوية في التنظير في مختلف المجالات البشرية يمكن اعتبارها عناصر وركائز هامة ومؤثّرة مكّنت الباحثين والمفكرين الإسلاميين في استخراج وتأسيس مجموعة أصول دينية ومهدوية في مجـالات تخصـصية تعني بالمجالات الفردية والاجتماعيـة مـن خـلال التـدبّر والغـوص في أعمـاق الثقافـة المهدوية، وعرض التعاليم والاساليب النظرية التي تجعل للنظرية المهدوية أيـضاً تواجـداً وحضوراً مهماً وفاعلاً فيها. وما يعرضه المفكرون والباحثون في مجال التـنظير لمختلـف المجالات من خلال اعتمادهم التعاليم والمفاهيم الدينية والمنهجيـة المهدويـة هـو تطـوير وتنمية لها، لتكون أكثر نشاطاً وحيوية، ونمواً وازدهـاراً، وستـساهم النظريـة المهدويـة وحداثتها بقوة فاعلية في تحقيق النظريـات وتطـوير الفكـر في مجـال العلـوم الإنـسانية وخاصة فلسفة التاريخ، السياسة، التربية والتعليم، العرفان، علم الاجتماع، علم النفس، علم الانسان، و بيان مستقبل البشرية والعالم، ونظائرها. ولا يتحقق هذا الأمـر إلا مـن خلال المثابرة وتحمّل الصعوبات والمشاق.

وينبغي القول هنا: بأن للدين لغـة عرفيـة وعامـة، فلـم يكـن الأنبيـاء كالفلاسـفة الميتافيزيقيين في أسلوب حديثهم مع الناس، ليكون خطـابهم غـير مستـساغ، وصـعب مستصعب، أو يضعوا الحواجز والفواصل بين الحقيقة والعمل، بـل كـانوا يتحـدثون مـع الناس بمستوى فهمهم وعقولهم، فلو حقق المفكـرون والبـاحثون في النـصوص الدينيـة وغاصوا في أعماقها كما يغوص البحّار في لجج البحار ليصل إلى لئالئ ثمينة، لوصلوا هم أيضاً إلى مباني ثابتة وراسخة من خلال اختصاصهم واستعدادهم في هذا المجال، ولكـن هذه المباني هي كالأحجار والصخور العظيمة في الجبال الـشاهقة، وكاللئـالئ الثمينـة في أعماق البحار هي بحاجة إلى مثابرة وجد واجتهاد لاسـتخراجها. وفي الحقيقـة، تكـون رغبتنا وحاجتنا إلى نظريات وأيدلوجيات وبرامج معينة في الحياة هي التي تفرض علينا البحث عن ركائز وأسس ومبادئ دينية، واستنباط واكتشاف أصول وقواعـد مذهبيـة،

ثم استخدامها للتنظير في مختلف المجالات.

وهناك فرق بين الدين والنظرية الدينية، فمع صياغة الفرضيات في النظرية الدينية تظهر فرضيات ذهنية مسبقة وآفاق وتوجهات فكرية، أما المبادئ والأسس العامة للدين فيستفاد منها بنفس شكلها الأول.

وهناك جهود ومساعي في استخدام مصطلح (النظرية) لمفهوم ومبادئ استعمالات المهدوية، حيث يمكن التنظير في مجالات عديدة ومختلفة. وهي تبيّن في الواقع وجود الحقيقة في باطن الدين، ورتبة الاستفادة منه في النظريات والسياسات العالمية.

وهناك اختلاف وتفاوت ضئيل على الأقل بينهما وهو: استخراج الجوهرة من قلب الحدث، فكما أننا نحاول فهم المصادر الدينية، ونعمل من خلال هذا الفهم معرفة مفردات وأقوال الأئمة عليهم السلام، فكذلك في التنظير. ويتطلب هذا عملاً منفصلاً وسعيا حثيثا، وجهوداً متواصلة، وكلا هاذين العملين هو نوع من التديّن، وقد أوصى بهما أئمة الدين عليهم السلام. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «هذا القرآن إنما هو خطّ مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان.»[١٠]

ففي الفهم التحليلي والاسلوب الواضح المبسّط الذي يتضمّن محتوى ومعنى عميقا وشاملا هو: أن فهم واستخراج الأصول والمباني الدينية لغرض الاستخدام لعمليات التنظير في مختلف مجالات الحياة هو من مصاديق هذا الترجمان والنطق باللسان كما ورد ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

وعلى هذا، يبدو أنه عند ذلك يمكن التعبير (بالنظرية) من خلال الاعتقاد بالمهدوية في المصادر الدينية، والاعتقاد بأنها نظرية هادفة، وليس مبدأ ونهج، لأنه كما ذكرنا: أن هناك عنصراً ومبدءاً مضافاً إلى مفهوم (النظرية) يرفع التعاليم الدينية عن مستوى الاعتقاد المذهبي المحض وهناك خلاف ونزاع مرفوض وعملي لذلك المبدأ والنهج المتميز والموقع الأساسي والبديهي يمكن جعله في عملية التنظير. فهذا الاعتقاد بالمهدوية يسمى (نظرية) لأنه أسلوب عملي في المجالات البشرية، ويعبّر عن النهج المهدوي في هذه الحالة فقط (بالنظرية). والغرض من اختيار مصطلح «النظرية» للمهدوية، ليس معناه اختيار

المصطلح الوحيد المرادف لمصطلح المنهج والمبدأ، بل المراد بـه المبـدأ والمنـهج الـذي لـه سياسات عامة ونظرة عملية في المجالات الفردية والاجتماعية. وكذا المراد بالمهدوية هـو الثقافة المهدوية، ويعم هذا المصطلح كافة العناصر المهدوية ومن جملتها: خطـاب وكـلام المعصوم عليه السلام، والتوقيعات الصادرة عنه عليه السلام، وتاريخ حضور الامام المهدي عجل الله فرجه منـذ بدايـة القرن الثالث الهجري إلى وقتنا الحاضر، والفرضيات المسبقة الكلاميـة حـول المهدويـة، وكافة المفاهيم والمناهج المستوردة عن طريـق الإمامـة والولايـة المهدويـة إلى الثقافـة الشيعية والإسلامية، لأن بعض الفرضيات المسبقة الكلامية كحضور الإمـام المهـدي عجل الله فرجه وولايته، توجب على علماء الدين وضع أبحاثهم ونظرياتهم الفقهية والكلامية في مـسير الأبحاث المهدوية واتجاهاتها.

وقد التفت الفقهاء في بحوثهم حول النظريات السياسية إلى أن الولاية في عصر غيبـة الإمام المعصوم عليه السلام هي مختصة بالإمام أو من تعيّن من قبله عليه السلام، ولا يختص هذا المنـصب لأي فرد كان في عصر الغيبة.

وعلى هذا، فالتنظير بخصوص المهدوية، ليس الهدف وحده هو الاصـغاء والاسـتماع إلى حديثه عليه السلام فحسب، بل أوسع من ذلك، والمقصود به هو التنظير حول مقام ومنـصب الامامة والمهدوية. ولا يتحدد هذا وحده كما ذكرنا بحدود حديثـه عليه السلام، بـل يعـم كافـة العناصر الموجودة حول الشخصية المهدوية.

تمايز المباني الدينية والتنظير الديني

أطلق الباحثون والمفكرون مصطلح (المبادئ) الدينية على كـل مفـردة مـن التعـاليم الدينية في المصادر المقدسة. وهي تختلف عن مرحلة التنظير الـديني، لأنهـا مـضافا إلى المصادر الدينية، فهي تـساعد علـى انـسجام المفـاهيم النظريـة ومجموعـة المعلومـات والمفروضات المسبقة والقوانين.

وقد ذكروا تعاريف كثيرة لمفهوم (النظرية) وقد دعتنا كثرة هذه التعاريف للالتزام منذ بداية البحث إلى تحديد تعريف خاصّ لها[11].

فالنظرية حكم و بيان عام وجامع تنظم مجموعة من المعلومات والمعطيات العديدة والمختلفة، وتربط بعضها مع البعض الآخر، وتخلق منها علاقات متينة ومعاني راسخة. حيث إن كل نظرية تحاول أن تثبت في استدلالها ودعواها على أنها بحاجة إلى ايجاد ارتباط مؤثر بين معطياتها.

وعلى هذا، فكل نظرية تقوم على ايجاد الصلة والارتباط بين مجموعة معطياتها وفرضياتها المسبقة، لتبيين واظهار الواقع. وكل نظرية في مجال العلوم الإنسانية تقوم على اختيار المقدمات، الأصول، المفروضات المسبقة والمبادئ بحيث أن مرحلة القبول العام لهذه المقدمات والمفروضات تضطرّ (المنظّر) لاثبات هذه المعطيات، فيكون مجرى اختيار النظرية وإثبات مبادئها أمر شاقّ وعسير للغاية، ومبهم وبحاجة إلى تفسير وجهود مستمرة وحثيثة. فكل نظرية (استقرائية كانت أم قياسية) لها مراحل في التنظير، مثل عرض السؤال، والمفروضات المسبقة، والمقدمات الذهنية، عرض أسلوب الحلول، توضيح وتفسير النظرية، وتبيين المصاديق الخارجية. ويقوم (المنظّر) من خلال اعتماده المباني الدينية بعرض نظرية خاصّة في إحدى مجالات الثقافة. فبعد أن يؤلّف بين المعلومات، ومعرفة المعطيات الدينية والنتائج في تبيين الحقائق، يلجأ (المنظّر) إلى دراسة العلاقات بين المبادئ والمعطيات خارج المنظومة الدينية والأصول الحاكمة على التنظير.

فالتنظير في الحقيقة بحاجة إلى معلومات ومبادئ تصورية وتصديقية مستوحاة من الدين، والاصول الحاكمة على عروض ومشاريع النظرية، ومرافقتها للمعلومات العلمية. وكل واحدة من هذه الأمور لها دور مهم في التنظير وايجاد العلاقة والارتباط بين المعطيات لتبيين الحقائق.

ومن هنا: قال بعض المفكرين والباحثين في المباني الدينية والعلم في التنظير ودورهما معاً: بأن التنظير الديني بحاجة إلى مبادئ وأسس دينية وعلوم بشرية ومعرفة للاصول الحاكمة على مراحل التنظير.

أسس ومبادئ التنظير

يمكن التنظير من خلال التعامل مع الأسس والمبادئ والمعلومات والمعارف البشرية في مجالات عديدة. فإن إمكان معرفة كشف الحقيقة الدينية والاعتماد على المصادر الدينية، والقلق في التشخيص الدقيق والصحيح للتعاليم الدينيـة هـي كلّهـا بحاجـة إلى التوجـه والالتفات نحو عناصر مثل المعرفة البشرية، التجربة التاريخية للبشرية، الثقافـة المتكونـة من عناصر مثل الدين والأخلاق، ومن خلال هذا التوجه والالتفات نحو هـذه الـصفات والخصائص يمكن عرض نظريات عديدة ومختلفة في مجالات عملية واجتماعية.

ويمكن التنظير في أي مجتمع كان بالاستفادة من العلوم التجريبيـة والتجربـة التاريخيـة لدى البشرية مع فارق أن التنظير في المجتمع بحاجة إلى دراسـة ثقافـة ذلـك المجتمـع ثم التنظير.

فالتنظير في المجتمع الهندي مثلاً، حيث يعبد فيه (توتم) أو التنظير في مجتمـع إسـلامي كايران، يضطرّنا إلى التعرض لنظريات مختلفة عديدة، لأن المباني والأصول الثقافية لاي مجتمع من المجتمعات مختلفة عن ثقافة المجتمع الآخر، وينبغي تحليل ثقافة ذلك البلد دون غيره، وقراءة عناصره الفكرية قراءة خاصّـة كـالعمران، الادب والفـن، توسـعة المـدن، العلاقات والروابط البشرية والانسانية، علم الاجتماع، علم الإنسان وغيرها. ولو أردنـا عرض نموذج وتصميم خاص في الفن المعماري مثلاً، فعلينا أن نمتلك ثقافة ودراية تامة للعلوم التجريبية في المجال الهندسي المعماري، وكذا مشاهدة التجربـة التاريخيـة في تلـك الآفاق، والالمام بالثقافات المعاصرة وظروفها في ذلك المجتمـع. فـلا تتـساوى التـصاميم والعروض في الفن المعماري الإسلامي مع تصاميم وعروض الفن اللا إسلامي في الجودة أبداً. وهناك أفكار تختص بالتعاليم الإسـلامية حـول الـروابط والعلاقـات الاجتماعيـة والأسرية تجعل الثقافة الإسلامية تختلف وتمتـاز عـن الثقافـات الأخـرى. وقـد اعتـبر المختصون في الفن المعماري قبل التطور وظهور الحضارات أن التعاليم الدينية هـو أمـر شخصي، ودعوا إلى اجتناب الفكر التقليدي واعتماد النظام الاخلاقي الخالد.

أما الفن المعماري الإسلامي في نظرهم، فإن مفهوم «الحريم والحدود» والقيم والأطر الاخلاقية هو محوري وأساسي.

وعلى هذا، فإن اختلاف الثقافات في مختلف الجوانب الاجتماعية يمكنها أن تسوقنا نحو تقديم عروض وتصاميم جديدة وعصرية في الحياة.

ولا يغنينا العلم والتجربة البشرية أبداً عن الثقافة التي تكون عناصرها الأصلية ومكوناتها الاساسية هي: الدين والأخلاق. ونظراً لاختلاف ثقافة المجتمعات، فإنه يمكن عرض (النظرية) على أساس العنصر الثقافي لكل مجتمع، مع الأخذ بنظر الاعتبار ذلك التنوّع الثقافي في عملية التنظير. وعلى المسلمين أن يقدموا عروضهم وتصاميمهم في مجالات اجتماعية وفردية عديدة نابعة من عناصرهم الثقافية. وأهم مشكلة تعاني منها المجتمعات الدينية في مجالات عديدة اليوم هي محو العروض والتصاميم الثقافية لعرض الحلول النظرية والعملية عن الأذهان. ولا يعتمد في هذه المجتمعات على عناصرها الحقيقية. ويشاهد هذا في مجالات ثقافية مهمة ومنها في مجال الادارة، الفن، السياسة، الفلسفة، التاريخ، العرفان، علم معرفة الإنسان، علم النفس، العلاقات الاجتماعية، توسعة وإعمار المدن، والعمران، حيث يطبّق فيها نفس الاساليب والعروض المستخدمة في الغرب. ولهذا السبب نرى أن الثقافة المحلية ومع مرور فترة زمنية كانت قد تأثرت بالثقافات الأخرى. فإذا أرادت المجتمعات الإسلامية أن تستفيد من هذه الثقافات المحلية، فمضافاً إلى تواجد واشتمال عنصري المعرفة البشرية والتجربة اللتان تمتلكان هوية سيّالة، عامّة، وشمولية وعالمية، فإن لها توجّهاً واهتماماً أيضاً بالثقافة وعنصريها الهامين أيضاً وهما: الأخلاق والدين.

وينبغي على المجتمعات الدينية اليوم الاقبال على التنظير في مجال العلوم الانسانية، فأحياناً يكون عدم وجود نظرية أو عرض وتصميم في مجال معيّن من المجالات يفسح المجال لظهور نظريات غير مشروعة ومغرضة تؤدي إلى الانحراف والسقوط. كما كان ذلك في بداية عصر ظهور الثورة الإسلامية في إيران، أي العقد الأول من بداية الثورة

الإسلامية. فعدم وجود مباني وأصول دينية في مجال الموسيقى، العمران، الفن، الادارة، والعلاقات الانسانية أدّى إلى ظهور بعض النظريات اللادينية والمضادة أحياناً للدين في هذه المجالات. ففي عصر المعلومات والمناسبات العالمية، إذ كانت الأصول والمباني صحيحة ونابعة من الثقافة والتعاليم والمبادئ الدينية في المجتمع، لكنها لا تعرض في التنظير، بل تعرض نظريات بديلة أخرى عنها نابعة من مباني فكرية في الثقافات الأخرى.

لقد كان بامكان المسلمين في الماضي أن ينظّروا في مجالات اجتماعية، علمية، وانسانية، ويقدّموا عروضا عديدة ومتنوعة في تلك المجالات، ولكن تنازلهم وعدم قيامهم بالتنظير، كان قد دعاهم إلى الاكتفاء فقط بدراسة وبيان مفردات الروايات، وعرض المفاهيم الدينية. ولم يعمّق الباحثون الشيعة في أبحاثهم ودراساتهم من خلال المحتوى والثراء الذي امتلكه الفكر الشيعي على مرّ التاريخ لتلك الأصول النابعة عن متن الثقافة في ساحات المعرفة البشرية التي لها ارتباط وثيق بالتعاليم الشيعية والاسلامية. فعلى سبيل المثال، لا شك في تأثّر تفكير الأديان في فلسفة التاريخ ببعض المفاهيم والأبحاث مثل: آخر الزمان[١٢]، مستقبل البشرية ومصيرها، المنجي والمخلّص[١٣]، أو تأثرها بفكرة المهدوية. لكن الباحثين والمفكرين الإسلاميين تأثّروا بدل ذلك في أبحاثهم حول فلسفة التاريخ ولأول مرّة بالأفكار الشيوعية والماركسية!! بل استقرض بعض المفكرين والباحثين الإسلاميين أفكاراً جديدة متأثرين في حديثهم حول فلسفة التاريخ بأفكار هيجل في جبر التاريخ، والادوار التاريخية لماركس، وبذلوا جهوداً متواصلة لادخال هذه الأبحاث في إطار الأبحاث الإسلامية. مع أن الباحثين والمفكرين الإسلاميين لو صبّوا جهودهم واهتمامهم حول فلسفة التاريخ في مصادرنا الإسلامية، ونظّروا في هذه المجالات الإسلامية، فلا شك في أن الأبحاث المهدوية ستكون في طليعة تلك الأبحاث، لأنها الركن الاساسي في الفكر الإسلامي.

لكن السبب الذي منع الباحثين الإسلاميين عن التتبع والبحث في هذه المجالات هو

عدم توجههم إلى أهمية التنظير في مجالات عديـدة في العلـوم الإنـسانية علـى أسـاس الافكار الإسلامية، وكان بإمكان المـسلمين أن ينظّـروا في حقـول الـسياسة ومجالاتهـا باستعانتهم بالمبادئ الدينية. نعم كان لعلماء الشيعة تحرّكاً واسعاً في مجال الفقه الـسياسي وعرض النظريات السياسية في الحكومة أيضاً، فقد عرضوا قديماً في حلقـات دروسـهم الفقهية بحوثا ودراسات عديدة حول المهدوية في مجال الحكومة في عصر الغيبـة. وعلـى هذا، ومن خلال الاهتمام بهذا الموضوع في أبحاثهم الاجتهاديـة، فـإن الـشيء الوحيـد والمهم الذي تعرض له المفكرون الشيعة على مرّ التاريخ وحصروه في مبـانيهم المهدويـة من خلال تنظيراتهم هو أمر الحكومة والسياسة. لقـد أهـتم هـؤلاء كـثيراً مـن خـلال أبحاثهم ودراساتهم بعرض الاساليب والنماذج في ما يخصّ مـشروع الحكومـة ونظريـة الحكومة الدينية، وبذلوا جهوداً مضاعفة في الأجابة عن التـساؤلات المعروضـة في هـذا المجال، مثل: كيفية تعامل المسلمين والمؤمنين في عصر الغيبة مع الحكام والقادة السياسيين وحكوماتهم؟ وكيف يكون وضع الحكومات في عصر الغيبة؟.

لقد كانت هناك تنظيرات عديدة في الماضي حول الحكومة. فمثلاً عرض النـائيني في عصر المشروطة قراءة جديدة ومتطورة ومنسجمة حول عناصر منهج الحداثـة والتطـور في تنظيره حول الحكومة، وبذل آخرون بعده جهوداً مضاعفة في التنظير لها على أساس مباني دينية، وأن كافة هذه النظريات هي في الواقـع نـوع تـنظير للنظـام الـسياسي في الإسلام، حيث يظهر فيها الأصل المحوري للمهدوية في تلك الأبحاث وذلك التنظير جلياً.

لقد كان آية الله النائيني من كبار المفكرين الذين رقوا سلّم المجد والشهرة بـسبب مـا امتلكه من أطروحات ونظريات وأفكار راقية في التـنظير في شـتى المجـالات والعلـوم، واستطاع تأسيس مباني قوية راسـخة قائمـة علـى أسـاس المبـاني الدينيـة في عـصر المشروطة وفترة الصراع بين النظرة التقليدية ومنهج الحداثة والتغـيير والتطـور العلمـي والتقني الذي وصل قمّته آنذاك، وكان من خلاله متفهما للوضع السياسي في عصره فهما واقعياً وحقيقياً معتمداً العمومات الأصولية والقواعد الفقهيـة كأصـالة الـبراءة، وأصـالة

الطهارة وغيرهما، المستنبطة من أقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام كالإمام الصادق عليه السلام.

وكان معتقداً بأن كل شيء لا يتعارض مع الاسلام فهو مفهوم إسلامي، واستطاع على ضوء هذه المباني الدينية في تنظيره حول مفهوم الحكومة أن يستنبط بعض المفاهيم المقبولة عند المفكرين الواعين من ذوي الشهادة والدراسات والبحوث العليا من الإيرانيين، مثل: الجمهورية، الاستفتاء العام، البرلمان، الحرية، المساواة، ومباني سياسية آخرى في عصر المشروطة، ولم يتردد لحظة في لزوم حلّ التعارض بين التقليد الديني والمفاهيم الغربية. وعلى ضوء هذا، فقد استنبط كبار العلماء باعتمادهم المصادر الدينية مثل هذه المفاهيم في اجتهاداتهم العلمية وأبحاثهم الفقهية، وكانوا منظّرين أيضاً في تلك المجالات. فكم هو عظيم أن نهتم بدراسة المفاهيم المهدوية في العديد من المجالات[١٤].

ويبدو أننا نعيش عصر التنظير، وتلك هي قواعد اللعبة. وكيفية الارتباط بسائر المجتمعات والثقافات بنحو أن المسلمين إن أرادوا التعامل مع غيرهم، فعليهم أن يعتمدوا مبانيهم الدينية في التنظير. فاحدى الاسرار الخالدة في نشر الثقافة والحضارة الإسلامية، هو تبديل نظرته واعتقاده إلى نظرية وعزم خاص، ويمكن الدخول من هذا الطريق إلى عالم الارتباطات والمناسبات الاجتماعية والجماعية، أو تثبيت واقامة فكره ونهجه.

لقد وافق الكثير من المفكرين والمؤمنين في عصرنا الحاضر على التعايش السلمي والحياة المهدوية. وبعبارة أخرى: التعايش السلمي المهدوي أو الحياة المهدوية، باعتقاد هذا المعنى وهو ضرورة توفير الاعتقاد بالمهدوية في الحياة البشرية، وان يعيّن الانسان وجهته في حياته الفردية والجماعية من خلال الالتفات والتوجه نحو الثقافات المهدوية. فلا يختصّ التعايش المهدوي بحياته الفردية وحدها، بل يعمّ ذلك أيضاً المجالات العامة والجماعية. ويلزم قبل أداء أيّ نشاط، وتطبيق أي فكر وإعماله، وبيان كيفية التعايش، جعل هذا الفكر جامعاً وعاماً، ووضع استراتيجية كلّية.

ومن هنا: ينبغي مماشاة الحياة المهدوية والانسجام معها في مجال الإدارة، الفن،

العلاقات الإنسانية، السياسية، النظرة نحو المستقبل، وفلسفة التاريخ، وابتناء التصاميم. ولا شك في أننا بحاجة إلى التنظير على الصعيد الجماعي والاجتماعي.

إن عرض هذا التنظير بحاجة إلى تواجد وحضور المباني المهدوية. فمن يعتقد بالحياة المهدوية وتواجد هذا الفكر في الحياة الفردية، لا يمكنه حصر الأصول والأسس الفكرية المهدوية من خلال تنظيره في المجالات الاجتماعية والجماعية، وسيجد مرغماً تعارضاً فكرياً، لأنه لا يمكن أن يعتقد أحد أو يشعر بالحياة المهدوية في هذا المجال، وسيرفض تواجد وحضور الأصول الضرورية للمهدوية في مجالات شمولية عامة وجماعية. فكيف يمكن لمجتمع يتجه نحو العولمة في كل شيء، ويرى كل الأمور بمنظار وأفق واسع وبمقياس كبير أن يضيّق ويحدّد الحياة المهدوية أو العيش على النمط المهدوي بنحو مصغّر أو فردي، ويكتفي بهذا النمط فقط، بأن يتجه كل فرد في المجتمع إلى حياته الشخصية ويهتم بالمهدوية لوحده؟! فكما أن عرض بعض النظريات الكبرى، أو تشجيع الأفراد في تنفيذ بعض التعاليم والسياسات المتعددة والمتنوعة بحاجة إلى النظر في أن (الدولة) أيّ المشاريع والسياسات الكبرى تريد تنفيذها وتحقيقها؟ وتتابع إنجازها؟ فالافراد لوحدهم أيضاً لا يتمكنوا من تحقيق ذلك؟ وهنالك أيضاً، مجموعة من التوجهات والمعتقدات المهدوية لا يمكن تحقيقها بدون عرض تصاميم وأساليب عامة وشمولية وجماعية. فالمجتمع الذي يتجه في حركته نحو الحياة المهدوية في مجالات اجتماعية وعالمية مختلفة سيلجأ في التنظير للمباني المهدوية بالاعتماد على نطاق أوسع ومستوى اجتماعي عالمي إن كان المسلمون يرغبون بذلك في عصر العولمة، وفي فترة تسعى فيها كافة الحضارات والثقافات عرض منتوجاتها الفكرية ونظرياتها الثقافية والحضارية في السوق العالمية، وتدعي لنفسها الحضور والتواجد في مشروع الحوار بين الحضارات. فعليها التنظير إذن من خلال استعانتها واعتمادها المصادر الدينية والثقافة الإسلامية ومن جملتها المهدوية.

الدين القوي والمقتدر

رأى الباحثون والمحلّلون السياسيون الذين يقومون بعملية ترجيح ديـن علـى آخـر بغَضّ النظر عن عرضهم الابحاث الفلسفية والتاريخية، ضـرورة قيـامهم بعـرض إجابـة مقنعة لهذا الدين عن التساؤلات والمطالبات العامة للمؤمنين والمخاطبين، واعطاء الحلول الواضحة والمناسبة في مجالات عديدة.

وبعبارة أخرى: قدرة هذا الدين على الاجابة لاثبات أحقيته وأفضليته علـى سـائر الأديان. وإلى جانب الأحقية أيضاً فهناك أهمية قصوى (للنظريـة) وانتزاعيـة الأديـان. وهذا الاسلوب يبتني على فرض مسبق يختص وحده بأبحاث نظرية منتزعـة في مجـال معرفة الأديان واثبات الأحقية التاريخية.

إن الدين لدى الإنسان المعاصر هو ليس حلاً مناسباً وهدفا لاختيار الدين الأفـضل، بل أن على الدين إرضاء الآخرين والاستجابة لمطاليبهم وتـساؤلاتهم. فالـسبب الـذي دعا البعض يلتحقون بالأديان الجديدة. ويقبلونها أحياناً هو تصور أن هذا الدين الجديد يمكنه أن يلبي طموحاتهم ورغباتهم، وأنه يمتلك عنصر قوة تفوق كلّ الأديان، مما جعلهم يتركون دينهم القديم ويعدلون إلى الدين الجديد، والقاء نظرة موجزة لأتباع الغرب حول الديانات الشرقية كالبوذية والهندوس وتائو أثبت أن وجود حالة التعامل والتعايش كان سبباً في اتجاه ولجوء بعض الغـربيين نحـو الـديانات الـشرقية، وقـد وجـدت مجموعـة الديانات هذه مرهماً لتضميد جراحهم، وايجاد الحلول عن تـساؤلاتهم. فهـل أن الـدين الذي يدعي الأفضلية قادر على هداية البشرية في المجالات الاجتماعية، لكنه عاجز عن التنظير؟! أو ليس له أي أثر للتنظير في المـسائل المختلفـة؟!. ومـن البـديهي أن أتبـاع الأديان إن لم يكونوا قادرين من خـلال استعانتهم بالاصـول الحاكمـة علـى المنـاهج والمباني الدينية ـ على عرض نماذج وأسـاليب ونظريـات قويـة ومبرهنـة في مجـالات مختلفة في الحياة، فسيعجزون حتماً عن إثبات أفضلية هذا الدين، وأحقيته علـى سـائر الأديان.

وقد ذكرنا أن هذا الدين يمتلك القدرة الكافية والاستعداد والقابلية التامة في الاجابة على تساؤلات المؤمنين في المفاهيم الدينية، ولكن بما أن مدافعي الأديان وأتباعها يعتقدون بقدرة أديانهم في عرض السياسات العامة والمباني والمفاهيم الإسلامية، فعليهم ومن خلال إبداعهم القيام بذلك، وعرض نظريات ونماذج في مجالات خاصة مستمدة من الثقافة والمباني الدينية. ومن هنا: يستلهم المدافعون وعلماء الدين من تلك المصادر الدينية عمليات الكشف عن نظريات جديدة وعصرية، أو إثبات تلك النظريات. فلا يمكن لمسلم أن يرتضي حلولاً من «نهج البلاغة» مثلاً في الادارة، ولا يبذل جهداً في استخراج ومعرفة كلام الإمام عليه السلام أو القدرة على التنظير؟! فادعاء الأفضلية والقدرة والقابلية الذاتية في الأديان يقتضي في الواقع بذل الجهود والمساعي من قبل العلماء والمفكرين ورجال الدين لاستخلاص الحلول واستخراجها، وهذه الآفاق والاتجاهات الواسعة في النظرة والمفروضات المسبقة دعتنا ننطلق من منطلق التنظير لاستثمار الثقافة الدينية واستيعابها وجعلها في متناول الشعوب والامم.

حدود التنظير المهدوي

كانت فكرة المهدوية من القضايا التي أُسِّسَ فهمها في التاريخ، واستغلت من قبل أصحاب المطامع المتسوّقين والباعة الانتهازيين والجهلة. وقد كان لهذه الفكرة معطيات ونتائج عملية في التاريخ الثقافي الإسلامي، ولكنها وكغيرها من الأفكار تعرضت للكثير من المخاطر والأضرار دائماً، وعلينا معرفة تلك المخاطر والاضرار ودراستها بموضوعية والبحث عنها.

فربما تظهر مثلاً بعض الحركات والاتجاهات السياسية الموافقة أو المناهضة للحكومات في التاريخ تدعو لكسب الشرعية لنفسها، او توجيهها، واختيار أنصار وموالين لها بطرق عديدة، ربما تسيء «للمهدوية» بأن تتخذها طابعاً وعنواناً استغلالاً

لهذه الفكرة العالمية، فيدعي أصحابها أن كلاً منهم (المهدي) الموعود، أو أنهم نواب الإمام عليه السلام في عصر الغيبة، وأنهم الباب، أو أنهم مخولّون شخصيا من قبله عليه السلام للقيام بمهامه بمباشرة! ويلتقي بالأمة لمعرفة احتياجاتها ويكون وسيطاً لهم معه عليه السلام.

و على هذا، فالمهدوية ككثير من الظواهر والأحداث كما ذكرنا ـ يمكن أن تصاب بالتلوث والأضرار والآفات الحادة والخطرة تنعكس آثارها على المجتمعات البشرية سلباً. فيمكن مثلاً أن تكون أبرز وأشهر الظواهر الدينية والأحداث والنظريات التي تتحدث حول العالم، وعن النمو والازدهار وتطور البلدان وحضارات الشعوب والأمم، تصبّ في الجانب السلبي بسبب الاستغلال والاساءة في التصرف والتعامل، ولذلك يرى بعض المستشرقين أن المهدوية هي الحركة السياسية الوحيدة التي شكّلت لها قواعد واتخذت لها أتباعاً ومناصرين في اتجاهاتها السياسية. والهدف من التنظير على أساس محدد ومعين للمهدوية وإن ضمّت أيضاً الفلسفة السياسية هو ليس عرض نماذج ومعطيات صنفية وحزبية في المجال السياسي وشكل الحكومة، لأنها لا تختصّ بهذا الجانب وحده. فمن خلال التنظير والاعتماد على النظرية المهدوية ينبغي ايجاد الحلول النظرية في استخدام هذه المفاهيم والتعاليم والمباني الدينية لحلّ معاناة البشرية ومشاكل المجتمعات الدينية. ولو تصور ان التنظير السياسي من خلال النظرية المهدوية هو بمعنى اصدار مرسوم وبيان حزبي أو كتلة سياسية معينة، فلا يفيد الجانب النظري للفكر المهدوي فحسب، بل سيقلل من أهميتها، لأن النظرية المهدوية هي ليست مرحلة زمنية محددة تنتهي لفترة ثم تعاود اتصالها بالأمة، وليست حدثا ومجرى سياسياً خاصّاً يستفاد منه في فترة زمنية محدّدة؛ بل إن هذا المفهوم العملي والتخصيص في معرفة الاديان هو لكافة العصور ومختلف الأزمنة والفترات التاريخية.

وربما يكون هناك تنظير سياسي قائم على أساس النظرية المهدوية بنحو هامشي وبنوعه الدبلوماسي (الداخلي والخارجي) في فترة زمنية محددة، يساعد على التقليل من أهميتها وقيمتها.

فما هي المفاهيم والمباني النظرية الدينية؟ وبعبارة أخرى: ما هو التنظير المهدوي؟ وما هو دور كل من تلك المفاهيم والمباني الدينية؟ فهل أن النظريات والنماذج والاساليب نابعة من تلك المفاهيم والمباني الدينية؟ أم أن التنظير أمر خارجي، يقوم بتحقيقه وايجاده جماعة من المفكرين والمختصين في هذا المجال؟ ولا نصيب لتلك المفاهيم والتعاليم الدينية في تشكيل وتوجيه هذه النظريات والنماذج؟

اعتقد بعض المفكرين المنظّرين بأن النظريات الدينية تستخرج من أعماق وروح التعاليم الدينية، ولا يرون أن النظريات والفرضيات يتم توليدها وكشفها من أعماق وروح التعاليم الدينية، ولهذا عرّفوا النظرية الدينية:

> بانها مجموعة من المفاهيم والحلقات المرتبطة مع بعضها، والمستمدّة من الكتاب والسنة القادرة على هداية وتوجيه الأنشطة العملية[١٥].

ومن خلال هذه النظرة، فإنه يمكن استخراج النظريات من روح المفاهيم والمباني الدينية وذاتياتها، أي إمكان استخراج نماذج ونظريات من المصادر والمتون الإسلامية الاساسية كالقرآن والسنة النبوية الشريفة ومباني الثقافة الإسلامية، وعدم التمحور في التنظير الديني على المعرفة التجريبية والعلمية، بل إن النظريات الدينية تابعة للمباني والأصول الإسلامية[١٦]. ويستفاد في التنظير الديني مضافاً إلى السياسات العامة والشاملة والحلول الدينية، كون الدين متعهداً ببيان المفاهيم السامية والراقية والنظرة الكونية الالهية الخاصة، وعدم الاستغناء عن المعارف والعلوم البشرية التي هي خارج المضمون الديني والمصادر الإسلامية المبنية على الاختصاصات اللازمة في مجالات عديدة. وينبغي الاحاطة اللازمة والتامة لدى بعض الافراد بالأدوات العلمية في عمليات التنظير في المجالات العلمية العديدة، وإن كانت هذه المعارف لا تخصص لنفسها محورية التنظير الديني أو المهدوي. وكذلك ينبغي في التنظير الديني اتخاذ السياسات والمفاهيم العامة الدينية التي لا تنجزأ عن الثقافة، والمؤثرة في حركة الحياة الاجتماعية والفردية. وينبغي على المنظّرين أن يضمنوا استمرار المباني والمفاهيم الدينية في تجربتهم العلمية، من

خلال عرضهم المفاهيم الدينية، العقائد، النظرة العالمية والكونية الخاصة. فهـذه المفـاهيم تتماشى وتنسجم في نفس الاتجاه مـع العلـوم الإنـسانية في التعامـل وفي خدمـة العلـم الشري. وقد نتجت الثقافة والحضارة الإسـلامية مـن خـلال تلفيـق وارتبـاط هـذين المفهومين. فعلى رغم اسـتفادة واسـتثمار العلـوم العقليـة البـشرية في الثقافـة الدينيـة، فإن هذه المفاهيم الدينية تنفصل عـن سـائر الثقافـات المبنيـة علـى العلـم والعقلانيـة المحضة. وعلى ضوء هذه الرؤية، تمتلك الثقافة المهدويـة أصـولا ومبـاني عمليـة تمكّـن المفكرين والباحثين من خلال استثمار هذه المباني والقواعد العامة في تقويـة تـنظيراتهم وتعميقها والاستدلال بها. ومن خلال هذا، فإن استخدام العقلانية والعلوم البـشرية هـو أمر ضروري.

اعتقد «ابن سينا» أن العقل البشري له نشاط فعال ومتزايد في الحكمة النظرية أيـضاً، ويعدّ ملاكا في الحكم، أما نصائح الـشريعة ووصـاياها فهـي في رأيـه أوامـر ارشـادية وتنبيهية.

أما في الحكمة العملية، ففد بيّن أن الشريعة والـدين همـا مبـدء وكمـال في الحكمـة العملية، وأن دور العقل البشري يأتي بعد بيان الشريعة في استنباط القوانين العملية حيث قال: إن مبدأ العلوم الثلاثة (الحكمة المدنية، والمنزلية، والخلقية) مستوحاة من الـشريعة الالهية، وتتضح كمالات حدودها على ضوء الشريعة. وبعد بيان الشريعة لها، تقوم القوة النظرية باستنباط القوانين العملية، وتعيّن استعمال هذه القوانين في الجزئيات[١٧].

وبناء على هذه الرؤية، ينبغي على المهندس في مجال العمران أن يحيط إحاطـة تامـة بخصائص العمران، ولكنه لو أراد الهندسـة في الثقافـة الإسـلامية، فعليـه أن ينتبـه إلى العناصر الإسلامية والسياسات الدينية العامة بين الرجـل والمـرأة، والـروابط الأسـرية، والعلاقات بين أفراد العائلة والآخرين، وبعبارة أخرى: الثقافة الدينية لكافة أفراد الأمة. وسيضطره هذا الأمر إلى بيان أسلوبه ونموذجه الهندسي الـذي يقتـرب مـن الأسـلوب المتناسب مع العناصر الثقافية الإسلامية.

وعلى هذا، فلا تنفي العناصر الثقافية والإسلامية للعناصر العلمية والتخصصية، بل تحدد جهتها وتوجهها نحوها، وتكمل بعض المفاهيم كالعلم والتجربة.

إن التنظير بحاجة إلى مفكرين ومنظّرين من ذوي الاختصاص والكفاءة في مجالات عديدة ومتنوعة، وإن عليهم اعتبار المفاهيم الدينية التي هي أهم شواخص عناصر الثقافة التي بها تواجد وحضور نشط في التنظير خاصة في مجال الحكمة العملية.

فهل أن الثقافة المهدوية لها تواجد وحضور في كافة المجالات بكافة مبانيها وإطاراتها الفكرية؟ وأنها قادرة على التنظير؟ بحيث يمكن التنظير من خلال النظرية المهدوية في بعض المجالات العامة وخاصة في مجال العلوم الإنسانية، ووضع التصاميم وأساليب ونماذج الاحتذاء في المجالات خاصة في مجال العلوم الإنسانية والحكمة العملية؟

إن هذه الرؤية في الحقيقة حول التنظير المهدوي في المجال الديني مهمّة مهم جداً. وعليه، فالنظرية المهدوية في بعض مجالات التنظير تساعد على تنشيط وانضاج بعض النظريات من قبل المفكرين والباحثين، وإن كان للعقل البشري نشاطاً ومعطيات كما قال ابن سينا في مجالات عديدة كالحكمة النظرية. وتعني المفاهيم الدينية الارشاد والوصايا. وعليه، فالتنظير يمكن إثباته عقلاً من خلال الدين والتعاليم المهدوية، وقد غفلت عنها كثير من المجتمعات الدينية.

ان ماهية المفاهيم العملية للثقافة المهدوية في كل مجال هي بحاجة إلى الاختصاص والبحوث والدراسات لذوي الاختصاص والفن في مجالات عديدة ومتنوعة، للكشف عن تلك المفاهيم بعد البحث والتحقيق في الثقافة المهدوية، حيث تعرض هذه المفاهيم المهدوية في كل من تلك المجالات خطابات وقواعد لتنظير المنظّرين والمفكرين، بحيث يمكن تعديل أو عرض نظرية في نظام الادارة، السياسة، حقول علم الإنسان وعلم الاجتماع، وذلك من خلال حديث أو خطاب مهدوي كما قال ﷺ لأحد العلماء «ارخص نفسك»[18] أو ما روي عنه ﷺ: «**يوطئون للمهدي سلطانه.**»[19]

الفرق بين التنظير المهدوي والتنظير حول سائر أئمة الدين الأطهار عليهم السلام

لماذا وردت التوصيات في التنظيرحول الثقافة المهدوية حدها؟ وهل أن هناك خصوصية وصفة معينة في الثقافة المهدوية كانت قد حددت التنظير فيها دون غيرها؟

إن هناك تنظيرات عديدة قد عرضت حول الثقافة المهدوية إلا أنها لم تختص بالمهدوية وحدها، وكذلك نظرية الامامة، ولكن خصص بعض المنظّرين هذه التنظيرات بالثقافة المهدوية، وليس هناك اشتراك لسائر الأئمة في هذه المجموعة من الأبحاث والتنظيرات مع الامام المهدي عجل الله فرجه.

لقد اعتبرت الامامة المهدوية وعلى خلاف إمامة سائر الأئمة عليهم السلام على أنها أمراً حيوياً وحدثاً مهماً، حيث ان الامامة والادارة العامة والخاصة للمؤمنين بيده عليه السلام، أي منذ وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام إلى عصرنا الحاضر، وقد سلّطت الأضواء على أفكاره في عصر غيبته وحضوره عليه السلام.

كما ورد في وصايا الأئمة عليهم السلام ضرورة النظر والاهتمام بافكار وحديث الإمام في عصر امامته عليه السلام. ومضافا إلى ذلك، فإن من خصائص مسئلة المهدوية كونها تمتاز عن إمامة سائر الأئمة عليهم السلام في بعض الخصوصيات. فمن جملة هذا الاختلاف: نظرة الشيعة لفكرة الحكومة العالمية، مشاهدة تأثير ومعطيات ونتائج مفهوم الانتظار في عصر الغيبة، معرفة تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة، دراسة متطلبات الدين ومعاناة الأمة وكيفية التحضير للحكومة العالمية وهذا ناتج عن الوصايا المهدوية، وهي مبنية على الفرضيات الكلامية المسبقة في الاعتقاد بالمهدوية. ويمتاز هذا المفهوم الكلامي عن اعتقاد ذلك لسائر الأئمة عليهم السلام. ورغم أن التنظير حول الإمامة أو نظرية الإمامة لايختص بفكرة المهدوية، بل يشترك فيه سائر الأئمة عليهم السلام، لكن لا شك في أن الثقافة المهدوية تمتلك خصائص وعناصر كانت قد حددت مجال التنظير فيها لوحدها. فمثلاً وكما تقدم ذكره، استدل علماء ومفكروا الشيعة في أبحاثهم الاجتهادية والفقهية حول مسئلة الحكومة والنظام السياسي الشيعي ببعض الفرضيات الكلامية في كافة مراحل التاريخ، وذكر كبار الفقهاء

ولاية الإمام المهدي عجل الله فرجه في جميع نظرياتهم السياسية والفقهية، ونظرياتهم حول الحكومة، وهناك ومبنى كلامي مباشر مفتق عليه في كافة نظريات كبار الفقهاء على مر التاريخ وهو: ولاية الإمام المعصوم، وكسب الشرعية لكل حكومة تستمد من شرعيتها الإمامة المهدوية. وعلى رغم انحصار الامامة المهدوية في مجال التنظير السياسي، لكن هناك توجهاً خاصاً أيضاً لمسئلة الامامة وخاصة المهدوية في سائر المجالات كالأدب العرفاني. فقد أوصل العرفاء سلسلة حلقاتهم وأبحاثهم إلى الإمام المعصوم عليه السلام ونسبوها له، وهم معتقدون بأن الولاية التامة في عصر الغيبة منحصرة في الإمامة المهدوية الكبرى، وأن كل ما خصصوه للإمام الحي والحاضر، فلا يقولوا بأنه مختص بغير الأئمة وقادة الدين الذين كان لهم شأن ومنزلة في عصرهم كالامام المهدي عليه السلام فمن الطبيعي أن قول الامام الصادق عليه السلام: «**لو أدركته لخدمته أيام حياتي**» إنما يحكي عن ولاية خاصة للإمام المعصوم في عصر إمامته، بنحو أن الإمام الصادق عليه السلام كان يرى تعلق الولاية في عصر الظهور به عليه السلام، وهو يرضخ بنفسه لولاية الإمام المهدي عليه السلام. ويتمنى أن يكون تحت لوائه. ولم تكن الامامة في الحقيقة في أيّ فترة من فتراتها في اثنين من الأئمة عليهم السلام. فعندما كانت الإمامة إلى جانب النبوة فقد كانت متعلقة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وكان علي عليه السلام يخضع لولايته صلى الله عليه وآله ولما تعينت الإمامة في الحسن عليه السلام كان الحسين خاضعاً لولاية أخيه الحسن عليه السلام.

وتشير هذه النماذج المذكورة إلى أن التنظير حول المهدوية يختلف عن التنظير حول سائر الأئمة عليهم السلام. فقد حمل الإمام المهدي عجل الله فرجه أعباء الولاية وثقل الإمامة منذ القرن الثالث الهجري إلى عصرنا الحاضر، ولهذا لقّب عجل الله فرجه بأنه ولي العصر والزمان عجل الله فرجه، فنسب إليه الزمان. ويستند التنظير في المجال الفردي والجماعي في هذه الفترة الطويلة على محور شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه وإمامته، حيث ينبغي التوجه والاهتمام بولايته الخاصة عجل الله فرجه في بعض المجالات، ويمكن التنظير بشكل عام في بعض المجالات، واعتماد التعاليم الدينية والاعتقادية الإسلامية.

أما التنظير في مجالات لسياسة، فلسفة التاريخ، مستقبل البشرية والعالم، العرفان والانتظار، فينبغي التوجه إلى شخصية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ولا يجوز التنظير في هذه المجالات على محور إمامي غير الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الهوامش

١. تيتوس بوركهارت، مباني الفن المعنوي، ترجمة علي تاجديني، ص٦٥، الطبعة الثانية، قسم الدراسات والبحوث الدينية والفنية، طهران، ١٣٧٦.

٢. جان مك كواري، مارتين هايد كر، ترجمة محمد سعيد حنائي الكاشاني، ص٤٩، كروس، طهران، ١٣٧٦.

٣. المصدر السابق، ص٤٩ـ٥٠.

٤. محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص١٣، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، بيروت، عام١٩١٣هـ ج٢: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير.

٥. هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، السيد جواد الطباطبائي، ص ١٠٥ ـ ١٠٦، الطبعة الثانية، كوير، طهران، ١٣٧٧ش ق.

٦. حامد إلجار، ايران والثورة الإسلامية، ترجمة الحرس الثوري، دار نشر الحرس الثوري، ص١٤ـ١٥.

7. Richard Comstock, the encyclopedia of religion, aditad by mircea eliade, Macmillan publishing company, new york, 1987, vol4,pp. 384-385.

٨. اعتقد بعض العلماء والمفكرين أن العلوم التجريبية تختلف عن العلوم الإنسانية، فهي تضم مبادئ وأصول وأساليب محدّدة، وهي مبنية على الاختبار ووقوع الخطأ فيها. والتنظير فيها يختلف عن التنظير في العلوم الانسانية. ومن خلال هذا الاعتقاد والتصور سيكون بحث التنظير في مجال العلوم الإنسانية خارجاص عن بحثنا في هذه المقالة.

لأننا نقصد بالتنظير هنا هو في مجال العلوم الإنسانية، وهناك بعض المنظّرين لا يرون فرقاً بين نظريات العلوم التجريبية مع نظريات العلوم الإنسانية، وأن التنظير في أي مكان يتضمن ديناميكية ونظام متساوي.

٩. الدكتور السيد رضي موسوي الجيلاني، النظرية المهدوية، مؤسسة الإمام المهدي الموعود الثقافية، طهران، سنة ١٣٤٨، ص٥٨ ـ ٥٩.

١٠. علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥.

١١. من جملة التعاريف المذكورة لـ (النظرية) هي:

أ) أنها مجموعة من المعارف العقلية المحضة، بينها نوع ارتباط منطقي ومنهجي، والمعنى النظري يقابل المعنى التجربي تماماً.

ب) الفرضية أو فرضيات القوانين التي لها ثبات نسبي، أو القوانين القطعية، او كلاهما حاكمان عليها، أو تلك الفرضيات التي تحيط بتلك القوانين النسبية القطعية.

ج) مجموعة من الفرضيات المرتبطة مع بعضها وقد ثبت صحتها.

د) كل تعريف، فرضية، أو فرضيات عامة وكاملة حول موضوع يستخرج منه مجموعة فرضيات منظمة،

مرتبة ومحدودة بنحو منطقي.

هـ) مجموعة من المفاهيم المرتبطة مع بعضها وتعاريف وفرضيات مبيّنة لبعض الظواهر والأحداث الخاصّة باسلوب منتظم بنحو تفسّر تلك الارتباطات الموجودة بين عواملها المتغيرّة لهذه الظاهرة والحدث، وتتنبأ ظهوره في المستقبل.

و) مجموعة مفاهيم متحدة ومنسجمة، حيث أظهرت التحاليل أنها تقع مع خواص أو أعمال معروفة ثم يعتمد عليها كمباني للبحث في أبعاد مجهولة أخرى.

ز) مجموعة من المفاهيم والقواعد المتصلة مع بعضها، أو المستمدة من الكتاب والسنة قادرة على هداية وتوجيه الممارسات العملية.

(عبد الرحمن صالح عبد الله، النظرية العامة للتربية، الرؤية الإسلامية، غلام رضا متقي فر، وأسد الله الطوسي، مجموعة خطوات نحو التنظير في التربية والتعليم الإسلامي، ص١٥٢ـ١٥٣. مؤسسة الإمام الخميني للتربية والدراسات والبحوث، قم، ١٣٨٠ش ق.

12. apocalyptic
12. eschatology
13. messianism

١٤. الميرزا محمد حسين النائيني، تنبيه الأمة، تنزيه الملّة، تحقيق السيد جواد الورعي، ص٣٩ـ٣٩، بستان الكتاب، الرقم: ١٣٨٢ش ق.

١٥. المصدر السابق، ص٣٣٤.

١٦. عبد الرحمن صالح عبد الله، النظرية العامة للتربية، روية اسلامية، ترجمة غلام رضا متقي فر، وأسد الله الطوسي، خطوة نحو التنظير في التربية والتعليم الإسلامي، ص١٥٣، المؤسسة التعلمية والتحقيقية للإمام الخميني، قم، ١٣٨ش ق.

١٧. ابن سينا، مجموعة الرسائل، رسالة عيون الحكمة، منشورات بيدار، قم، ١٤٠٠ ش ق، ص ٣٠.

١٨. خرج توقيع من الإمام المهدي عجل الله فرجه لآية الله الحاج السيد أبي الحسن الأصفهاني ورد فيه: «قل له: ارخص نفسك، واجعل مجلسك في الدهليز، واقض حوائج الناس، نحن ننصرك». محمد شريف الرازي، كنز العلماء، الانتشارات الإسلامية، طهران، ١٣٥٣ش ق، ج١، ص٢٢٣.

١٩. بحار الأنوار، ج٥١، ص٨٧.

٢٠. بحار الأنوار، ج٥١، ص١٤٨، ح٢٢ سئل أبو عبد الله عليه السلام: «جعل ولد القائم؟ قال: لا، لو أدركته لخدمته أيّام حياتي».

الإعتقاد بالمهدي عليه السلام ومعطياته التاريخيه

فاطمة خزرجي النجفي

نبذة

إنّ نور الأمل الذي ينير دائماً أعماق الروح البشرية و يمنح الإنسان عنصر القوة في مواجهة التحديات الصعبة التي يفرضها الواقع، هذا النور يأخذ بيد الإنسان الذي يعيش متاهات الحياة في حركة الواقع ويسلك به في خط الكمال المعنوي و الروحي في أجواء الانفتاح على الله والإيمان. لولا الأمل فإنّ الإنسان لا يجد في نفسه دافعاً للسير في خط المسؤولية و تحمل الصعوبات والعمل من أجل المشكلات و السعى لكشف خواص المادة و قوانين الطبيعة، فكل ما نراه من حركة في دائرة الزراعة والصناعة والفنون المتنوعة والعلوم المختلفة وغيرها من مظاهر النشاط البشرى، ناشيء ببركة نور الأمل الذي يعيشه الإنسان في واقعه الباطني كسنّة إلهية في حركة الحياة، إلّا أنّ أكثر

أو كلّ الناس ـ إلّا ما ندر ـ يبتعدون عن هذا النور. و لذلک نرى أن شمس الأمل عندما تشرق على أرض النفس البشرية المظلمة و تنير زوايا الروح المتعبة، تستيقظ قوي الخير فيها و يمنحها الأمل صفاء و حيوية و عزماً و استقامة في واقع الإنسان و حركته في خط المسؤولية و الإيمان.

المفاهيم الأصلية في البحث:

المهدي، معطيات التاريخية، الموعود، آخر الزمان.

المقدمة

إنّ الاعتقاد بالمهدي و انتظار ظهور الموعود في آخر الزمان، يحتل في ثقافتنا الدينية مكانة خاصة و ممتازة، فمضافاً إلى أنّ هذه العقيدة تعكس واقعاً في عالم الوجود و تحكى عن وعد إلهي جازم لا يقبل النقض، فإنّها تمنح الإنسان نور الأمل في واقع الحياة، و على ضوء ذلک فإنّ تشكيل المجتمع المثالي بمعايير أخلاقية و إنسانية بحيث تسود فيه العدالة و ينعدم فيه الظلم و الجور، كان ولا يزال يمثّل حُلماً في وعى البشرية جمعاء، ولذلک فكّر الإنسان منذ قديم الزمان باطروحة المدينة الفاضلة، والمفاهيم و التصورات التي تنطلق من هذه الفكرة التاريخية تتحدث عن حقيقة حاسمة، و هي ضرورة الوصول إلى تحقيق هذه المدينة المثالية[1] على أرض الواقع الاجتماعي. و من هنا كانت المدينة الفاضلة بخصوصياتها المثالية مطروحة في دائرة الفكر الفلسفي لدى عامة الفلاسفة والمحققين.[2]

إنّ التطلع إلى عالم مثالي والحياة في أجواء الفضيلة كانت مورد اهتمام جميع الأديان والمذاهب ولم تكن من افرازات الخيال، فينبغي تتبع معطيات هذا المفهوم في واقع المجتمعات البشرية. و أحد أهم المسائل التي وقعت مورد اهتمام المفكرين في أجواء المعارف الإسلامية و على مستوى كافة المذاهب و الفرق الإسلامية المختلفة هي مسألة المهدوية.

فإنّ الإمام المهدي عليه السلام في الواعى الإسلامى يمثّل أمل المستضعفين و شوكة في عيون المستكبرين وقوى الجور، وسوف تتسع عدالته لتشمل جميع أرجاء المعمورة حيث تجف

جذور الجهل و ينتهى عصر الحكومات الظالمة و تعيش البشرية في أجواء عدالته الشاملة.

ملاكات الاعتقاد بالمهدي عليه السلام

أمّا من حيثالأدلة النقلية والنصوص القرآنية التي يمكن الاستدلال و الاستناد بها لإثبات صحة الاعتقاد بالمهدي وحتمية ظهوره فبالإمكان تقسيمها إلى:

١. الآيات التي تدلّ على أنّ الإرادة الإلهية والمشئية الربانية تعلقت بهذه الحقيقة، وهي أنّ المستضعفين سيرثون الأرض بعد هزيمة الطواغيت والمستكبرين وفي ذلك يقول تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.[٣]

وبديهي أنّ هذه الإرادة الإلهية عامة وشاملة ولا تختص بقوم بني اسرائيل وفرعون وهامان اللذين استضعفا بني اسرائيل، فهذه الآية شاملة في مضمونها جميع المستضعفين بشكل عام حيث تشملهم العناية الإلهية في تحقيق هذا الوعد، وهذا من جملة السنن الإلهية، ومن الواضح أنّ ظهور المهدي الموعود يمثّل منّة على المستضعفين لتحقيق غلبة المستضعفين على المستكبرين و يعدّ مقدمة لتحقيق وراثة المستضعفين وخلافتهم الإلهية على الأرض.

٢. الآيات التي تتضمن هذه الحقيقة، وهى وعد الله تعالى بأن المستضعفين سيخلفون و سيرثون الأرض، وقد ورد هذا الوعد الإلهي للصالحين والمتقين في أقدم الكتب السماوية بأنّهم سيرثون الأرض ويكونون قادة الأُمم، من قبيل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[٤]

٣. الآيات التي تتضمن هذه البشارة، وهي أنّ الإسلام سيغلب سائر الأديان من

موقع الهيمنة والشمولية وأنّ نور الله الذي هو الـدين الإسـلامي والحكومـة الإسـلامية سيعم جميع المجتمعات البشرية فيما يمثّله من أصول وفـروع ودسـاتير وأحكـام وقـيم، وذلك بموجب قوله تعالى:

١. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.[٥]

٢. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُـورَ اللَّـهِ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَيَـأْبَى اللَّـهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُـورَهُ وَلَـوْ كَـرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[٦]

٣. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.[٧]

٤. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[٨]

هذه الآيات الشريفة وآيات أخرى، مضافاً إلى دلالتها على استقرار دين الله في جميع بقاع الأرض حسب ما تتوقعه من مستقبل زاهر للبـشرية جمعـاء، فإنّهـا تـدلّ حـسب المدارك والتفاسير والأحاديث المعتبرة على وقوع نهضة إنسانية عظيمـة بقيـادة الإمـام المهدي عليه السلام، حيث ورد في الكثير من هذه الأحاديث في كتـب أهـل الـسنة مـن قبيـل «شواهد التنزيل» الذي جمع فيه «٢١٠» آية نزلت في حق أهل البيـت عليهم السلام، وذكـر فيـه أكثر من ١١٦٠ حديثاً يتصل بهذه الموضوع أيضاً.

ويعدّ السيد هاشم البحراني من جملة المحدّثين المرموقين والعلماء الكبـار الـذي ألّـف كتاباً في هذا الموضوع جمع فيه الآيات التي نزلت في الإمام المهدي عليه السلام وسماه «الحجّـة في ما نزل في القائم الحجّة» وقد ذكر في هـذا الكتـاب أكثـر مـن ١٠٠ آيـة مـع جملـةمن الأحاديث الواردة في تفسير كل آية منها، وعلى هذا الأساس فإنّ العقيـدة بالمهـدي في المنظور القرآني، ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الآيات الشريفة والتدبر في مضامينها وما ذكره العلماء في التفاسير والكتب الروائية، تعدّ أمراً ثابتاً وغير قابل للانكار.

الاعتقاد بالمهدي عليه السلام في روايات أهل السنّة

إنّ مسألة المهدي الموعود عليه السلام وانتظار الفرج وتشكيل الحكومـة العالميـة لا يخـتص

بالدين الإسلام أو بالمذهب الشيعي وعقيدة أتباع أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، بل إنّ هـذا الموضوع قد كان موضعاً للبحث والدراسة على نحو الجدّ و قد ورد قبل ديـن الاسـلام بهذه العناوين: مبشر، منذر، مصلح العالم، مؤسس الحكومة العالمية و... في كتب الفلاسفة والمفكّرين والمؤرخين وأرباب الديانات الإلهية فيما تمثّله هذه العقيدة من مسألة تستحق الدراسة والتأمل، ولكننا في هذا المجال نقتصر بدراستنا هـذه علـى مـا ورد في الفكـر الإسلامي وأحاديث الفريقين من الشيعة وأهل السنّة.

إنّ مسألة المهدوية من جهة ابتنائها على الأحاديث المعتبرة والمتواترة تعـدّ في غايـة الوضوح والبداهة، فقد وردت روايات وأحاديث كـثيرة في كتـب الحـديث والـصحاح والجوامع والسنن و المسانيد و الأصول لدى الشيعة وأهل السنّة،[٤] فمنذ عـصر الرسـالة إلى زماننا هذا كان صحابة النبي وبعـدهم التـابعين وتـابعي التـابعين وسـائر الطبقـات الأخرى ينقلون هذه الأحاديث نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل.إنّ كثرة وتعـدد وتنـوع هذه الروايات وورودها بطرق وطبقات مختلفة يدلّ دلالـة قاطعـة علـى عـدم وجـود احتمال تباني الرواة على الكذب في نقل هذه الأخبار وبالتالي فمـع غـض النظـر عـن وثاقة وأمانة الرواة فإنّ فمسألة جعل هـذه الأحاديـث لا يـدخل في دائـرة الاحتمـال العقلاني.

الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه لدى فرق أهل السنّة

إنّ مسألة المهدوية تعتبر مورد قبول جميع فرق أهل السنّة، وخاصة إننا نرى تـدوين كتب متعددة منذ صدر الإسلام ولحدّ الآن في هذا الخصوص. والسبب في الاهتمام بهذه العقيدة ينبغي أن ندرسه في إطار هذه الحقيقة، وهـي أنّ موضـوع المهـدي الموعـود عجل الله فرجه وظهوره في آخر الزمان قد ورد على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكذلك تحدّث به الكبار من الصحابة والتابعون وتابعو التابعين جيلاً بعد جيل إلى زماننا هذا. ويمثّل هـذه الموضـوع إحدى أكبر البشارات الإسلامية المهمة للبشرية. ولـذلك نجـد هـذا الكـم الهائـل مـن

الأحاديث الشريفة الواردة في مسألة المهدي الموعود وكذلك كثرة الرواة بحيث أدّت إلى أن يعتقد علماء الحديث والحفاظ الكبار من أهل السنّة بتواترها، ومن هذا المنطلق كانت مسألة المهدي الموعود مسألة حتمية ويقينية، وحتى أنّ علماء اللغة أشاروا إلى هذه الحقيقة في كتبهم ومصادرهم اللغوية، ومن ذلك ما ذكره: لسان العرب، وتاج العروس في ذيل كلمة المهدى[10] حيث ذكروا روايات تحدثت عن مؤسس الحكومة العالمية الواحدة، وما ورد في منابع أهل السنّة عن هذه الحقيقة لا يقلّ عن روايات الشيعة، وهنا نستعرض بعض هذه المنابع والمصادر الروائية:[11]

١. صحيح البخاري، ج٤، كتاب الأحكام وباب نزول عيسى عليه السلام؛

٢. صحيح مسلم، ج١، الفتن وشرائط الساعة، باب نزول عيسى عليه السلام؛

٣. سنن ابن ماجة، ج٢، باب خروج المهدي عجل الله فرجه؛

٤. سنن ابن داود، ج ٢، كتاب المهدي عجل الله فرجه؛

٥. سنن الترمذي، باب ما جاء في المهدي عجل الله فرجه؛

٦. الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي؛

٧. نور الأبصار للشبلنجي؛

٨. الفصول المهمة، لابن الصباغ؛

٩. اسعاف الراغبين لمحمود الصبّان؛

١٠. البيان للكنجى الشافعى؛

١١. نهاية المأمول، للمنصور علي؛

١٢. سبائك الذهب للسويدي.

وفي هذا المجال ننقل عبارات وأقوال بعض علماء أهل السنّة من الذين ادعوا التواتر في روايات المهدي عجل الله فرجه، منهم:

ـ «أبو الحسن الأبري» الذي يعدّ من كبار علماء أهل السنّة حيث يقول:

إنّ الأخبار متواترة ومستفيضة من طرق كثيرة حيث ورد فيها أنّ محمد المصطفى

أخبر عن المهدي، وأنّه من أهل بيته، ويحكم سبع سنوات ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنّ عيسى يخرج معه ويساعده في قتل الدجال و سيتولى منصب الإمامة لهذه الأمة و يصلى عيسى خلفه.[١٢]

ـ الشبلنجي: «إنّ الأخبار عن النبيﷺ متواترة بأنّ المهدي من ذرّيته و سيملأ الأرض عدلاً».[١٣]

ـ ابن أبي الحديد: «و قد اتفقت جميع فرق المسلمين بأنّ الدنيا لا تنقضي إلا بظهور هذا الإمام».[١٤]

ـ زيني الدحلان: «و أمّا الأحاديث في ظهور المهدي فهي متواترة جداً».[١٥]

ـ ابن حجر العسقلاني، وهو من أكابر علماء أهل السنّة أيضاً:

إنّ الأخبار الواردة في المهدي متواترة ومفيدة للعلم، ولا يحتاج للعمل بها للتحقيق والبحث.[١٦]

ـ أحمد شيخ الإسلام الشافعي:

إنّ الروايات الواردة عن المهدي كثيرة إلى حدّ التواتر، ثم يقول: وقد ورد فيها الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة، ولكن بما أنّ هذه الأحاديث كثيرة ورواتها متعددون ومن طوائف وطبقات مختلفة ممّا يدعم أحدها الآخر بحيث تفيد العلم واليقين بذلك.[١٧]

و من مطالعة مجموع هذه الأحاديث والروايات المتواترة التي نقلها الشيعة وأهل السنّة نستوحي منها:

أولاً: إنّ الرسول الأكرمﷺ أخبر عن ظهور إمام في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويعمل على محو وإزالة أسباب الظلم والجور والعدوان، وفي ذلك الزمان ينتشر الإسلام ويحكم بتعاليمه السماوية جميع المجتمعات البشرية في العالم حيث تنال البشرية أقصى ما تطمح إليه من الرفاه والعمران والسعادة المنشودة.

ثانياً: إنّ مسألة المهدي الموعود كانت في عصر النبي الأكرمﷺ وكذلك بعده من

الأمور المسلّمة والمتفق عليها بحيث إنّ المسلمين كانوا ينتظرون ظهور هذا الإمام طيلة التاريخ الإسلامي من أجل إقامة دولة الحق والعدل والعمل على إصلاح الأمور وأشكال الخلل في المجتمع البشري وبذلك يعمّ الإيمان والعدل والإسلام في أرجاء العالم.

عبارات الروايات حول المهدي عليه السلام

بالرغم من وجود اشتراك في هذه الروايات حول الحقيقة المذكورة أعلاه، إلّا أننا نرى وجود بعض الاختلافات في العبارات الروائية أيضاً، مثلاً نجد في بعض الروايات أنّها لم تصرح باسم المهدي، ولكن في البعض الآخر منها نجد تصريحاً باسم المهدي عليه السلام، ولذلك فإنّ العلماء حملوا الطائفة الأولى من الروايات المطلقة على الطائفة الثانية المقيدة لها، وبهذا الترتيب جمعوا بين هاتين الطائفتين من الروايات.

والملفت للنظر أنّ المفكّر الإسلامي «أبو الاعلى المودودي» يقول في هذا المجال:

> لقد استعرضنا في هذا الباب (باب ظهور المهدي) روايات ورد ذكر المهدي فيها بصراحة، وهناك روايات أخرى ورد الكلام فيها عن ظهور خليفة عادل بدون التصريح باسم المهدي، ثم يقول: ولمّا كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الأول في موضوعها فقد ذهب المحدّثون إلى أنّ المراد بالخليفة العادل فيها هو المهدي.[١٨]

وبالنسبة إلى خصائص، سيرة الإمام عليه السلام الحكمة من الغيبة، علائم الظهور، كيفية الظهور و حكومته، مسؤولية الناس في ذلك العصر وغيرها من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع فقد بحث العلماء والمفكرون تفاصيل هذه المسائل المختلفة في كتبهم ومصنفاتهم.

الاعتقاد بالمهدي في فرق الشيعة

تعتبر مسألة المهدوية من العقائد المشتركة بين الفرق الشيعية المختلفة، كالكيسانية، الزيدية، الإسماعيلية، الإمامية و...

«إنّ إحدى المعتقدات في الدين الإسلامي وفي المذهب الشيعي بالخصوص هو انتظار ظهور المهدي من آل محمد، فكل فرقة من فرق الشيعة، وبالرغم من الخلافات الفكرية بينها، ترى أنّ آخر إمام لها هو المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً».[١٩]

والآن ربّما يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: لماذا شغل موضوع المهدوية أذهان وقلوب الناس وخاصة الشيعة؟ وللجواب عن هذا السؤال يمكن تقديم بعض الأدلة على ذلك:

١. إنّ موضوع المهدي يتمتع بالشمولية وقد بشّر به جميع الأنبياء وخاصة نبي الإسلام وأنّه حامل راية العدل في آخر الزمان.

٢. إنّ ظلم وجور الحكّام كان قد وصل إلى درجة استدعى أن يتصور الناس أنّ العالم ملىء بالظلم والجور، فقد ملأت جرائم بني امية وبني العباس وخلفاء كمعاوية ويزيد وعبدالملك ومروان والمنصور وهارون والمتوكل وغيرهم، صفحات التاريخ الإسلامي، ومن هنا كان الشيعة يواجهون تحديات صعبة وضغوط عسيرة، ولذلك كانوا أحوج من بقية الفرق والمذاهب الإسلامية للتمسك بفكرة المهدي.

٣. إنّ أئمة الشيعة هم أتقى القادة ويملكون محبوبية في قلوب الناس، ولهذا السبب كان العدو والصديق يحسب لهم حساباً خاصاً، وكان البعض يتحرك من موقع التقرب من أئمة الشيعة لاستغلال قداستهم من أجل بسط نفوذهم وقدرتهم، فالمختار جاء للإمام زين العابدين عليه السلام، وأبو سلمة الخلال جاء للإمام الصادق عليه السلام، والمأمون تحرك لكسب ود الإمام الرضا عليه السلام، وعلى هذا الأساس وبعد استشهاد كل واحد من هؤلاء الأئمة فإنّ أتباعهم ـ ما عدا الشيعة الإمامية ـ كان يصعب عليهم قبول حقيقة موت ذلك الإمام حتى أنّ بعض الأتباع أصروا على البقاء من موقع الانتظار ولم يؤمنوا بموتهم.[٢٠]

المهدوية في نظر الشيعة الإمامية

وفي نظر الشيعة الجعفرية فإنّ المهدي الموعود هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة، أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد ولد الإمام المهدي عجل الله فرجه كما هو المشهور في عام «٢٥٦ ه ق».

ويذكر الشيعة الأدلة التالية لإثبات ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه:[٢١]

١. تصريح الإمام الحسن العسكري عليه السلام بولادة ولده المهدي عجل الله فرجه.

٢. شهادة قابلة الإمام وكذلك «حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام» عمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٣. شهادة أصحاب الأئمة وآخرين ممن كانوا يعيشون في زمان الإمام العسكري عليه السلام ولقائهم للمهدي عجل الله فرجه.

٤. شهادة وكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه والمطلعين على معجزاته بملاقاتهم للإمام في عصر الغيبة الصغرى.

٥. شهادة النواب الخاصين على ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٦. شهادة الخدام والعبيد والجواري الذين كانوا يعيشون في بيت الإمام العسكري عليه السلام على رؤيتهم للمهدي عجل الله فرجه.

٧. طريقة مواجهة السلطات العباسية للإمام الجواد عليه السلام وخاصة للإمام العاشر والحادي عشر حيث اسكنوهما في معسكر مغلق ووضعوهما تحت المراقبة الشديدة، وحتى أنّ بيت الإمام الحادي عشر كان يخضع للمراقبة المباشرة من قبل عناصر السلطة، وكذلك ملاحقة النواب الخاصين للإمام المهدي عجل الله فرجه ووكلائه في عصر الغيبة الصغرى. كل ذلك يدلّ على ولادة الإمام صاحب الزمان حيث شغلت أذهان السلطة العباسية سياسياً وعسكرياً بما يقارب من مائة عام.[٢٢]

٨. اعتراف العرّافين بولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه.[٢٣]

٩. اعتراف علماء أهل السنة بولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، كابن الأثير في كتابه «الكامل

في التاريخ» حيث ذكر ذلك في حوادث عام ٢٦٠ للهجرة، وابن خلكان في كتاب «وفيات الأعيان»، والذهبي في كتبه «العبر في خبر من عبر، وتاريخ الدول الإسلامية، وسير أعلام النبلاء» وابن حجر الهيثمي في كتاب «الصواعق المحرقة» وكذلك علماء مثل محيي الدين ابن عربي، وأبو عبدالله الكنجي الشافعي.[٢٤]

١٠. شهادة أفرادموثوقين كثيرين في عصر الغيبة الكبرى على لقائهم للإمام صاحب الزمان بصور مختلفة.[٢٥]

١١. إنّ المدعين للنيابة في عصر الغيبة الصغرى الذين يبلغ عددهم سبعة أشخاص، كانوا يعترفون بولادة الإمام المهدي، ولكن بعد وصولهم لأهدافهم نصبوا أنفسهم سفراء للإمام وتحركوا من موقع التصدي لنواب الإمام الحقيقيين وهذا يعتبر دليلاً آخر على ولادة الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه.[٢٦]

إنّ الإمام المهدي الموعود الذي يذكر في مصادر الإمامية بلقب إمام العصر وصاحب الزمان، هو ابن الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث يطابق اسمه اسم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقد ولد في سامراء سنة ٢٥٦ للهجرة وبقي إلى سنة ٢٦٠ للهجرة، أي إلى حين وفاة والده، فبقي تحت كفالة وتربية والده في هذه المدّة مخفياً عن أنظار الناس ولم يعلم به سوى بعض الخواص من الشيعة الذين تشرفوا بلقائه، وبعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام ٢٦٠ للهجرة استقرت الإمامة في الإمام المهدي عجل الله فرجه وقد اختار الغيبة عن الناس بأمر الله تعالى، واستمرت غيبته الصغرى حتى وفاة آخر النواب الخاصين في سنة ٣٢٩ للهجرة، و بعد ذلك بدأت الغيبة الكبرى.

المعطيات التاريخية للأعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه

ومن خلال مطالعة تاريخ الإسلام نلاحظ أنّ مسألة المهدوية قد استغلت من قبل بعض الأشخاص والجماعات من أجل تحقيق مقاصدهم وأهدافهم:

أ) الثورات والحركات التي وقعت في تاريخ الإسلام تحت دعوى المهدي المنقذ.

ب) مدّعو المهدوية والبابية وكذلك الأشخاص الذين يُعتبرون لدى أتباعهم أنّهم المهدي.

ج) سعي الأئمة المعصومين عليهم السلام لبيان المفهوم الصحيح للمهدوية وتعريف الناس بالمصداق الواقعي له.

وفي البداية نستعرض الثورات الشيعية في التاريخ الإسلامي التي انطلقت باسم المهدوية:

١. ثورة المختار.

٢. ثورة زيد.

٣. ثورة عبدالله بن معاوية «حفيد جعفر بن أبي طالب».

إنّ الثورات التي قام بها الشيعة و العلويون في العصر العباسي ضد السلطات الظالمة وبالاستفادة من مسألة المهدوية عبارة عن:

١. ثورة السادات الحسنيين، فبعد مقتل زيد وابنه يحيى في مواجهتهم للأمويين حصل فراغ في القيادة الشيعية على مستوى التصدي لقوى الجور، لأنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يسير في طريق أبيه وجده على مستوى الاهتمام بالمسائل الثقافية والعلمية وبيان اصول الدين ومعارفه والأساسية وتربية علماء صالحين وكسب قلوب الناس إلى الدين والإيمان، ولذلك سلك هذا الإمام طريق التقية في المسائل السياسية، فما كان من محمد ذو النفس الزكية، وهو من ذرية النبي ومن السادة الحسنيين، إلّا أن تحرك على مستوى جذب الزيدية وأتباع المعتزلة وأهل السنة مضافاً إلى بعض الشيعة المتشددين واستغلال دعوى المهدوية لهذا الغرض.

إنّ عبدالله بن الحسن وهو والد محمد (المعروف بالمحض) قد اعدّ ابنه منذ الطفولة ليتخذ موقع ودور المهدي في جو ذلك المجتمع، وعندما بلغ محمد سن الرشد سعى والده لإظهار هذا الابن للناس على أساس أنّه هو المهدي الذي بشّر به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تبعه على ذلك كبار المعتزلة وبعض أشخاص من بني هاشم، وفي سنة ١٢٦هـ قام

عبدالله بدعوة أقربائه في جوار بيت الله الحرام لبيعة ابنه محمد بالإمامة وقد بايعه كبار بني العباس في مجلس في منطقة «الابواء». وقد اعترض الإمام الصادق عليه السلام لأنّه يرى نفسه أنّه هو الإمام الحق من ذرية النبي. وكذلك حذّر الإمام الصادق عليه السلام، عبدالله وابنه محمد من العواقب الوخيمة للتقرب إلى السلطة العباسية، إلّا أنهما لم يصغيا لكلامه.

وكان النتيجة أنّه بعد وصول بني العباس إلى سدة الحكم ثار محمد وأصحاب على السلطة العباسية، وبالتالي مقتل محمد وأخيه إبراهيم ١٤٥ للهجرة على يد جيش المنصور العباسي وأقدمت السلطة على سجن والدهما والكثير من أنصارهما.[٢٧]

وقد تعاملت السلطة العباسية، منذ بداية تشكيل حكومتها، مع العلويين من موقع الخصومة والقمع، ولاحظ العباسيون بعد فشل ثورة محمد ذي النفس الزكية وفي زمن الهادي أنّ الاعتقاد بالمهدي انتشر مرّة أخرى في صفوف العلويين حيث ادعى الحسين بن علي، وهو من السادة الحسنيين، المهدوية. وأعلن ثورته في فخ وتصدى للجيش العباسي الذي قام باجهاض هذه الثورة بكل قسوة وعنف وقتلوا زعيم النهضة والكثير من أقربائه سنة ١٦٩ للهجرة، وقد اتهمت السلطة العباسية الإمام الكاظم عليه السلام بأنّه يقف وراء هذه الواقعة، ولذلك عزم الهادي العباسي على قتل الإمام ولكنه مات قبل ذلك.[٢٨]

٢. ثورة الإسماعليين: إنّ إسماعيل يعتبر أكبر أولاد الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام الصادق عليه السلام يحبّه كثيراً، بالرغم من أنّ بعض الروايات تحدّثت عن إعراض الإمام عنه، ولكنّ علماء الشيعة يحترمونه كثيراً والشيخ الطوسي يعدّه من أصحاب الإمام، وقد توفي إسماعيل في سنة ١٤٣ للهجرة في زمن حياة أبيه وقد دفنه أبوه في مقبرة البقيع بحضور رجال المدينة، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن إمامة ابنه اسماعيل فنفى الإمام ذلك.[٢٩]

وبعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام بقي بعض الشيعة على القول بإمامة إسماعيل وقالوا بعدم وجود إمام بعده، وهؤلاء يسمّون بالإسماعيلية الخاصين الذي ينكرون موت إسماعيل ويعتقدون بإمامته وأنّه غاب في حياة والده وأنه هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، والبعض الآخر يطلق عليهم بالإسماعيلية بصورة عامة حيث قالوا إنّ

إسماعيل مات وقد نصب ابنه محمداً للإمامة بعده، وهذه الفئة من الإسماعيلية تنقسم بدورها إلى قسمين من حيث اعتقادهم بإمامة محمد، فبعض يعتقد بأنّ محمداً لم يمت بل غاب وسيرجع بعد ذلك، والبعض الآخر قالوا بموت محمد وأنّ الإمامة بعده تصل إلى الأئمة الذين يعيشون في الخفاء.[٣٠]

خصوصيات الإمام المهدي عليه السلام

إنّ خصائص وسمات الإمام المهدي لا يمكن استعراضها في هذا المختصر، ولكننا نشير إلى عدّة خصوصيات وردت في روايات العامة والخاصة:

اقتداء عيسى بن مريم بالإمام المهدي عليه السلام

إنّ حكم إمامة الجماعة هو أن يتقدم الأفضل، كما في روايات العامة والخاصة «إمام القوم وافدهم فقدموا أفضلكم»[٣١] وعندما يظهر الإمام المهدي ويقيم حكومته العالمية ينزل عيسى بن مريم من السماء إلى الأرض ويقتدي بالإمام طبقاً لما ورد في روايات العامة والخاصة.[٣٢]

إنّ عيسى كما هو معلوم كلمة الله، وروح الله، ومحيي الموتى بإذن الله، ورسول الله من ذوي العزم، ولا يدانيه أحد في الفضل والقرب عند الله تعالى، ولكنّ عيسى بن مريم يأتم بالإمام المهدي عليه السلام ويتحدّث مع الله تعالى بلغته.

وبعد أن يعترف الكنجي الشافعي في «البيان» بصحة الأخبار الواردة في إمامة المهدي لصلاة الجماعة والجهاد وأنّ هذا التقدم والإمامة من الأمور الاجماعية، ينطلق في بيان مفصّل لإثبات أنّ الإمام المهدي أفضل من عيسى بهذا الملاك.[٣٣]

وفي عقد الدرر في الباب الأول روي عن سالم الأشل أنّه قال: سمعت عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال:

إنّ موسى نظر إلى ما أعطى الله تعالى لقائم آل محمد عليه السلام فقال: إلهي اجعلني

قائم آل محمد، فقيل له: إنّه من ذرية أحمد، ومرّة أخرى طلب موسى هذا الطلب وسمع نفس الجواب، وفي المرّة الثالثة بعدما رآى مقام الإمام طلب من الله ذلك الطلب وسمع نفس الجواب.[٣٤]

وبالرغم من أنّ موسى بن عمران من أنبياء أولى العزم ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[٣٥] وقد بعثه الله تعالى بتسع آيات ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[٣٦] وكان مقرباً لساحة القدس الإلهي ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾[٣٧] إلّا أنه مع ذلك يتمنى منزلة المهدي ويطلبها لنفسه من الله ثلاث مرّات! من ذلك نعرف علو وعظمة مقام المهدي عليه السلام عند الله تعالى.

إنّ موسى بن عمران كان يتمنى ذلك المقام السامي من موقع علمه بهذه الحقيقة بحيث لا نحتاج لإثبات ذلك إلى رواية أو حديث، لأنّ إمامة المهدي لصلاة الجماعة وتقدمه على عيسى في الصلاة يكفي لتمني هذا المقام، مضافاً إلى أنّ غاية الخلقة وثمرة بعثة جميع الأنبياء من آدم إلى النبي الخاتم يتلخص في أربعة أمور:

أ) إشراق نور المعرفة وعبادة الله في عالم الوجود وذلك بظهوره ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.[٣٨]

ب) إحياء الأرض بنور العلم والإيمان كما قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.[٣٩]

ج) إنّه عليه السلام مظهر حكومة الحق وزوال الباطل ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾.[٤٠]

د) القيام بالقسط والعدل لعامة الناس الذي يعد العلة الغائية لأرسال جميع الأنبياء وانزال جميع الكتاب ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.[٤١]

إنّ ظهور جميع هذه الآثار والمعطيات ستكون على يد قائم آل محمد صلى الله عليه وآله: «يملأ

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٤٢] وهذا المقام هو ما يتمناه جميع الأنبيـاء مـن آدم إلى عيسى.

الإمام المهدي عليه السلام خليفة اللّه

إنّ الإمام المهدي لقّب في روايات العامة والخاصة بأنّه «خليفة الله»: «يخرج المهـدي و على رأسه غمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة اللّه فاتبعوه»[٤٣] وبمقتضى اضافة الخلافـة للذات المقدّسة فإنّ هذا الإمام يعتبر آية لجميع أسماء الله الحسنى.

مقام أصحاب الإمام المهدي عليه السلام

إنّ علو مقام هذا الإمام يتضح من خلال مقام أصحابه حيث ذكرت بعـض روايـات الشيعة نماذج من ذلك: «إنّ عدد أصحابه بعدد أهل بدر[٤٤] وقد كتب على سيوفهم كلمات كـلّ كلمة يعدّ مفتاحاً لألف كلمة».[٤٥]

وفي مصادر السنة هناك رواية صحيحة ينقلها الحـاكم النيـشابوري في «المـستدرك» والذهبي في «التلخيص» على شرط البخاري ومسلم ورد فيها:

لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم على عدّة أصـحاب بـدر لم يـسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر.[٤٦]

فهل أنّ الأصحاب الذين تابعوه وصاروا معه لهم مقام قرب السابقين في قوله تعـالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤٧] حيـث إنّهـم سـبقوا الآخـرين إلى نيـل الكمالات والمراتب السامية، إذن فكيف يكون مقام إمـامهم وسـيدهم وهـو بـاب الله، ديان دين الله، وخليفة الله، وناصر حق الله، وحجة الله، ودليل الله؟

معنى الانتظار وشروطه وعلائمه وآثاره

إنّ حقيقة الانتظار حسب المفهوم من اللفظ ما يقع ضد اليأس، والمراد مـن الانتظـار

هو أن يعلم الإنسان بوقوعه ويعيش الأمل في انتظار ذلك الزمان، أمّا كيفية انتظار الفرج للإمام المهدي عجل الله فرجه سواء قبل زمان غيبته أو عصر غيبته فهو على قسمين: الأول: الانتظار القلبي، والثاني: الانتظار العملي.

الأول: الانتظار القلبي وهو على مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: أن يعيش اليقين بظهور حجّة الحق وأنّه سوف يظهر قطعاً بالوعد الإلهي الذي لا شك فيه، وكلما تأخر الظهور فلا يمتلكه اليأس ولا يدخل إليه الشك.

المرتبة الثانية: أن يعتقد بأنّ الظهور لا يتعين بوقت خاص بحيث يملكه اليأس قبل وقوعه.

المرتبة الثالثة: أن يعيش الإنسان حالة الانتظار في كل لحظة وزمان، أي أنّه يعيش الأمل بوقوع الظهور و هو ما ورد في الرواية الشريفة: «**توقعوا الفرج صباحاً ومساءاً**».[٤٨]

وكذلك ما ورد في رواية: «**... يأتي بغتة فجأةً**».[٤٩]

و ايضاً ما ورد في رواية أخرى: «**... ثم يقبل كالشهاب الثاقب**».[٥٠]

وجاء في عبارة من الدعاء: «**...إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً**».[٥١] وأمثال ذلك.

المرتبة الأولى للانتظار وهذه المرتبة واجبة وتتصل بها حقيقة الإيمان وعدمها يوجب الكفر والضلالة في واقع الحال والباطن وإن كان حسب الظاهر محكوماً بأحكام الإسلام، ولذلك ستكون عاقبته في جهنم مع كفار لأنّه أنكر أمر الإمام وإن كان يقرّ بالتوحيد والرسالة ظاهراً. والدليل على ذلك الآيات والروايات الكثيرة كما اشرنا إلى بعضها.

فإنّ المستفاد من الآيات والروايات بعد الوعد الإلهي الوارد في بعض الآيات القرآنية[٥٢] وحسب الأدلة العقلية والنقلية[٥٣] أنّ الأشخاص الذين يستحقون الخلافة والوراثة النبوية والولاية الإلهية ينحصرون في اثني عشر إماماً. وقد ورد اسمهم ونسبهم وصفاتهم في النصوص الدينية والأخبار المتواترة.

وبملاحظة أنّ الوعود الإلهية الواردة في الآيات والروايات لم تتحقق في أي زمان من عصر الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ولا في حق غيرهم وأنّ الدين الإلهي لم ينتشر في جميع

أرجاء العالم ولم يتغلب على جميع الأديان الموجودة، وبملاحظة أنّ الأئمة المعصومين كانوا ولا يزالون يعيشون المظلومية ولم تتحقق خلافتهم ووراثتهم للأرض في حال الأمن وعدم الخوف، إذن فلابدّ من انتظار تحقق تلك الوعود الإلهية في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام وكذلك رجوع آبائه الكرام إلى هذه الدنيا كما ورد في الأخبار المتواترة. وبعد التأمل في الآيات والأخبار الشريفة من موقع الانصاف وبعيداً عن التعصب والعناد يتضح جيداً أنّ إنكار أو التشكيك في الأدلة القرآنية والأدلة النقلية والقطعية التي تتحدث عن الظهور والفرج للإمام المهدي عليه السلام وكذلك رجعة آبائه الكرام يوجب الكفر والضلالة، وأنّ حقيقة الكفر والضلالة ليس سوى إنكار أمر الحق أو التشكيك به بعد وضوحه وبيانه.

المرتبة الثانية للإنتظاروالاعتقاد بهذه المرتبة واجب أيضاً ولكن عدمه يوجب الفسق فقط، وذلك لتحقق اليأس المحرم الذي ورد النهي عنه، وهذه الحرمة بمقتضى تكذيب القانون الإلهي «الأشخاص الذين يعينون وقتاً للظهور».

المرتبة الثالثة للإنتظاروهذه المرتبة تختص بكمال الإيمان وعدمها يوجب نقصان الإيمان، إذن فلازم كمال الإيمان للمؤمن، حسبما ورد في الأحاديث الكثيرة، أن ينتظر الفرج ويعتقد بأنّه قريب ويتوقع الظهور في كل وقت، ويكون حال المؤمن حال الشخص الذي أخبروه بمجيء مسافر، وأنّ ذلك المسافر في طريق عودته إلى دياره، هذا المؤمن يعيش كل يوم بانتظار رؤية ذلك المسافر العائد من السفر حيث يحتمل وجود موانع أدّت إلى تأخر وصوله. وعلى هذا الأساس ينبغي أن يهيأ نفسه لملاقاة الإمام عند ظهوره ويتحلى بالآداب اللائقة للقاء الإمام.

القسم الثاني: الانتظار العملي

عندما يزرع الفلاح أرضه ويسقيها فإنّه يحتمل وجود آفات أرضية وسماوية تقضي على زرعه، فيدعو الله تعالى لحفظ ذلك الزرع من الآفات، ومع ذلك ينتظر ويتوقع

زمان ظهور المحصول.إنّ الله تبارك وتعالى قد جعل وجود الإمام المبارك عجل الله فرجه وسيلة لبقاء العالم و عطاء النعم في كل زمان بحيث لو لم يكون الحجّة فلا بقاء لعالم الوجود و لا عطاء له ولساخت الأرض بأهلها، وظهور الإمام عجل الله فرجه في ما يملكه من التصرفات الظاهرية في العالم، يعدّ وسيلة للظهور الكامل لجميع النعم الظاهرية والباطنية، وبدون ذلك تكون جميع النعم الإلهية على العباد ناقصة، ويكون كل سرور وفرح مقترناً بالحزن والغم. وكما أنّ النعم والمواهب الإلهية في الدنيا لابدّ لها من أسباب وعلل لتحصيلها كما في غرس النبات وبذر البذور وسقيها كمقدمة لظهور المحصول والثمار والأزهار المختلفة، كذلك الحال في انتظار الفرج وظهور الإمام الذي يعتبر وسيلة لظهور النعم الإلهية، فهناك أسباب مقررة لا تحصل إلّا بيد العباد، وهذه الأسباب عبارة عن التقوى والأعمال الصالحة كما ورد في الآية الشريفة:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.[٥٤]

وأمّا الموانع والآفات التى تمنع من ظهور الإمام عجل الله فرجه فتتلخص في الأعمال القبيحة والذنوب المنكرة التي يرتكبها الناس، والأشنع منها هو إفشاء أسرار آل محمد عليهم السلام وعدم التزام التقية من أعدائهم، فإنّ ذلك من أهم عوائق ظهور الإمام. ولذلك ينبغي على المؤمن أن يتوب من جميع ذنوبه وآثامه ويسأل الله تعالى رفع جميع آثارها، وفي هذا الحال ينتظر الفرج ويتوقع زمان نضج الثمار، أي زمان ظهور الإمام عجل الله فرجه، وهذا المعنى من الانتظار البدنيٌ بخصوصياته الكاملة يعدّ من لوازم كمال الإيمان.

أهم العوامل المؤثرة في توطيد الحكومة الإسلامية

بما أنّ نهضة الإمام المهدي عجل الله فرجه العالمية هي في الواقع استمرار للنهضة التي قام بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بل إنّ منهجه وحركته مستوحاة من منهج وحركة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله كما ورد في الرواية الشريفة عندما سأل أحد الرواة الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية ظهور

الإمام المهدي عليه السلام فقال: «يصنع ما صنع رسول اللّه. يهدم ما كان قبله كما هدم رسول اللّه أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً».[٥٥] ومن هنا نرى من المناسب في ختام هـذه المقالـة أن نشير إلى أهم العوامل المؤثرة في توطيد حكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تمهيداً لظهـور المهـدي الموعود عليه السلام وتشكيل حكومته العالمية:

١. الإيمان والتوكل على الله تعالى: حيث يبعث في الإنسان اطمئنان القلب والاعتمـاد على النفس ويمنح روح الإنسان صفاء وقوة تزيل أمامها الموانع المختلفة في طريق إقامة العدل، ومثل هذه الروحية والمعنوية والاطمئنان القلبي لا يحصل في واقع الإنسان إلّـا في ظلّ الإيمان بالله والتوكل عليه والارتباط معه بواقع الدعاء والمناجاة.

٢. جاذبية القرآن وحقانية الإسلام: إنّ الحقائق النورانية والتعاليم الدينيـة في القـرآن والدين الإسلامي منسجمة تماماً مع العقل والوجـدان، ولـذلك تخلـق في روح الإنـسان جاذبية قوية نحو القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية التي تقود الإنسان في خط السعادة.

٣. رعاية الأخلاق وحقوق الآخرين: لعله بالإمكان القول إنّ أهم العوامل التي أدّت إلى تأخر المسلمين هو عدم العمل بالتعاليم الأخلاقية للإسلام، بل العمل على عكـسها والتحرك في خط الكراهية والعداء للآخرين، ومن الضروري جداً في عصرنا الحاضـر أن يعيش المسلمون الأخلاق الحسنة والمحبة والتواضع وصفاء القلب والمواساة وغـير ذلـك من القيم السامية، التي يتألم المجتمع الإسلامي في هذا الزمـان مـن فقـدآنها، الـواردة في تعاليم القرآن الكريم والروايات الشريفة.

٤. العلم واستخدام العقل: بلا شك أنّ العلم يساهم مساهمة فعّالة في معرفة الحقـائق الموجودة على أرض الواقع الاجتماعي، فيما يمثّله من إمكانات، اولويـات، قابليـات و ضرورات لغرض تحقيق التقدم ونيل الحكومة المثالية العالمية للإسلام.

٥. القائد الفذ: فكما أنّ القائد الفذ المتمثّل بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان لـه دور كـبير في تأسيس وتقدّم الحكومة الإسلامية والمجتمع الإسـلامي مـن خـلال سـلوك الـنبي صلى الله عليه وآله أخلاقه وتدبيره، فإن المجتمع الإسلامي المعاصر بحاجة ماسّة إلى قائد فذ بإمكانه العمل

على اقرار النظم وتحقيق الوحدة والانسجام بين المسلمين لتحقيق الأهداف الإسلامية في حركة الحياة والواقع.

٦. التعامل المنطقي والاصولي مع الأحداث: إنّ النبي الأكرمﷺ كان يتحرك في تعامله مع الطوائف والفئات المختلفة على أساس الرؤية العلمية والمنطقية في مناظراته معهم، وكذلك تحرك أئمتناعليهم السلام في هذا الخط مع الفئات المختلفة في المجتمع الإسلامي بل حتى أنّهم كانوا يجلسون مجلس المناظرة والجدال مع المنكرين لله ويناقشوهم بأدوات العقل والمنطق بحيث إنّ الكثير من الأفراد والشخصيات في المجتمع الإسلامي آنذاك كانوا يحضرون مجلس درسهم ويستلهمون من نعيم فيضيهم ويزداودن في معرفتهم للإسلام والدين وكان ذلك له دور مهم في اتساع بقعة الإسلام ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[٥٦]

فالحكمة هي المناظرة بأدوات الاستدلال والبرهان المنطقي. والموعظة الحسنة عبارة عن: النصائح التي تتسلم بتحريك العاطفة والاحساس القلبي.

وأمّا الجدال الحسن فهو عبارة عن: مناقشة الطرف الآخر على أساس احترام الرأي الآخر وبدافع من حسن النية، حيث تساهم هذه الأمور في تجسيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حركة الحياة والواقع.

يقول الإمام عليعليه السلام:

> اجتمع يوماً عند رسول اللّهﷺ أهل خمس أديان: اليهود، النصارى، الدهرية، الثنوية، ومشركو العرب، فأخذ النبي يحدّثهم بوقار ويأتي لهم بأدلة وكانوا يستمعون إليه ويناقشونه، ثم إنّ هذه المناظرة استمرت إلى ثلاثة أيّام واقتنع أخيراً أتباع هذه الفرق بكلام النبي واعتنقوا الإسلام وقالوا: «ما رأينا مثل حجّتك يا محمد، نشهد أنّك رسول اللّه».

وقد ذكر في الاحتجاج مشروح هذه المناظرات.[٥٧]

٧. الصبر والاستقامة والشجاعة: إنّ هذه القيم الأخلاقية من الصبر والاستقامة

والجرأة والشجاعة تمثّل عوامل مهمة في سبيل تقوية الحركة في خط المسؤولية، وتعدّ من الامتيازات الفردية والاجتماعية للمسلمين تمنحهم القدرة على إيجاد الحلول لما يواجهونه من تحديات صعبة في واقع الحياة، فلولا ملكة الصبر والاستقامة والشجاعة لدى المسلمين في صدر الإسلام، لكان الإسلام في خبر كان ولم يصل إلينا هذا الدين السماوي.

٨. التعاون في جميع الأمور: إنّ مسألة التعاون على البر والتقوى في المجالات الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية على أساس قاعدة الاخوة الإسلامية تبعث على الوحدة بين المسلمين وتمنحهم الانسجام والتكاتف، وبذلك تمهد لخلق مستقبل مشرق للأجيال اللاحقة.

٩. الاهتمام بطبقة المستضعفين: إنّ الاهتمام بأمور المستضعفين وتأمين حاجتهم المعيشية واقرار العدالة الاجتماعية تعتبر من العوامل المؤثرة في توطيد أركان الحكومة العالمية للمستضعفين.

١٠. الاتحاد والانسجام بين المسلمين: فبلا شك أنّ الاتحاد له دور عظيم في تحقيق الأهداف والغايات السماوية في واقع المجتمع الإسلامي. فهذا الاتحاد بمثابة عامل مهم يزيل كل أشكال الفرقة بين أفراد المجتمع الإسلامي ويكون منشأً للكثير من للبركات وأشكال التطور العلمي والثقافي والأخلاقي في العصر الحاضر.

و اخيراً نهدى هذه القصيدة الى سماحة سيدنا و مولانا المهدي عجل الله فرجه: و انعش قلوباً في انتظارك قرحت و اضجرها الاعداء أية اضجار وخلص عبادالله من كل غاشم وطهر بلاد الله من كل غاصب.

والحمد لله رب العالمين
وصلّى اللّه على محمّد وآله الطاهرين

الهوامش

١. في انتظار فقنوس، السيد ثامر هاشم العميدي، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

٢. شمس المغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ١٥٣ ـ ١٨٥.

٣. سورة القصص، الآية ٥.

٤. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٥. سورة المائدة، الآية ٣.

٦. سورة التوبة، الآية ٣٢.

٧. سورة الفتح، الآية ٢٨.

٨. سورة الصف، الآية ٨.

٩. المحاضرات فى تفسير القرآن، السيد اسماعيل الصدر. اعيان الشيعه ج ٢ السيد محسن الامين.

١٠. شمس المغرب، ص ٨١ ـ ٨٣.

١١. شمس المستور، السيد رضا الصدر و آخرين، ص ١٢٥ ـ ١٢٨.

١٢. تهذيب التهذيب، ج٩، ص١٤٤ (فى ترجمة محمد بن خالد الجندى). الغيبة للنعمانى، ص٧٥، الباب ٤، ح٩.

١٣. نور الأبصار، ص ١٨٩.

١٤. شرح نهج البلاغة، لا بن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦.

١٥. الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٣٣٨.

١٦. نزهة الناظر، ص ١٢.

١٧. الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٢٥٠.

١٨. البيانات، ص ١٦١.

١٩. ثقافة الفرق الإسلامية، محمد جواد مشكور، ص ٢٧٩.

٢٠. تاريخ علم الكلام والمذاهب الإسلامية، على محمد الولوي، ج ١، ص ٢٣٢.

٢١. في انتظار فقنوس، ص ١٤٥ ـ ١٦٦.

٢٢. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام ص ٧٨ ـ ٨٩.

٢٣. في انتظار فقنوس، ص ١٥٧ ـ ١٦٠.

٢٤. المصدر السابق، ص ١٦١ ـ ١٦٦.

٢٥. النجم الثاقب، الميرزا حسين الطبرسي النوري، الباب السابع، ص ٢٠٧ ـ ٤١٢.

٢٦. تاريخ عصر الغيبة، السيد مجيد پور الطباطبائي، ص ١٧٦ ـ ١٨٠.

٢٧. التشيع في مسير التاريخ، ص ٣١٢ ـ ٣٢٩.

٢٨. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص ٦٧ ـ ٦٨.

٢٩. ثقافة الفرق الإسلامية، ص٤٧.

٣٠. التاريخ السياسي لغيبة الإمام الثاني عشر، ص٦٩.

٣١. بغية البحاث عن زوائد مسند الحارث، ج ١، ص ٢٦٥، الرقم ١٤٤، وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، الباب ٢٦، ج٨، ص ٣٤٧، ومصادر أخرى من العامة والخاصة.

٣٢. صحيح البخاري، ج٤، ص ١٤٣، صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٤، مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٧٢، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٦١٩، المصنف عبدالرزاق، ج٢، ص ٤٠٠، المصنف ابن أبي شيبة، ج، ص ٦٧٨، المعجم الاوسط، ج ٩، ص ٨٦، كنز العمال، ج ١٤، ص٣٣٤، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٩٢، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٧، ص ٥٠٠، عقد الدرر، الباب ١٠ ومصادر أخرى عن العامة.

الغيبة للنعماني، ج ٩، ص ١٧٥، الباب ٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٢، الباب ٤٦، ح١، روضة الواعظين، ص ٢٧٣، الاحتجاج، ج ١، ص ٥٤، الفضائل، ص ١٤٣، تفسير فرات الكوفي، ص ١٣٩، كمال الدين و تمام النعمة، ص ٣٣١، كشف الغمة، ج ١، ص ٥٢٦، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٧٢ و مصادر أخرى عن الخاصة.

٣٣. البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام، ص ٤٩٨.

٣٤. عقد الدرر، الباب ١، ص ٢٦.

٣٥. سورة النساء، الآية ١٦٤.

٣٦. سورة الاسراء، الآية ١٠١.

٣٧. سورة مريم، الآية ٥٢.

٣٨. سورة الزمر، الآية ٦٩.

٣٩. سورة الحديد، الآية ١٧.

٤٠. سورة الاسراء، الآية ٨١.

٤١. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٤٢. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٣ و ٢٥٧ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٢٨٨ وموارد أخرى من هذا الكتاب، الخصال، ص ٣٩٦، الامالي للصدوق، ص ٧٨، المجلس السابع، ج٣، ص ٤١٩، التوحيد، ص ٨٢، معاني الأخبار، ص ١٢٤، كفاية الأثر، ص ٤ و ٤٧ و ٦٠٠ و...، روضة الواعظين، ص ٣٢ و ١٠٠ و ٢٥٥ و ٣٩٢، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام، ج ٢، ص ١١ و...، دلائل الامامة، ص ١٧٦ ومصادر أخرى عن الخاصة. وورد قريب من هذا المعنى في البيان للكنجي الشافعي، ص ٥٠٥، صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٢٣٧، مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٢ و ٧٠، سنن ابن داود، ج٢، ص ٣٠٩ و ٣١٠، المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٥١٤، وفي التلخيص. كذلك و ص ٤٦٥ و ٥٥٧ و في تلخيص كذلك و

ص ٥٥٨، مسند ابن يعلى، ج ٢، ص ٢٧٤، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣١٣ و ٣١٧ و...، عون المعبود، ج١١، ص ٢٤٨، المعجم الأوسط، ج ٢، ص ١٥ و ج ٩، ص ١٧٦، الجامع الصغير، ج ٢، ص ٤٠٢ و ٦٧٢، كنز العمال، ج ١٤، ص ٢٦١ و ٢٦٤ و...، تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٨٣٨، مسير أعلام النبلا، ج ١٥، ص ٢٥٣ ومصادر أخرى كثيرة عن العامة.

٤٣. كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٧٠، كفاية الأثر، ص ١٥١، كتاب الغيبة للنعماني، ص ١٠ ومصادر أخرى عن الخاصة، المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص ٤٦٤ و ص ٥٤، مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٧٧، مسند الشاميين، ج٢، ص ٧٢، سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٦٧، نور الابصار، للشبلنجي، ص ١٨٨، عقد الدرر للسلمي، ص ١٢٥ ومصادر أخرى عن العامة.

٤٤. كفاية الأثر، ص ٢٧٨ باب ما جاء من النص عن الجواد عليه السلام، بحار الأنوار ج٥١، ص ١٥٧.

٤٥. الغيبة للنعماني، ص ٣١٤، الباب ٢٠، ح ٧، كمال الدين و تمام النعمة، ص ٢٦٨، كفاية الأثر، ص ٢٨٢، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٦.

٤٦. المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٥٥٤.

٤٧. سورة الواقعة، الآية ١٠ ـ ١١.

٤٨. كتاب الغيبة، الطوسى، ص ٤٥٧، الغيبة، النعمانى، ص ١٦١.

٤٩. الاحتجاج، الطبرسى، ج ٢، ص ٤٩٥.

٥٠. كمال الدين، الصدوق، ج ١، ص ٢٨٧، بحار الانوار، المجلسى، ج ٣٦، ص ٣٠٩.

٥١. مصباح الكفعمى، ص ٥٥١، بحار الانوار، ج ٩١، ص ٤١.

٥٢. ر.ك: هذه المقاله، ص ٢ـ ٤.

٥٣. ر.ك: هذه المقاله، ص ٨ـ ١٠.

٥٤. سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٥٥. بحار الأنوار للعلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

٥٦. سورة النحل، الآية ١٢٥.

٥٧. الاحتجاج للعلامة الطبرسى، ج ١، من ص ١٦ إلى ٢

أهمية فكرة المنجي الموعود في اعتقاد أهل السنة

مهدي فرمانيان

نبذة

وجدنا من خلال التحليل لآثار ومؤلفات أهل السنة في طول التاريخ ان اكثر العلماء والمفكرين كانوا قد ارتضوا منهج تعاليم المهدي الموعود، ولكن الفارق والاختلاف الوحيد بينهم وبين الإمامية هو في نوع النظرة إلى الإمام ومصداقه. ان نظرة أهل السنة نحو الإمامة كانت قد تركت أثراً وأضفت طابعاً عميقاً على نظرهم حول الاعتقاد بالمهدي ﷺ فقد كانت نظرهم غالباً ذا وجهة اجتماعية. لقد صنف الباحث أهل السنّة إلى: المتكلمين وأهل الحديث، والسلفية. فاما متكلموا أهل السنة، فقد ارتضوا فكرة المهدي المنجي الموعود كافة، وكذا المعتزلة وهم أكثر الفرق عقلانية قبلوا أيضاً هذه الفكرة، وكذا أهل الحديث من أهل السنة وهم أقرب كثيراً من فكر الإمامية، بل ان قسماً منهم كانوا قد وافقوهم أيضاً حتى في المصداق أيضاً. أما السلفية الذين هم أصعب تقبلا للأحاديث من غيرهم، فقد اعتقدوا: بأن المهدي من

ولد فاطمةعليها السلام ولم يهتموا بعدم رواية البخاري ومسلم لأحاديث المهدي عجل الله فرجه، لقد صوّرت رؤيتهم عدالة المهدي الموعود تصويراً بشريا أرضياً نظراً لإنجازاته التي سيحققها، ومنها تحقيق الرفاه الاجتماعي، فأغلب كبار علماء أهل السنة لا يعتقدوا بمعنوية الإمامعليه السلام، بل حتى ان البعض منهم يرى ان الإمام المهدي يختصّ بالعالم الإسلامي، وهو ليس شخصية عالمية، بخلاف أصحاب الحديث من الشيعة الذين يرون كغيرهم: ان للامام المهدي عجل الله فرجه اهدافاً وطموحات معنوية وعالمية في دولته الكريمة.

المفاهيم الأصلية في البحث:

المهدوية، الحكومةالعالمية، العدالة الاجتماعية، التوسعة المعنوية، أهل السنة

المقدمة

اتفقت كافة الفرق الإسلامية منذ سالف الأزمنة على ظهور مصلح في آخرالزمان يدعو إلى العدالة، ولديه أعوان وانصار كثيرون، وسينشر هذا المصلح الالهي الرفاه والعدل في حكمه، بشّر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واتبعه المسلمون قاطبة، اسمه المهدي «من الهداية»، واحتفظ المسلمون في الرعيل الأول بهذا الاسم في صدورهم وضمائرهم، وذكروه بألسنتهم، ورووه إلى الأجيال القادمة بعدهم، ودوّن اسمه في الكتب.

كتب عنه كبار علماء أهل السنة في مصنفاتهم، وأثروا كتبهم با بحاث ودراسات مستقلة وغيرمستقلة حوله، وروى محدثوهم أخبار اعنهعليه السلام، واعتبروه من أشراط الساعة، فكان لهم دورا هاماً في مراحل التاريخ الإسلامي والبشري.

ونظراً لأهمية هذه التعاليم والمنهجية في فكر الإمام المهدي عجل الله فرجه ومعطياته التاريخية، فقد أثّرت هذه الفكرة وهي الاعتقاد بالمهدي على المسلمين، فانكرته فئة قليلة لايعدون بالحسبان، وأضيف إليهم جماعات أخرى في القرن الاخير، كانوا قد تأثروا باموا ج العقلانية وحالات التشكيك التي ظهرت في الغرب.[1]

و قبل أن نبحث في فكر أهل السنة حول الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه، علينا أولاً أن نعرف مصطلح (السنة)، [2] ثم نذكر مصاديقه.

مفهوم «السنة» لغة واصطلاحاً

«السنة» بالمفهوم اللغوي هي الطريقة والاسلوب.[٣]

و في الاصطلاح لها معاني واستعمالات عديدة.

فمثلاً يستعمل مفهوم «السنة» في مقابل «البدعة»، ويرونها عملاً ينسجم مع الشريعة، ويتّفق معها. ذكر أحمد بن حنبل هذا التفسير «للسنة» في باب الاعتقادات[٤]، فقد رتّب اعتقادات أهل السنة في كتابه «اصول السنة» بهذا الترتيب:

الاقتداء والتمسك باصحاب رسول اللّه ﷺ.

الايمان بالقضاء والقدر الالهي، خيره وشرّه.

القول بالقدم وعدم خلق القرآن.

رؤية اللّه يوم القيامة.

الايمان بمثابة جزء من الايمان.

أفضلية الصحابة، أولهم ابوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم اصحاب الشورى.

طاعة الخليفة، براً كان أو فاجراً، فاسقاً كان أوعادلاً.

عدم جواز الخروج على الخليفة.

عدم جواز ذكر مساوئ الصحابة ومثالبهم، بل القول بعدالتهم كافة.

القول بخلق الجنة والنار.

عدم كفر أهل القبلة، ولزوم الاستغفار لهم.[٥]

سمّى أحمد بن حنبل هذه «بالأصول»، وسمى الفرق الإسلامية التي لاتعتقد بهذه الأصول كالمعتزلة، الشيعة، المرجئة، القدرية، الجهمية، والخوارج بالمبتدعة.[٦]

واتفقت معه بعض الفرق الإسلامية كالشافعية والمالكية، تبعا لأئمة مذاهبهم باعتبارهم من أصحاب الحديث.[٧] وقد صرحوا بتأييدهم لمعتقدات أحمد بن حنبل، [٨] وظهر ثلاثة علماء كبار بعد قرن من وفاة أحمد بن حنبل في العالم الإسلامي، في مصر والبصرة وماوراء النهر، سموا أنفسهم «أهل السنة والجماعة»، حيث اعتقد هؤلاء بأن

لفظ «السنة» يعمّ كثيراً من المتكلمين أيضاً، وهو مصداق ينطبق على فرق إسلامية من أهل السنّة، وهذه الشخصيات الإسلامية الثلاثة في العالم الإسلامي هي:

١. أبوجعفر الطحاوي (م ٣٢١ هـ):

ظهر في مصر، وكان من أتباع أبي حنيفة ومؤيديه، اعتقد أن أحمد بن حنبل من أهل الأهواء والبدع (ومرجئاً). له كتاب بيان اعتقاد أهل السنة، ذكر فيه أن أبا حنيفة هو من أهل السنة.[٩]

٢. ابومنصور الماتريدي (م ٣٣٣هـ):

ظهر في الشرق، وكان عالماً متكلماً، ومن أتباع أبي حنيفة، سمى نفسه من «أهل السنة والجماعة». له كتاب «تأويلات أهل السنة». أسس المذهب الماتريدي، وقد أثّر بدوره تأثيراً كبيراً على افكار أهل السنة وعقائدهم، فأوجد تحولا كبيراً في مدرستهم.

٣. ابوحفص النسفي (م ٥٣٧ هـ):

له كتاب «العقائد النسفية»، درس في مدارس أهل السنة لأعوام طويلة، حاول أن يخرج أبا حنيفة من قائمة أهل البدع والاهواء والزيغ، واعتبره من أنصار أهل السنة.

أسس أبوالحسن الاشعري (م ٣٢٤ هـ) مذهبا مهماً وكبيراً للاشاعرة المتكلمين في البصرة، وسماه «المذهب الاشعري». ذكر في أول كتاب له سماه «الابانة»: انه من أتباع أحمد بن حنبل، وذكر فيه عقائده وافكاره. ورغم أن أحمد بن حنبل ذكر أن علم الكلام هو من العلوم المذمومة، لكن أبا الحسن الأشعري اعتبره من العلوم الممدوحة، وقد خالف أحمد بن حنبل في ذلك، وعدّه من العلوم الإسلامية. فكان المذهب الذي أوجده الاشعري هو مذهب علماء الكلام لأهل السنة. وقد تخرّج من هذه المدرسة علماء كبار من أهل السنة وهم:

ابوبكر الباقلاني (م ٤١٣ هـ).

امام الحرمين الجويني (م ٤٧٨ هـ).

الغزالي (م ٥٠٥ هـ).

الفخر الرازي (م ٦٠٦ هـ).

التفتازاني (م ٧٢٩ هـ).

و بقي المعتزلة في اعتقاد اهل السنة على أنهم من اهل البدع والأهواء إلى ان تمّ تصفيتها تماماً على أيدي المغول وانتهت واضمحلّت هذه الفرقة.

يعتقد الباحث في هذه الدراسة أن المعتزلة يتفقون مع أهل السنة في بحث الإمامية، وأنهم من أهل السنة ليسوا بخارجين عنهم في الاعتقاد، تبعاً لما قاله علماء الإمامية. وسنوضّح ذلك ببيان موجز في الابحاث القادمة.

لقد ظهرت في القرن الثاني مذاهب فقهية عديدة ومتنوعة لدى أهل السنة، ضمّت شخصيات بارزة كالاوزاعي، سفيان الثوري، الطبري (الجريري)، الحنفي، الليثي، الظاهري، الشافعي، الحنبلي، المالكي، والكرامي، وغيرها من الشخصيات، وبقيت اربعة مدارس فقهية فقط، استمرت في التاريخ الإسلامي وهي: مدرسة الفقه المالكي، الشافعي، والحنبلي، كان لها اتجاهات في الحديث، واهتمام بآراء الصحابة والتابعين. أما مدرسة فقه أبي حنيفة، فقد اعتنت بالقياس، وعرف أتباعها بأصحاب الرأي.

شكل المذهب الحنفي الأغلبية من اهل السنة في عصرنا الحاضر، ويسمون «بالماتريديين»، ثم بعدهم الشافعية «الاشاعرة» وان كان المذهب السلفي قد ازداد حيوية ونشاطاً وقوة في عصرنا الحاضر.[١٠]

بعد ان ذكرنا مفهوم اهل السنة لغة واصطلاحاً، وبيّناً مصاديقه، نشيرهنا: إلى ان اكثر اهتمام الأبحاث والدراسات في مذهب أهل السنة انصبّت حول اصحاب الحديث، دون غيرهم، وان بحثنا حول المهدي الموعود في نظر أهل السنة، سيسلط الأضواء حول اعتقاد أهل الحديث بالمهدي عليه السلام، ثم نبين أخيراً أسباب وعلل إنكار المنكرين أو ترديدهم في الاعتقاد بالمهدي، وسنعرض دراسة موضوعية وبحثا علميا موسّعاً حول معطيات الفكر المهدوي في اعتقاد أهل السنة بالإمام المهدي عليه السلام.

الاعتقاد بالمهدي الموعود في فكر متكلمي اهل السنة

عرّفوا علم الكلام بايجاز: بأنه الدفاع العقلاني عن الدين.[١١] فلا يتوقع اذن أن يبحث المتكلمون في كتبهم عن الاعتقاد بالمهديﷺ، لأننا لم نعثر على ابحاث في هذا الخصوص في كتبهم المعتبرة. وعدم الوجود لايدل على عدم الوجدان، فلا يدل ذلك على انكارهم الاعتقاد بالمهديﷺ، أو عدم اهتمامهم بهذا الاعتقاد، لكن مشاهدة موضوع علم الكلام، واعتماد الابحاث المهدوية على الأدلة النقلية، لا تبقي مجالاً لعرض مثل هذه الأبحاث في الكتب الكلامية.

ولا ترتقي الابحاث المهدوية في اعتقاد اهل السنة إلى المستوى الرفيع الذي وصلت فيه هذه الابحاث في الاعتقاد الشيعي، لان نظرتهم لها ترتبط بالخلافة، أما النظام المركزي والأساسي الذي يتمحور حوله الفكر الشيعي فهو نظام الإمامة، وهي الاساس في كل شيء، وقد صنفت أيضاً كثيراً من الابحاث والدراسات والكتب الشيعية في هذا الاتجاه، فهي مسئلة أساسية في الفكر الإسلامي عند الشيعة.

أما الإمامة في اعتقاد اهل السنة فهي عندهم مسئلة فرعية، لا تتعدى حدود الفقه. قال بعض المتكلمين من أهل السنة: لقد بحثنا تبعا للمشهور ونبحث حول مسئلة الإمامة في علم الكلام، والافلا موضع لها في هذا العلم.[١٢]

و الأمر المهم عند اهل السنة هو: أن المتبع قديماً في أبحاث المهدي وقبل ان تظهر في علم الكلام، كان كبار علمائهم يبحثونها في أشراط الساعة، وهذه الابحاث لاتعد أبحاثاً كلامية، أو انهم كانوا يبحثوها بعجالة بحثاً سريعاً دون تأمل أو تدبّر فيها، ولكن لو فتّشنا في كتبهم، فلا نعثر على بحث الاعتقاد بالمهدي في أبحاث أشراط الساعة، ونخص بالذكر هذه الكتب لكبار علمائهم وهي: شرح المواقف للايجي، المطالب العالية للفخر الرازي، المغني للقاضي عبدالجبار، تبصرة الأدلة لأبي معين النسفي، أصول الدين للبزودي، أصول الدين لأحمد الغزنوي الحنفي، [١٣] ابكار الافكار لسيف الدين الآمدي، نهاية الاقدام للشهرستاني، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، أصول الدين لعبد القاهر

البغدادي، البراهين في علم الكلام للفخر الرازي، الارشاد والشامل في اصول الدين لامام الحرمين الجويني، والتمهيد للباقلاني، وغيرها من المصادر المعتبره عند أهل السنة.

ذكر النسفي في «شرح العقائد» أشراط الساعة، ومنها خروج الدجال، يأجوج ومأجوج، نزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من المغرب، لكنه لم يذكر شيئاً عن الإمام المهدي عجل الله فرجه . وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية: أحاديث أشراط الساعة صحيحة ومستفيضة، فمن رغب مشاهدتها، فليراجع كتب التاريخ والتفسير والسير.[١٤]

وقال أيضاً في شرح المقاصد ـ وهو متكلم أشعري معروف ـ حول الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه:

> وردت أحاديث صحيحة حول ظهور امام من ولد فاطمة عليها السلام، يملأ الأرض قسطا وعدلاً، وكذا نزول عيسى عليه السلام، ولكنها اخبار آحاد، أما أخبار خروج الدجال فهي متواترة معنويا، ولا دلالة على صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي عجل الله فرجه. ثم روى اخبارا في هذا الباب، وهي نفس الأخبار المروية في كتب الأحاديث.[١٥]

وذكر الملا علي القاري المعروف ـ وهو ما تريدي المسلك ومتكلم ومن أهل الحديث في كتابه شرح الفقه الاكبر[١٦] في بيان اشراط الساعة فقال: «**ومن اشراط الساعة: ظهور المهدي عجل الله فرجه.**»

و شرحه: أن المهدي يظهر في الحرمين الشريفين، ثم يأتي إلى بيت المقدس، ويصلي فيه، وهناك يظهر الدجال، فيحاصره المهدي، ثم ينزل عيسى من المنارة الشرقية في دمشق، ويقضي على الدجال، فيصلي خلف المهدي... ويمكث عيسى عليه السلام اربعين سنة في الارض، ثم يموت، ويصلي عليه المسلمون، ويدفنونه... الخ.

و في رواية أخرى: سبع سنين.

و يمكن الجمع بينهما؛ بانه عليه السلام يصعد إلى السماء وقد بلغ ثلاث وثلاثين سنة؛ ويعيش بعد نزوله سبع سنين في الأرض.

روى في شرح العقائد: «**أن المهدي عجل الله فرجه يصلي خلف عيسى عليه السلام**»[١٧] وذكر بهاءالدين زاده

(م ٩٥٢ هـ) في شرح آخر على الفقه الاكبر: «بأن من اشراط الساعة هي خروج المهدي عليه السلام» وروي أن رجلاً من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيخرج، ويملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلما وجوراً، حيث قل في عصره العلم، وشاع الجهل.[١٨] وروى ابن أبي الحديد قول الإمام علي عليه السلام في المهدي عجل الله فرجه فقال: قال أميرالمؤمنين: «بنا تختم»، وفيه اشارة إلى المهدي الذي سيظهر في آخرالزمان. وقد ذكر كثير من المحدثين: «انه من ولد فاطمة عليها السلام.»

أما أصحابنا المعتزلة، فلا ينكرون ذلك، وقد ذكروه في كتبهم، واعترف به كبار شيوخ المعتزلة، لكنهم يقولون انه لم يولد، بل سيولد بعد ذلك. وهذا هو الصحيح في مذهب أهل الحديث.[١٩]

و يتضمن كلام ابن أبي الحديد عدة أمور هي:

أولاً: المعتزلة وهم أكبر الفرق الإسلامية التي تقول بحكم العقل اعتقدت بفكرة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولم تنكر وجوده، وهذا مؤشر واضح على قوة الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ثانياً: اتفقت أنظار المعتزلة وأهل الحديث حول الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه، وعليه ينبغي مراجعة اهل الحديث في أبحاث المهدوية على ضوء هذا التفاهم والانسجام في الاطروحة والرؤية، وتقليل الذهاب نحو المتكلمين في هذا الاتجاه.

ثالثاً: ذكر بحث الإمام المهدي عجل الله فرجه في كتب المعتزلة أيضاً، ولكن للأسف الشديد فقدت أكثر هذه الكتب أو ضاعت، وهي غير متوفرة لدينا حالياً.

و نستنتج اذن، أن الأشاعرة كانوا قد ذكروا ابحاث المهدي عجل الله فرجه قليلاً أو كثيراً. اما الماتريدية وهم اتباع أبي حنيفة، فقد اهتموا بالبحث حول اشراط الساعة والإمام المهدي عجل الله فرجه أكثر من غيرهم من أهل السنة، وكان اعتقاد المتكلمين (المعتزلة، الاشاعرة، الماتريديين) مشابهة لاعتقاد أهل الحديث حول الإمام المهدي عجل الله فرجه.

لكن أهم قضية في هذا البحث هي ان اكثر المتكلمين كانو قد سكتوا عن ذكر فكرة

هذا الاعتقاد، والحديث عنه عليه السلام، غير أننا لم نعثر على دليل في انكار ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه أو رد هذا الاعتقاد.

المناهج والاساليب في معرفة المنجي الموعود في نظر اهل الحديث[٢٠]

صنفّ الكثير من أهل السنة كتباً عديدة ومهمة في تاريخ الملاحم والفتن، قال ابن طاووس (م ٦٦٤ هـ): لايمكن كتابة مصنف حول الملاحم والفتن، ولا يؤخذ خبر كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي (م ٢٢٩ هـ) ـ وهو أستاذ البخاري ومن أهل الحديث ـ[٢١] فمن الكتب المذكورة في الملاحم والفتن: كتاب السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (م ٤٤٤ هـ). وقد طبع هذا الكتاب اخيراً في السعودية.[٢٢]

لقد اعتمد كثير من أهل السنة المتشيعون[٢٣] وأصحاب الحديث على كتب ومصنفات أخرى مثل كتاب الملاحم لابن المنادي، البعث والنشور للبيهقي، مناقب المهدي أو الأربعين حديث في المهدي، [٢٤] وصفة المهدي لأبي نعيم الاصفهاني (م.٤٣٠) وغيرها من الكتب، وقد تلف كثير منها، لكن نقل كثير من اقوالهم في كتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيي الشافعي ـ من علماء القرن السابع الهجري ـ، وكتاب البيان في أخبار صاحب الزمان لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي (م ٦٥٨ هـ)، وغيرها من المصادر الإسلامية المعتبرة.

ذكر نعيم بن حماد في كتابه الفتن ـ وهو من اقدم الكتب والمصادر المعتبرة ـ تساهل أهل الحديث في النقل والرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد ظهر هذا التسامح في المصادر التالية:[٢٥]

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (م ٦٧١ هـ)، ذخائر العقبي لمحب الدين الطبري (م ٦٩٤ هـ)، خريدة العجائب لابن الوردي (م ٧٤٩ هـ)، العرف الوردي للسيوطي (م ٩١١ هـ)، كنزالعمل للمتّقي الهندي (م ٩٧٥ هـ)، الملاعلي القاري (م ١٠٤١) في مرقاة المفاتيح[٢٦] والمشرب الوردي في مذهب المهدي، والسفاريني الحنبلي (م

١١٨٨ هـ) في لوامع الأنوار، محمد بن سلوم (م ١٢٤٦ هـ) في مختصر لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، الصبّان الشافعي (م ١٢٠٦ هـ) في إسعاف الراغبين، القندوزي (م ١٢٧٠ هـ) في ينابيع المودة، البليسي الشافعي (م ١٣٠٨ هـ) في العطر الوردي، ومحمد البيومي المصري في الإمامة وأهل البيت عليهم السلام.

فمن صفات وخصائص هذا القسم من محدثي أهل السنة هو تسامحهم وتساهلهم في نقل الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وأحاديث المهدي عجل الله فرجه وآثار الصحابة والتابعين، وقد حاولوا الجمع بين الاخبار عند تعارضها، لكنهم لم يبحثوا عن اصطلاحات في علم الحديث كالوضع والجعل، الضعيف، وغيرها لرفع التناقض والتعارض في الأحاديث.

و يمتازون أيضاً بخصائص أخرى أمام أهل السنة المتشيعون منها: اعتقادهم ان الإمام المهدي عجل الله فرجه هو من ولد الحسن المجتبى عليه السلام لا من ذرية الحسين عليه السلام، وانه لم يولد بعد وسيولد في آخر الزمان.

و لانبالغ في القول هنا: بأن أكثر كتب الحديث عند أهل السنة ذكرت ذلك عن كتاب الفتن لنعيم بن حماد، وكتاب أبي نعيم الأصفهاني، لذا فاننا نعتبر كتاب «الفتن» هذا هو المصدر الاساسي والرئيسي لهذا الاعتقاد، وقد اعتمد محدثوا هذا القسم من أهل السنة على منهجية هذا الكتاب في الاعتقاد بالمهدي الموعود، ومصادر أخرى في تتميم هذا المنهج.

لقد وردت علامات الظهور في هذه الكتب على نحوين:

١. العلامات التي تنطبق في كل عصر وزمان، وتتضمن هذه العلامات:

الف) قلة الاهتمام بعلوم الدين والالتزام والتقيّد به.

ب) كثرة الجهل.

ج) كثرة الفساد والفحشاء، وازدياد الخراب والبلاء.[٢٧]

د) علامات تختصّ بالإمام المهدي عجل الله فرجه، منها: ظهور رجل من بني أمية في الشام يدعى السفياني، الذي يقتل كثيراً من الترك والروم، ثم يتوجه نحو الحجاز، وبعدها إلى الكوفة،

فيقتل الشيعة، وأتباع آل محمدﷺ قتلا ذريعاً، ثم يرسل جيشاً جراراً إلى المدينة، ويقتل بني هاشم، ويريق دماءهم، ويبيح أعراضهم، فيقتل ذا النفس الزكية، وهو رجل من أهل البيتعليهم السلام، ثم يلجأ آل محمد إلى شعاب مكة، ويحتموا بالبيت والكعبة المشرفة[٢٨] وتنتشر أخبارهم في كافة البلاد الإسلامية، فيحل بها الخوف والرعب، ويعمّها الهلع، ثم يخرج أصحاب الرايات السود قادمين من خراسان لنصرة بني فاطمةعليها السلام[٢٩]، وتبلع الأرض جيش السفياني في البيداء عند ذهابهم إلى مكة، وينادي المنادي في السماء: المهدي أميركم، الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلاً[٣٠]، ويبايع أهل مكة رجلاً بلغ الأربعين من عمره وهومن بني فاطمةعليها السلام، اسمه اسم النبيﷺ، وهومن ذرية الحسنعليه السلام، اقنى الأنف، اعلى الجبهة، على خده الأيمن شامة سوداء زادته بهاء وحسنا، يبايعونه وهو مكره بين الركن والمقام، وعدد هم عدّة أهل بدر.[٣١] ثم يحمل المهديعجل الله فرجه لواء النبيﷺ، ويفتح الحجاز على يديه، ثم يتوجه إلى بيت المقدس، فليحق به أصحاب الرايات السود، ويلتقون به في الكوفة، فيفتح بيت المقدس دون أن تراق قطرة دم. وروي في بعض الاخبار: سيحل قتلاً ذريعاً بالناس فيقولون بعد ان يحلفوا بالله: إنّه ليس ابن فاطمةعليها السلام، فلو كان من ذريتها لرحمنا، [٣٢] ويحكم بالتوراة والانجيل والكتاب في بيت المقدس بين اليهود والنصارى، ويخرج لهم تابوت السكينة من غار أنطاكية، فيسلم على يديه كثير من اليهود والنصارى.

فالإمام المهدي بناء على هذا التوجه يقوم بمشاريعه بتوفيق الهي، وأساليب عادّية وطبيعية بعيدة عن الاعجاز.

ثم يواجه جيش السفياني الذي أصرّ على دعاوى قبلية، وهو يمارس ضغوطاً وأساليب بشعة ضد الشيعة واتباع أهل البيتعليهم السلام، فللمنجي هنا طابع اجتماعي في تخليص الأمة وانقاذها من الظلم والتعدي على الحقوق الانسانية.

و قد روي أيضاً زيادة المال وكثرته في عصره، وانه يحثو المال حثوا، ويعيش الناس حالة من الأمن والرخاء، وتخرج الأرض ثرواتها، فيقسمها على الأمة بالقسط، ويرضى

عنه أهل الارض والسماء، وتنزل السماء بركاتها، وتخرج الارض نباتها، ويزداد المحسن في احسانه، ويتوب المذنب عن آثامه، ويرحم المساكين، ويصلح الله امر المهدي في ليلة واحدة، وينعم عليه بنعم لم ينعمها على أحد من قبله.[٣٣] ثم يهبط عيسى بن مريم عليه السلام إلى الارض، و يصلي خلف المهدي عجل الله فرجه.

وفي رواية: أن المهدي عجل الله فرجه يصلي خلف عيسى عليه السلام.[٣٤] ثم يحكم المهدي عجل الله فرجه سبع سنين.

وفي رواية أخرى: اربعين سنة ثم يموت، [٣٥] فيصلي عليه المسلمون ويدفنوه، ثم تكون بعده فتن، ويحكم بعده القحطاني.[٣٦]

ويعتقد هذا القسم من المحدثين أن المهدي عجل الله فرجه موعود بشري، له أهداف اجتماعية، وهي تنسجم تماما مع المشروع الإسلامي.

هذا تقرير موجز لمئات الاخبار والروايات حول الإمام المهدي عجل الله فرجه المروية في كتاب «الفتن» والكتب المتأثرة به، كعقد الدرر.

وقبل تحليل هذا الكتاب، نشير هنا إلى عدة أمور:

١. إن أغلب مواضع كتاب «الفتن» يتضمن اقوال الصحابة والتابعين، أما الأحاديث المسندة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقليلة جداً. وعليه: فلا يشكل على هذا الكتاب اذن، لان لفظ «السنة» وكما ذكرنا هي أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين إلى نهاية القرن الثاني الهجري. ومن خلال مشاهدة بعض الكتب التي ألّفت في هذه الفترة مثل: موطّأ مالك بن أنس (م ١٧٩ هـ)، وكتاب «الاصل» لمحمد بن الحسن الشيباني (م ١٨٩ هـ) وكتاب (المصنّف) لعبد الرزاق الصنعاني (م ٢١١ هـ)، نراها قد تأثرت بنفس الأجواء التي ألّف فيها كتاب الفتن، في الاهتمام بأقوال الصحابة والتابعين وبعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اصطلح عليها علماء الحديث «بالأثر»، وجمعه «آثار».

و لكن مع ظهور الشافعي (م ٢٠٤ هـ) وتاليفه كتاب (الرسالة) خرج مصطلح (الآثار) عن مفهوم (السنة) وصارت بمعنى قول المعصوم وفعله وتقريره.

لقد أغضبت الشافعي تصرفات بعض الفقهاء كمالك بن أنس والاوزاعي في ترجيحهم

أقوال الصحابة والتابعين على أقوال النبي ﷺ، لكن الشافعي اوجد تحولاً كبيرا وواسعاً في علم الحديث السني في تحريره مفهوم السنة، وكان هذا سببا في خروج آثار الصحابة والتابعين عن كتب الحديث، وحل محلّها آثار النبي ﷺ، وقد أضفى جمالاً وجلاءاً وطابعاً مميزاً على السنة.[٣٧] فألفت الصحاح الستة والموسوعة التسعة لأهل السنة في هذه الاجواء الجديدة، وبقيت خالدة إلى عصرنا الحاضر.

٢. اننا نجد اقوالاً كثيرة لأميرالمؤمنين عليه السلام وأحاديث للإمام الحسن والحسين والباقر والصادق عليهم السلام في هذه الكتب المذكورة اعلاه، ولكننا لا نعثر عليها في كتب المحدثين المعروفين من أهل السنة في هذه المرحلة، وخاصة في الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٣. لايوجد ارتباط وثيق وقوي بين ظهور المهدي عجل الله فرجه وخروج الدجال في الاحاديث المروية في كتاب الفتن، كنزالعمال، البرهان في علامات المهدي للمتقي الهندي، العرف الوردي للسيوطي وآخرين. فبعض الروايات حدّدت نزول عيسى عليه السلام بوقت ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، وكذا نزول عيسى عليه السلام بمقتل الدجال. ولكن يمكن تقوية هذا الارتباط بين تلك الأحاديث، بربط خروج الدجال بوقت قيام الإمام المهدي واعلانه عن دعوته، وقد روى رواية واحدة عن حذيفة عن النبي في عقد الدرر في اخبار المنتظر بينت نوع هذا الارتباط، أي ارتباط الظهور بخروج الدجال، [٣٨] رغم أنه تحدث في أربعة وأربعين صفحة في كتابه عن صفات الدجال. ثم روي خبرين آخرين أحدهما عن علي عليه السلام، والآخر عن كعب الاحبار حول هذا الموضوع وظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.[٣٩] وكأن نعيم بن حماد لايرى ضرورة لذكر هذه الأحاديث، أي إنه لايرى أي ارتباط بين ظهور المهدي وخروج الدجال ليذكره في كتابه الفتن. أما ابن طاووس فقد ربط في كتابه الملاحم والفتن بين أحاديث المهدي عجل الله فرجه و عيسى عليه السلام، [٤٠] والدجال. وأشار الملاعلي القاري أيضاً في باب المتكلمين إلى هذا الارتباط أيضاً. وعليه: فقد تجددت فكرة الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه في هذا القسم من الاخبار، باعتبار ان المهدوية اصبحت من الأصول الضرورية والقطعية في الإسلام، بعد أن أخبر النبي ﷺ بظهور مصلح من ذرية

فاطمة عليها السلام، ثم خروج رجل من بني امية يدعى السفياني. ويشير هذا الخبر إلى الجانب الاجتماعي، وهو جانب التخليص والانقاذ للشعوب المضطهدة المظلومة والمستضعفة وإقامته للقسط والعدل فيها، لأنها أهم ميزة في حكمه، حيث يقوم بحثو المال على الفقراء والمستضعفين، حتى لايبقى فقير، ويوزّع الثروات بين الناس بالسوية، لكن فترة حكمه قصيرة كما ورد في الاخبار.

و ما ورد في الاخبار من خصائص في حكمه كالصيحة في السماء، وهطول الأمطار الكثيرة، ونزول عيسى عليه السلام واعانته المهدي في قتل الدجال، ونمو النباتات، وظهور الكنوز والمعادن على وجه الارض بعلم الله، لاتجعل هذا الموعود فوق صفة البشر وحدّه الطبيعي، ولاتنزله إلى رتبة البشر الأرضيين، فهو معصوم، ولكن لايعلم الغيب من نفسه، وليس، له صفات فوق البشر.

ولا تأثير لظهوره في تطور العلوم واكتمال العقول، وهي مذكورة كثيراً في باب النعم المادية، وليس لها تأثير او دور في باب النعم المعنوية، فالموعود في هذه الرؤية مصير وانتهاء، ولكن ليس انتهاء لهذه الحياة، وقيام الآخرة، بل انتهاء في لفترة زمنية محدّدة، وان مقدمات هذا الظهور لاتقوم على أساس النزاعات القبلية بين الأمويين والعلويين، ولكن تأصيلها وتثبيتها يعود بالنفع العام على كافة الأمة.

ان ترشيح المسئولين في دولته للقيام بمهامهم ووظائفهم الحكومية، واختيارهم، لايكون على اساس قبلي أو عشائري، بل على اساس العدالة. ومصطلح «الأرض» الذي ورد في الأخبار، يعني اتساع دائرة حكمه وحدود ملكه عليه السلام فيعم كافة العالم الإسلامي.

و سيكون للأديان في تلك الفترة دوراً هاماً في تفعيل فكرة الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه، حيث يزداد عدد المعتنقين للاسلام، بسبب تطبيق الامام عليه السلام العدالة بين الناس على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية والدينية، فهو الإمام العادل الذي يسعى إلى تحقيق السعادة في الأمة، وايجاد الأمن والسلام.

اذن، شدد أتباع القسم الثاني من أهل الحديث كما ذكرنا ـ على ضرورة دراسة ومتابعة الأحاديث النبوية، واتخاذ الاجراءات الإحتياطية اللازمة لوضع قواعد وتعديلات في الحديث، كالجرح والتعديل، وعلم الرجال والدراية، ومارسوا عملهم باكثر دقة من القسم المتسامح الأول. وكانت خلاصة ابحاثهم تتمحور حول العلوم الدينية والمعارف الإسلامية والمصادر النقلية و هي أعم من ظواهر القرآن، والأحاديث والآثار، فان فقههم كان في مقابل أصحاب الرأي، واعتقادهم ضد اعتقاد المتكلمين، الفلاسفة، والعرفاء. ويمكن اعتبار السلفيين الوهابيين المتممون لمنهج اصحاب الحديث، لان الشخص يمكنه أن يصبح من أهل الرأي في الفقه، ولكنه تابع لأصحاب الحديث في الاعتقاد.

وبناء على ما رواه أهل الحديث، فقد وصل مجموع الأحاديث المروية في الإمام المهدي إلى اكثر من خمسين حديثا، ومئات الاخبار والآثار التي فيها الصحيح، والحسن والضعيف.[٤١] وكذا الأحاديث الغير واضحة المروية في صحيح البخاري ومسلم حول الإمام المهدي عليه السلام فقد رويا بإسنادهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم.**»[٤٢] وأحاديث واضحة أيضاً في صحاح أهل السنة الأخرى، والموسوعة التسعة وهي: ابن ماجة، [٤٣] وابو داود في سننهما، والترمذي[٤٤] في الجامع الصحيح، [٤٥] وأحمد بن حنبل في المسند، [٤٦] وعبدالرزاق الصنعاني في المصنف، [٤٧] وابن شيبة في المصنف، [٤٨] والطبراني في المعجم الكبير[٤٩] والمعجم الوسيط، وابن حبّان في الصحيح، [٥٠] وآخرين. وهؤلاء المحدثون كلهم من علماء القرن الثالث والرابع، وقدرووا أحاديث المهدي في كتبهم، أما علماء القرون التالية بعد القرن الثالث، فليس لهم شيئاً اكثر مما رواه من قبلهم، وان كل ماروووه كان عن طريق علماء القرن الثاني والثالث الهجري... ومن بينهم:

الحاكم النيشابوري في المستدرك، ابن الأثير في جامع الاصول، ابن تيمية في منهاج السنة النبوية، [٥١] ابن القيم في المنار المنيف، ابن كثير في الملاحم والفتن او النهاية،

البرزنجي في الاشاعة، القنوجي في الاذاعة، المباركفوري في تحفة الأحوذي، العظيم آبادي في عون المعبود[٥٢] وغيرهم. وكذا الوهابيون مثل: «ابن باز» مفتيهم الأكبر في المحاضرة في الجامعة الإسلامية، [٥٣] محمدناصرالدين الالباني، المحدث المعروف المعاصر في كتابه تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق في سلسلة الأحاديث الصحيحة، [٥٤] عبدالمحسن بن عباد نائب رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في كتابه الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، [٥٥] حمود بن عبدالله التويجري في اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم واشراط الساعة، [٥٦] عبدالعليم بن عبدالعظيم البستوي في كتابه المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة، [٥٧] يوسف الوابل في أشراط الساعة، [٥٨] أحمد بن حجر في العقائد السلفية بأدلتها النقلية، [٥٩] والكتاب القيّم: المهدي وفقه اشراط الساعة للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم.[٦٠]

فالمهدي عند اصحاب الحديث من علائم آخرالزمان، وهو أحد معتقداتهم والفكرية، فهو الإمام المجدد العادل في المجددين في كل مائة سنة، وسيظهر في المائة الاخيرة من آخرالزمان، اسمه المهدي، سمّاه النبي ﷺ باسمه، وكنّاه بكنيته، واسم أبيه اسم أب النبي ﷺ، فهو من ولد فاطمة عليها السلام، [٦١] يخرج من مكة، ويصلح الله امره في ليلة واحدة، يملأ الأرض قسطا وعدلاً بعد ما ملئت ظلما وجورا، تقدم عليه الرايات السود من خراسان لنصرته، وتنزل عليه السماء غيثها، فتروي الأرض من مطرها، وتخرج كنوزها ونباتها، ويكون الإسلام عزيزاً، وتكثر أموال الناس، فيحثو عليهم المال حثوا، ويتأذى اليهود بفعله، فيخرج دجالهم لقتاله، ويرسل الله عيسى عليه السلام لنصرته، فيقتل الدجال، ويصلي خلف المهدي عليه السلام ثم يحكم المهدي سبع أو ثماني سنين بالعدل والقسط، ثم يموت، ويدفنه المسلمون.

يعتقد أهل السنة ان للمهدي طابع اجتماعي، لانه يسعى إلى اقامة العدل المادي في الأرض، فيكون لعمله نكهة ولون خاص، فيزدهر الإسلام في تلك الفترة، ويعمل الناس بالإسلام، ويطبقوه في حياته. فمن أهم صفات المهدي وكما قال الالباني هو حكمه

بالإسلام، وتطبيق أحكامه في الأرض، ونشر العدل بين الرعية، فهو المجدد الحقيقي للإسلام، حيث يتجدد كل مائة عام، ولكن على المسلمين ان يتحدوا، لا كما نشاهده اليوم من نزاعات، وكثرة الأحزاب، وظهور التيارات السياسية والفكرية المتضاربة، فالمهدي يمثّل الجميع، لاتصافه بالورع والعلم، والعبادة والزهد، والخلق الحسن، فيعمّ به السلام، وينعم الناس بالعدل، ويقوم بتنشئة الأمة وتربيتها.[٦٢] والمراد بالارض كما ورد في لسان اصحاب الحديث هي كافة حدود العالم الإسلامي، والمهدي هو موعود آخرالزمان.

الاعتقاد بالمهدي الموعود في نظر السنة المتشيعين

لو نظرنا إلى القرن الرابع والخامس الهجري؛ فإننا نجد أن أهل السنة كانوا قد ارتضوا بعض الاعتقادات الشيعية، (مع تغيير طفيف)، وازدادت هذه الظاهرة بعد انتشار التصوف بين المسلمين السنة، لاسيما بعد عرض مشروع الانسان الكامل في التصوف. وكان المعتزلة هم اول من تأثروا بهذه النظرة، فاتسعت رؤيتهم حول الأئمة عليهم السلام وقالوا بان عليا عليه السلام هو افضل الصحابة، اما الخلفاء الراشدون فانهم يتلونه في المنزلة والأفضلية.[٦٣]

و اعتقد المتصوفة من بين الفرق الإسلامية ان الإمام الثاني عشر للشيعة هو قطب الأقطاب أو بدل الابدال، وهو الانسان الكامل في هذا الوجود. وبعد ظهور السلسلة الصوفية، ربط اغلب المتصوفة سلسلتهم عن طريق معروف الكرخي بالإمام الرضا عليه السلام، ثم ربطوا نسبهم بالإمام علي عليه السلام. كانت هذه الفرقة من أتباع أحد المذاهب الأربعة في الفقه، والخلفاء الراشدون ائمتهم، عرفوا بهذه المصطلحات: «هو شيعي»، «هو يتشيع»، أهل السنة الاثنا عشر إماماً، السنة المتشيعون وغيرها من المصطلحات. وصنف بعضهم كتباً في الإمام المهدي عجل الله فرجه وقبلوا أحياناً اغلب القضايا الفكرية المرتبطة بالإمام المهدي عجل الله فرجه. استدل علماء الامامية بأقوالهم كشواهد لتأييد مذهبهم، وعليك مراجعة

كشف الاستار عن وجه الغائب عن الأبصار للميرزا النوري، حيث ذكر فيه تسعة وثلاثين شخصية من كبار علمائهم في تأييد المذهب الامامي حول الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه.[٦٤]

إن اغلب المتشيعين السنة يعتقدون ان الإمام المهدي عجل الله فرجه هو من ولد الحسين عليه السلام، أبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، له غيبتان، أحداهما صغرى، والأخرى كبرى، وهو الآن غائب عن الانظار، وانه يخرج في آخرالزمان «بحكمة ومشيئة إلهية»، ويخرج معه عيسى عليه السلام، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

و من معتقداتهم ايضاً ان رجلاً يخرج من الشام يدعى السفياني قبل خروج المهدي عجل الله فرجه، فتبلع الأرض جيشه بالبيداء، ويظهر المهدي بلون عربي وجسم اسرائيلي، فيلتحقق به المسلمون سنّة وشيعة، ويلبون ندائه، وينصرونه بأموالهم وأنفسهم، وفيهم وزراء المهدي عليه السلام، ثم يهبط عيسى بن مريم من السماء، على ناحية مأذنة دمشق الشرقية، والناس يصلون العصر خلف المهدي عجل الله فرجه، وينزل معه ملكان، فيقتدي عيسى عليه السلام بالإمام المهدي ويصلي خلفه، ويكسر عيسى الأصنام عند خروجه مع المهدي عجل الله فرجه، ويقتل الخنزير، وتتشبّه النساء بالرجال، وتكثر الشهوات، ويقتل اليماني في اليمن، وذوالنفس الزكية بين الركن والمقام، فترتفع صيحة في السماء، وهي من علائم ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه. وتخرج الرايات السود من خراسان، روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال: «اذا رأيتموهم، فالحقوا بهم ولو حبوا على الثلج». ويبايعون الامام عليه السلام في مكة، ثم يذهبون معه إلى الكوفة، ويبعث بجيوشه إلى الأمصار والمدن، فيفتح القسطنطينية، ويعمّ حكمه شرقا وغربا، ويظهر خلفه سحابا، فينادي المنادي: إن هذا جيش خليفة الله المهدي عجل الله فرجه.

فتخرج الأرض كنوزها، وتعمر البلاد الاما عمرها فترة حكمه، ويصل كل محتاج، وينادي المنادي: هذا المهدي، يحثو المال حثوا، ويقول عليه السلام في خطبته: «أنا بقية اللّه»، فلا يبقى في العالم نصراني ولايهودي يعبد غيرالله، ولا يرتضون لهم إلاّ الإسلام دينا،

يدخلون فيه أفواجا، ولايعبدون غيرالله، يحكم سبعة أو ثمانية سنين، ولاخير في حكم بعد حكمه، وحياة بعد حياته.

إن الاعتقاد بالمهدي عند هذه الفرقة من أهل السنة له أهمية متميزة وخاصة، حيث تكتمل الابعاد المعنوية والاجتماعية في عمله، ويكتمل التوحيد والمبادئ والقيم، وينعم العالم بالسلام، وتصل المجتمعات إلى الكمال.

روي في بعض الاخبار: «أن رجلاً جاء ليتصدق على الفقراء، فلم يعثر على فقير ليتصدق عليه». وهذا الاعتقاد يقرب من اعتقاد الشيعة الامامية بالمهدي عجل الله فرجه، لكنه لايرقى إلى أداء الشيعة واعتقادهم فيه عجل الله فرجه.

إن الأمر المهم هو بيان بحث الغيبة للامام المهدي عجل الله فرجه، وأن له عليه السلام انجازات عالمية وكونية. ومن أبرز القائلين بهذا الاعتقاد من كبار علماء السنة هم:

محمد بن طلحة الشافعي (م ٦٠٢ هـ) مؤلف مطالب الشمول في مناقب آل الرسول، أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنفي المعروف بسبط بن الجوزي (م ٦٥٤ هـ) مؤلف تذكرة الخواص، [٦٥] ابن الصباغ المالكي (م ٨٥٥ هـ) مؤلف الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (م ٦٥٨ هـ) مؤلف البيان في أخبار صاحب الزمان، شمس الدين محمد بن طولون الحنفي (م ٩٥٣ هـ) مؤلف الشذرات الذهبية في ترجمة الأئمة الاثني عشرية عند الامامية، عبدالوهاب الشعراني الشافعي (م ٩٧٣ هـ) مؤلف اليواقيت والجواهر، ابن حجر الهيثمي المالكي (م ٩٧٤ هـ)، مؤلف الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، [٦٦] حمدالله المستوفي (م ٧٥٠ هـ) مؤلف منتخب التواريخ، الخواجة محمد بارسا (م ٨٢٢ هـ) مؤلف فصل الخطاب، الفضل بن روزبهان (م ٩٧٢ هـ) مؤلف وسيلة الخادم إلى المخدوم، [٦٧] عبدالواسع الباخرزي مؤلف مقامات الجامي، والملاحسين الكاشفي (م ٩١٠ هـ) مؤلف روضة الشهداء. [٦٨]

ويمكن اضافة ابن خلكان (م ٦٨١ هـ)، وابن عربي (م ٦٣٨ هـ) إلى هذا القسم رغم التناقض الواضح في كلامه.

منكروا المهدي من أهل السنة وعلة إنكارهم

اتضح من خلال البحث والدراسة في الابحاث المهدوية لدى أهل السنة أن عدد المنكرين للامام المهدي هو أقل بكثير من عدد المثبتين، وأن أغلبهم من المتأخرين المعاصرين، ومنهم: الشيخ عبدالله بن زايد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في قطر، حيث ذكر في كتابه «المهدي المنتظر بعد الرسول خير البشر» أسماء المنكرين للامام المهدي وأدلتهم في ذلك، وقد ردّ عليه عبدالمحسن بن حمد العباد في كتابه الردّ على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، وهذا الكتاب هو من أفضل الكتب في هذا الخصوص.[٦٩] ولم ينكر العلماء القدامى أحاديث الإمام المهدي، وان امتنع بعضهم عن بيان رأيه، لكن لايدل هذا على الانكار.

ويعتبر ابن خلدون اول من ضعّف أحاديث المهدي، واطال الحديث في مناقشتها. حيث ذكر في مقدمته تحليلاً لثلاث وعشرين حديثا فقط من أحاديث المهدي رواها أهل السنة، وقد كانت له نظرة صوفية في هذا التحليل، ادى به إلى انكار أحاديث المهدي. وكان له استدلالان في هذا الانكار:

الاستدلال الأول

ذكر أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل في سند الحديث، فاذا وجدنا خللا في رجال الأسانيد، ففي هذا السند خدشة، ولاتقبل هذه الرواية.[٧٠] وقال في نهاية تحليله لمجموعة من الاخبار لم تتعدى الثلاث والعشرين حديثا في الإمام المهدي: أن الأحاديث التي خرّجها أئمة الحديث من أهل السنة حول المهدي وظهوره في آخرالزمان قليلة، بل هي أقل، وهي لاتخلو عن الاشكال السندي.[٧١]

اما الاستدلال الثاني لابن خلدون:

ينبغي الاعتقاد واثبات هذه الحقيقة وهي: ان لادعوة في هذه الحياة الدنيا تصل إلى الكمال الامن خلال العصبية، وقوّتها، فقد كان للفاطميين والطالبيين عصبية، أما عصبية

قريش فإنها تلاشت واضمحلت في العالم الإسلامي، ورجحت عصبية الشعوب الأخرى على عصبية قريش، وعليه: فان ظهور المهدي صحيح، ولكن لاسبيل لظهور دعوته بلاعصبية الفاطميين.[٧٢]

و انتقد كبار علماء أهل السنة كلام ابن خلدون، لكن ظهر من كلام ابن خلدون أن هناك روايات وأخبار لم يتطرق اليها الجرح أو التعديل. والعجيب في كلامه أنه تحدث عن منكري وجود الإمام المهدي عليه السلام بنحو غامض ومبهم، فهو لم يذكر واحداً من المنكرين ليقوي بها حجته وأدلته، وهذا في حد ذاته يمثل قوة المنهج المهدوي في فكر أهل السنة.

لقد ابتنى الاستدلال الثاني لابن خلدون على نظرته الاجتماعية للأمور، وذلك عندما قال: اما الادعاء عدا العمل لدى بعض العامة المنتظرين ظهور هذا الفاطمي فغير مقبول، وهم بلهاء وحمقى، لانهم لايستندون إلى العقل، وليس لهم قليلا من العلم، فهم يعتقدون ان هذا الفاطمي يظهر من الزاب في المغرب العربي!!

لكن ان التزم ابن خلدون بكلامه، فعليه ان يقبل ان العصبية ليس وحدها كافية لان تكون دليلا للنهوض والغلبة لرجلٍ كالمهدي عجل الله فرجه، بل ان وعود هذا الفاطمي في تطبيق العدالة هو الذي أخذ بمجامع القلوب وافئدة الناس، جعلهم يلتفّون حوله لنصرته، وهذا وحده كاف في ايجاد هذا الارتباط مع هذا الفاطمي دون العصبية التي ذكرها ابن خلدون.

و لا تجد منكراً آخر للمهدي في الكتب عدا ابن خلدون، الذي كان أول ممن اسس الرفض لهذا الاعتقاد كما ذكرنا. اي منذ القرن الثامن الهجري إلى عصرنا الحاضر.

وكتب محمد رشيد رضا ـ المعروف بالسلفية في شمال افريقيا ـ متاثراً بافكار ابن خلدون ومحمد عبده[٧٣]: أن فكرة المهدي هي من الاسرائيليات التي دخلت الإسلام، بل هي أساساً قضية سياسية متلبسة بثياب الدين، فلا رواية فيه أبداً، إلاّ في الأسانيد الشيعية، فالزنادفة استلموا الحكم من العرب، واعادوه إلى فارس، وهم يبحثون عنه.[٧٤]

وأضاف أيضاً: أن وجود التعارض في أحاديث المهدي واضح، ومنكروا الاعتقاد بالمهدي كثيرون، ولهذا لم يرو مسلم والبخاري في صحيحهما أحاديث المهدي، لعدم قبولهما هذه الأحاديث.

ان فكرة المهدي كانت سببا في وقوع الفتن في المجتمعات الإسلامية، لان هناك كثير ممن يهوى الرئاسة والسلطة كان قد استغل فكرة المهدي للوصول إلى الحكم، فأظهروا البدع وأفسدوا في الأرض، وكان سببا في ظهور علماء كثيرين كانوا قد رفعوا شعار تطبيق العدالة بحجة أن المهدي سيظهر، وينشر القسط والعدل في ربوع العالم.

وقدر رفع ابن خلدون العظيم صوته عاليا وقال: ان لله سننا وأحكاماً، أحدها: ان الدول والحكومات زائلة مادام انها لاتتبنى نهج العصبية في ترسيخ دعائم حكمها، فقد اخذ الاعاجم (الترك والفرس) العصبية من قريش وأهل بيت النبيﷺ، فلو كانت أخبار المهدي صحيحة، فظهوره مستحيل، إلاّ بعد ان تسترجع العصبية الهاشمية والعلوية، فالمسلمون تحدثوا كثيراً عن المهدي، واعتقدوا أن السنن الالهية ستنتقض وتتغير في يوم ما، مع ان فكرة المهدي هي من عصبيات الفرس المجوس الذين سعوا إلى هدم وتحطيم الدولة العربية، فنسبوا أبحاث المهدي إلى كعب الاحبار وقد كان له مقاما وشأنا رفيعا.[٧٥]

ثم استمر رشيد رضا في بيان التعارض في أحاديث المهدي واعتقد أن هذا دليل الوضع وعدم صحة هذه الاحاديث، وقال: ان روايات المهدي وضعت بعد شهادة عليؑ لتكون بشارة لانتقام المهدي من بني أمية.

وقال أيضاً: ومن الموضوعات ايضاً: ظهور السفياني من بني أمية. واستدل بكلام استاذه محمد عبده: بان الإسلام الصحيح هو ما كان على العهد الأول من زمن رسول اللهﷺ، وقبل ظهور الفتن، ولهذا وافق على أحاديث الفتن المروية في الصحاح الستة.[٧٦]

و ذكر رشيد رضا في موضع آخر دون أن ينكر أصل البحث في اشارة منه إلى بعض المشاكل فقال:

يعتقد الخاص والعام ان ظهور رجل يلقب بالمهدي من آل البيت هو من علائم الساعة، وانه سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلا، وسينزل عيسى إلى الارض في آخر حكمه، وسيقتل الدجال...الخ، فمن اضرار هذا الانتظار يأس المسلمين في استعادة العدل والمجد والعزة للاسلام والمسلمين.[٧٧]

و يظهر من خلال تحليل كلام رشيد رضا شدة تأثره بافكار ابسن خلدون، وان المشاكل التي رآها في الاعتقاد بالمهدي لم تكن سوى تعصبه العربي والقومي، ومخالفة الشيعة، فهذه هي الاسباب الحقيقية في انكار المهدي﵇. أما ادعاء كونها من الاسرائيليات، فهذا الادعاء وارد على كافة أسناد الشيعة فلا يدل على انكارها.

قال البستوي: لقد قمت بدراسة وتحليل كافة أحاديث المهدي سنداً ودلالة، فاستنتجت ان لا علاقة لكعب الاحبار في أسناد هذه الأحاديث الصحيحة حول المهدي، هذا أولاً.

وثانياً: ليس هناك اي تعارض في هذه الأحاديث الصحيحة، فالتعارض يحصل في الأحاديث الضعيفة[٧٨].

ومن المنكرين المعاصرين لفكرة المهدي﵇، هو الكاتب الاجتماعي أحمد أمين المصري في كتابه ضحى الإسلام، حيث أدعى فيه أن أحاديث المهدي هي من وضع الشيعة[٧٩] واكمل كلامه ـ وهو يجيب على نفسه ـ : لقد تنازل الأمويون عن مطالبهم امام الشيعة في وضع أحاديث المهدي، فوضعوا في مقابله قصة السفياني، وسكت العباسيون لحسم القضية لصالحهم، ولكنني كنت أرجو من المعتزلة ان يرفعوا النقاب في الكشف عن هذه الظلالة، فلم اعثر لهم على شيء مع الاسف، لكن الزيدية الذين هم خلف للمعتزلة، أنكروا أحاديث المهدي في كتبهم ومصنفاتهم.[٨٠]

ان ماذكره الكاتب الاجتماعي أحمد أمين هو ادعاء محض لا حقيقة له حول إنكار الزيدية أحاديث المهدي﵇، فهم ليس انهم لم ينكروا هذه الأحاديث فحسب، بل اكدوا في مواضع كثيرة من كلامهم على صحتها، وضرورة الاعتقادبها.

كتب زيد بن علي في مجموعة رسائله: «المهدي حق، وهو مصلح من أهل البيت ولن

تدركوه، ويكون ذلك عند انتقاع الزمن فلا تنكلوا عن الجهاد.»[٨١]

وجاء في مجموعة رسائل المرتضى محمد بن يحيي الهادي (م ٣١٠ هـ) «سئلت عن المهدي، وانه ابن من؟ فأجاب: انه وعد إلهي، وسيظهر من ذرية الحسن أو الحسين.» ثم اكد في موضع آخر على صحة أحاديث المهدي عليه السلام ومنها اخبار الرايات السود القادمة من خراسان.[٨٢]

وروى عالم زيدي آخر وهو الحسين بن بدرالدين (م ٦٣٣ هـ) في كتابه ينابيع النصيحة روايات المهدي عليه السلام وقال: «ان الاخبار حول مهدي آخرالزمان كثيرة متواترة.»[٨٣]

وقال البعض أمثال سامي النشار في نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، [٨٤] وأحمد محمود صبحي في علم الكلام في بحثه حول الزيدية:[٨٥] «ان كل امام يدعو الناس إلى نفسه وقد توفّرت فيه شروط الامامة فهو المهدي.»

لكن هذين الباحثين الاجتماعيين أخطئا في كلامهما، لأن السيد عبدالرحمن المؤيد بن الضحياني نفى هذه الرؤية والاعتقاد وقال: إننا لا ننكر ان كل من جمع شروط الإمام فهو المهدي، ولكن هؤلاء المهديون هم غير المهدي المنتظر الموعود به في آخرالزمان، والذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.[٨٦]

وحكى الإمام يحيي بن الحسين خلاف ما اعتقده أحمد صبحي وسامي النشار في رسائل العدل والتوحيد فقال: «ان المهدي هو آخر امام من ذرية علي عليه السلام.»[٨٧] ونقل الاشعري في مقالات الإسلاميين: أن بعض الزيدية يعتقد ان ذالنفس الزكية هو المهدي، وقسم آخر منهم: أنه محمد بن القاسم، وثالث: أنه يحيي ابن عمر، فهو المهدي الذي سيظهر في آخرالزمان.[٨٨]

اذن، ما ذكره الكاتب الاجتماعي أحمد أمين ومدرسته الاجتماعية حول اعتقاد الزيدية بالمهدي يفتقد الشواهد والادلة والبراهين القوية والثابتة، بل الأدلة ضده.

ولم يكن لمنكري المهدوية أي دليل أو برهان قوي يثبت صحة ادعائهم، بل ان كلام بعضهم ينقض كلام البعض الآخر، وأما ادلة المنكرين الآخرين فهي مشابهة تماماً لأدلة

المنكرين المذكورين آنفاً.

و اعتقد محمد محي‌الدين عبدالحميد: أن أحاديث المهدي من الاسرائيليات، ورأى سعد محمد حسن مؤلف المهدية في الإسلام انها من وضع الشيعة، وقد تقدم الجواب عن هذا الادعاء...

وأجاب عبدالمحسن عباد في كتابه المصلح العالمي باسهاب وتفصيل في رد هذا الادعاء.

وينبغي القول هنا: أن كافة منكري أحاديث المهدي عليه السلام عدا ابن خلدون هم من المفكرين المعاصرين ومعظمهم من مصر، لأنهم تأثروا بالعقلانية الجديدة ومبدأ التشكيك الذي ظهر في اوربا في عصر التطور العلمي والتقنية الحديثة، فمن خلال تحليل اوضاع مصر، يمكن اعتبار رؤية محمد عبده السلبية حول روايات الفتن ومخالفته الشديدة للتصوف من جهة، ودعوة المتصوفة الشديدة للمهدي عليه السلام، وتسامحهم ضد حالات العنف والمخالفات السياسية والثقافية المتمثلة في الهجمة الاوربية الشرسة، وعدم مواكبتهم لهذه الاصلاحات من جهة أخرى ـ على انها غير مؤثرة في انتشار هذا الفكر واتساعه.

نظرة عامة حول أهمية الاعتقاد بالموعود في فكر أهل السنة

أفادت روايات أهل السنة أن المهدي عليه السلام هو الخليفة العادل الذي سيولد في آخرالزمان. وذكروا علائم واشراط الساعة، ولكن الاجمال في فكر أصحاب الحديث، والتفصيل في فكر السنة المتشيعين؛ تتفق في ان العالم سيملأ ظلماً وجوراً؛ وأن امر السفياني لدى اصحاب الحديث المتساهلين، والغيبة الكبرى لدى السنة المتشيعين هي من العناوين الهامة في الفكر الإسلامي، فالموعود عند أهل السنة باللحاظ الماهوي: مصلح بشري، من ولد فاطمة عليها السلام يلهمه الله لطفه وعنايته، ويشمله توفيقاته، ليس فيه اي صفة ربوبية، بل حتى الصفات التي هي فوق البشر كالعصمة وعلم الغيب ـ في رأيهم ـ غير موجودة أو متوفرة فيه، ولو انه مطلع على بعض الحقائق والأمور.

فهو في عداد المنجين الموعود بهم للاصلاح، وهو خاص بالمسلمين، وليس في عهدته مسؤولية هداية الأمة، ومن جملتها الهداية المعنوية، وان تأثر السنة المتشيعين بروايات الشيعة كانت قوّت هذا الاعتقاد. فكانت نظرة اصحاب الحديث هي: أن مسؤولية الإمام المهدي عليه السلام كلها منصبّة في هذا الجانب الاجتماعي، وان تخليصه للأمة له وجهة وطابع اجتماعي لاغير وهو: تحقيق الأمن والسلام، وتطبيق العدالة في المجتمع.

ولا يعتمد هذا التخليص في فكر أهل السنة ـ على اعتماد منهج العصبية أو القومية، ومع تحقق مشروع تخليص المسلمين وانقاذهم، سيتحقق لدى غيرالمسلمين أيضاً مشروع احياء القسط والعدل، ويعم الامن والسلام في ربوع العالم، وسيصلون إلى هدفهم المنشود.

مشروع الإمام المهدي في فكرهم هو مشروع الاحياء، وتجديد سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإيجاد القسط والعدل، وهو يتعدى هذا الاطار، اما مشروع الإمام في زعم أكثر اصحاب الحديث؛ فقد اعتبروه تجديداً لسنة العدل في الصدر الإسلامي الأول وعصر الخلفاء الراشدين.

ان الموعود في فكر أهل السنة يمتلك نظرة مستقبلية ومشروعاً ضخماً وهو في عداد آخر الموعودين لايجاد الاصلاح في الأمة. وليس لقيامه وقعوده ارتباط مباشر بنهاية العالم ومصير البشرية، بل ان الحياة بعده ستستمر لأيام معدودة.

و يمكن تقسيم الاعتقاد بالموعود في فكر أهل السنة إلى عدة اقسام:

١. فهو بلحاظ الماهية: مصلح وبشر كسائر البشر ليس له طابع إلوهي أو جانب فوق طبيعة البشر، وهكذا هو في نظرة أصحاب الحديث.

٢. وبلحاظ العمل والمسئولية: فهو المنجي الاجتماعي والجماعي، وكذا بلحاظ العمل الاجتماعي في نظر المتكلمين وأصحاب الحديث.

ومن أشكال فكر الموعود عند أهل السنة: أن صفة المنجي هي صفة إجتماعية محضة، وفي نظر السنة المتشيعين: هي صفة معنوية واجتماعية معاً.

وبلحاظ الشمولية: فالموعود هو عالم الشمول، ومدار الأمة، وهو العالم الإسلامي بأسره.

وبلحاظ القيم والمبادئ: فالموعود له نظرة مستقبلية، وهو آخر موعود على الأرض.

و بلحاظ المعرفة الكونية: ليس له أي عمل كوني.

و الحمدالله رب العالمين

وصلّى الله على محمد وآل الطاهرين

فهرست المصادر

ـ الاشعري، ابوالحسن، الابانة عن اصول الديانة، تحقيق عباس الصباغ، الطبعة الأولى، دارالنفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ هـ .ق.

ـ آل بوطامي النبعلي، أحمد بن حجر: العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية، الطبعة الأولى، دارالكتاب القطرية، ١٤١٥ هـ .ق.

ـ الآمدي، سيف‌الدين: ابكار الافكار في اصول الدين، تحقيق أحمد محمد المهدي، الطبعة الأولى: دارالكتاب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣ هـ .ق.

ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج‌البلاغة، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، دار احياء التراث العربي.

ـ ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، الطبعة الأولى: دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ .ق.

ـ ابن بليان الفارسي، علي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الارنووط، الطبعة الثالثة: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ .ق.

ـ ابن خلدون، عبدالرحمن: مقدمة ابن خلدون، مطبعة مصطفى محمد، مصر .

ـ مقدمة ابن خلدون، ترجمة محمد پروين الگنابادي، الطبعة الخامسة: شركة النشر العلمية والثقافية، طهران، ١٣٦٦ ش.ق.

ـ ابن طاووس، علي بن موسى: الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، الطبعة الخامسة، منشورات الرضي، قم، ١٣٩٨ ش ق.

ـ ابن ماجة، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، تحقيق محمود محمد محمود حسني النصار، الطبعة الأولى: دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ .ق.

ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد، دار نشر المكتبة العصرية، بيروت.

ـ الاشعري، ابوالحسن: رسالة إلى الثغر، تحقيق عبدالله شاكر، محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ .ق.
ـ الالهامي، داود: ائمة أهل البيت في اقوال أهل السنة، الطبعة الأولى: دار نشر مكتبة الإسلام، قم، ١٣٧٧ ش ق.
ـ الإمام المرتضى، محمد بن يحيي الهادي: مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، اليمن، ١٤٢٣ هـ .ق.
ـ الإمام يحيي بن الحسين: رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، دارالهلال .
ـ أمين، أحمد: ضحى‌الإسلام، الطبعة العاشرة: دارالكتاب العربي، بيروت .
ـ الباقلاني، ابوبكر محمد بن الطيب: التمهيد في الرد على الملحدة، تحقيق محمد الخضيري، دارالفكر العربي .
ـ البجنوردي، السيد كاظم: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى.
ـ البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح‌البخاري، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، الطبعة الأولى، دارالقلم، بيروت، ١٤٠٧ هـ .ق.
ـ البزودي، ابواليسر: اصول الدين، تحقيق هانز بيرلنس، داراحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ .ق.
ـ البستوي، عبدالعليم عبدالعظيم: المهدي المنتظر، الطبعة الأولى: المكتبة الملكية، ودار ابن حزم، ١٤٢٠ هـ .ق.
ـ البغدادي، عبدالقاهر، اصول الدين، الطبعة الثالثة، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ هـ .ق.
ـ بهاءالدين‌زاده، محي‌الدين محمد بن بهاءالدين: القول الفصل في شرح الفقه الاكبر للامام أبي حنيفة، الطبعة الأولى؛ تحقيق رفيق العجم، منشورات دارالمنتخب العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ .ق.
ـ البياضي الحنفي، كمال‌الدين أحمد: اشارات المرام من عبارات الإمام، تحقيق يونس،

عبدالرزاق، الطبعة الأولى، منشورات مطبعة مصطفى الثاني الجلي وأولاده، مصر، ١٣٦٨ هـ .ق.

ـ البيومي المصري، محمد: الإمامة وأهل البيت، الطبعة الأولى: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٤١٥ هـ .ق.

ـ التفتازاني، سعدالدين مسعود بن عمر: شرح العقائد النسفية، تحقيق محمد عدنان درويش والشيخ اديب الكلاسي.

ـ شرح المقاصد، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة، وصالح موسى شرف، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠٩ هـ .ق.

ـ التويجري، حمود بن عبدالله: اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم واشراط الساعة، الطبعة الثانية: دارالصميمي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٤ هـ .ق.

ـ الجرجاني، علي بن محمد: شرح المواقف، الطبعة الأولى: منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٢ هـ .ق.

ـ جعفريان، رسول: تاريخ التشيع في ايران، الطبعة الأولى: منشورات انصاريان، قم، ١٣٧٥ ش. ق.

ـ الجويني، عبدالملك: كتاب الارشاد إلى قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد، تحقيق اسعد تيم، الطبعة الثالثة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٦ هـ .ق.

ـ الجويني، عبدالملك: الشامل في اصول الدين، تحقيق فرانك، الطبعة الأولى: مؤسسة الدراسات الإسلامية، طهران، ١٣٦٠ هـ .ق.

ـ الحسين بن بدرالدين: ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، تحقيق مرتضى ابن زيد المطوري الحسني، الطبعة الثانية: مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء اليمن، ١٤٢٢ هـ .ق.

ـ الحسيني الجلالي، السيد محمدجواد: أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل، الطبعة السادسة، مؤسسة الإسلامي، قم، ١٤١٧ هـ .ق.

ـ خسروشاهي، السيدهادي: المصلح العالمي والمهدي الموعود في نظر أهل السنة، الطبعة الثانية: منشورات الاطلاعات، طهران، ١٣٧٤ ش ق.
ـ رشيدرضا، محمد: تفسيرالمنار، الطبعة الثانية: دارالمعرفة، بيروت . ارلرمرلي، فواز أحمد: عقائد ائمة السلف، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥ م.
ـ زيد بن علي: مجموعة كتب ورسائل الإمام الاعظم أميرالمؤمنين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، جمع وتحقيق ابراهيم يحيي الدرسي الخمري، الطبعة الأولى: منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن، ١٤٢٢ هـ .ق.
ـ سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الطبعة السابعة: دارالمعارف، مصر، ١٩٧٧ م.
ـ الشبلنجي، مؤمن بن حسن: نورالابصار في مناقب آل النبي المختار، دارالفكر، بيروت.
ـ الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم: نهاية الاقدام في علم الكلام، تحقيق الفرد جيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة .
ـ الشيباني، محمد بن الحسن: كتاب الأصل، تحقيق ابوالوفاء الافقاني، مجلس دائرةالمعارف العثمانية، حيدرآباد، كن، ١٣٩٣ هـ .ق.
ـ صبحي أحمد محمود: في علم الكلام، الطبعة الثالثة، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٤١١ هـ .ق.
ـ الطبراني؛ سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية: وزارة الاوقاف العراقية، ١٤٠٦ هـ .ق.
ـ عبدالباقي، محمد فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دارالفكر .
ـ الغزالي، محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق الدكتور عادل العواد، الطبعة الأولى: انتشارات دارالأمانة، بيروت، ١٣٨٨ هـ .ق.
ـ الغزنوي الحنفي، جمال‌الدين أحمد بن محمد: اصول‌الدين، تحقيق الدكتور عمر وفيق

الدعوق، الطبعة الأولى: انتشارات دارالبشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٩ هـ .ق.
ـ الفخر الرازي، محمد بن عمر: المطالب العالية من العلم الالهي، تحقيق أحمد الحجازي سقا، الطبعة الأولى: دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ .ق.
البراهين في علم الكلام، تحقيق السيد محمدباقر السبزواري، جامعة طهران، ١٣٤١ ش ق.
ـ فرمانيان، مهدي: أهل السنة، مجلة السماوات السبع، العدد ١٧، السنة الخامسة، ربيع ١٣٨٢ ش ق.
ـ الفقيه الايماني، مهدي: الإمام المهدي عند أهل السنة، الطبعة الثانية، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ١٤١٨ ش ق.
ـ القاري، علي بن سلطان محمد: مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال العيتاني، الطبعة الأولى، منشورات محمدعلي بيضون، ودارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ ش قم.
ـ منح الروض الأزهر في شرح الفقه الاكبر، تحقيق الشيخ وهبي سليمان الغاوجي، الطبعة الأولى، انتشارات دارالبشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٩ هـ .ق.
ـ القاضي عبدالجبار المعتزلي: المغني في ابواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود محمدقاسم، وزارة الثقافة، مصر.
ـ قراملكي، أحمد فرمرز: الهندسة المعرفتية في الكلام الجديد، الطبعة الأولى: مؤسسة العلم الثقافية والفكر المعاصر، طهران، ١٣٧٨ ش ق.
ـ القرطبي، محمد بن أحمد: التذكرة في اصول الموتى وامور الآخرة، تحقيق الداني بن منير آل زهوي، الطبعة الأولى: المكتبة المصرية، بيروت، ١٤٢١ هـ .ق.
ـ الكنجي الشافعي، محمد بن يوسف: البيان في اخبار صاحب‌الزمان، تحقيق محمدمهدي الخراساني، الطبعة الأولى: منشورات مؤسسة الهادي، للمطبوعات، قم، ١٣٩٩ ش ق.
ـ مالك بن انس: الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى: داراحياء التراث

العربي، بيروت، ١٤٠٦ هـ .ق.
ـ المتقي الهندي، علي: كنزالعمال، تحقيق صفوة السقا، الطبعة الأولى: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣ هـ .ق.
ـ محمد أحمد إسماعيل المقدم: المهدي وفقه أشراط الساعة، الطبعة الأولى: الدار العالمية، الاسكندرية، مصر، ١٤٢٣ هـ .ق.
ـ محمد بن علي بن سلوم، مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تحقيق محمد الزهري النجار، دارالباز للنشر والتوزيع، ودارالكتب العلمية، بيروت ومكة، ١٤٠٣ هـ .ق.
ـ مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، الطبعة الأولى: دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٦ هـ .ق.
ـ النسفي، ابومعين: تبصرة الأدلة في اصول الدين، تحقيق كلود سلامة، المعهد العلمي الفرنسي، الطبعة الأولى: دمشق، ١٩٩٠ م.
ـ نعيم بن حماد، ابوعبدالله المروزي: كتاب الفتن، تحقيق الدكتور سهيل زكار، انتشارات دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكة ١٩٩١ م.
ـ النوري الطبرسي، الميرزا حسين: كشف الاستار عن وجه الغائب عن الابصار، الطبعة الأولى: منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ هـ .ق.
ـ يوسف الوابل، يوسف بن عبدالله: اشراط الساعة، دار ابن الجوزي، الطبعة الحادية عشر، السعودية، ١٤١٩ هـ .ق.
ـ يوسف بن يحيى الشافعي: عقد الدر في اخبار المنتظر، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى؛ مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ١٣٩٩ هـ .ق.

هوامش

١. كتب أصحاب الحديث من أهل السنة كتباً ومصنفات عديدة في تأييد الفكرة المهدوية ضد حملات التشويه لرفض هذه العقيدة، وسنشير إليها لاحقاً.

٢. انظر: مهدي فرمانيان «مدخل أهل السنة» مجلة السماوات السبع، العدد ١٧، السنة الخامسة، ربيع ١٣٨٢ ش ق.

٣. المصباح المنير، ص ١ و٢ ص ٢٩٢.

٤. كانوا يطلقون على المحدثين قبل فترة أحمد بن حنبل مصطلح أصحاب الأثر، أي الآثار التي وصلتنا من النبي والصحابة والتابعين، ويطلقون مصطلح «السنة» على أقوال النبيﷺ والصحابة والتابعين. وكان الشافعي هو أول من أطلق مصطلح «السنة» على آثار النبيﷺ والتابعين بعده.

٥. انظر: فواز أحمد الزمرلي، عقائد ائمة السلف، ص ١٩ ـ ٣٧، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥ م.

٦. أبوالحسن الاشعري؛ الابانة عن اصول الديانة، تحقيق عباس الصباغ، الطبعة الأولى: دارالنفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ هـ .ق.

٧. انظر: السيدكاظم البجنوردي، دائرةالمعارف الإسلامية الكبرى مدخل اصحاب الحديث، ج ٩، ص ١١٨.

٨. مالك بن انس، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى: داراحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦ هـ .ق، جاء فيه: نحن تمسكنا بظواهر الآيات، ولانسأل عن كيفيته.

٩. كتبت شروح عديدة على هذه الرسالة، كان آخرها شرح الألباني المحدث المعروف السلفي المعاصر تحت عنوان: شرح العقيدة الطحاوية.

١٠. حول مفهوم أهل السنة: انظر مدخل «أهل السنة» في دائرةالمعارف الإسلامية الانجليزية، ودائرةالمعارف الفارسية، المصاحب، ديو بنديه وبريولويه، مجلة الطلوع، العدد ٦.

١١. حول تعاريف علم الكلام: أحمد فرامرز قراملكي، الهندسة المعرفتية في الكلام الجديد، الفصل الاول، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة العلم الثقافية والفكر المعاصر، طهران، ١٣٧٨ ش ق.

١٢. محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق الدكتور عادل العواد، ص ٢١٣، الطبعة الأولى: انتشارات دارالامانة، بيروت، ١٣٨٨ هـ .ق.

١٣. ذكر المؤلف اشراط الساعة، ولم يتعرض لبحث المهديﷺ.

١٤. شرح العقائد النسفية، تحقيق محمد عدنان درويش والشيخ اديب الكلاسي، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

١٥. شرح المقاصد، تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة وصالح موسى شرف، ج ٥، ص ٣١٢ ـ ٣١٥، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠٩ ش ق.

١٦. نذكر هنا بأن الفقه الاكبر لم يذكر اسم المهديﷺ، بل ذكر الدجال، نزول عيسى و... . وينسب كتاب الفقه

الاكبر لأبي حنيفة.

١٧. منح الروض الازهر في شرح الفقه الاكبر، تحقيق وهبي سليمان الغاوجي، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦، الطبعة الأولى: انتشارات دارالبشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٩ هـ .ق.

١٨. القول الفصل في شرح الفقه الاكبر للامام أبي حنيفة، تحقيق رفيق العجم، ص ٤٣٨ ـ ٤٤٢، الطبعة الأولى: انتشارات دارالمنتخب العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ .ق، وكمال‌الدين أحمد البياض الحنفي، اشارات المرام من عبارات الإمام، تحقيق يوسف عبدالرزاق، ص ٦٧، الطبعة الأولى: انتشارات مطبعة مصطفى الثاني جلبي وأولاده، مصر، ١٣٦٨ هـ .ق.

١٩. تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، ج١، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢، دارالاحياء للتراث العربي، بيروت: الإمام المهدي عند أهل السنة، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

٢٠. يوجد طيفان في اوساط اصحاب الحديث:

الأول: انهم نظروا إلى كافة الأحاديث بنظرة ايجابية، واعتقدوا ان الأحاديث الموضوعة والضعيفة هي نادرة وقليلة جداً.

والطيف الآخر منهم: انهم ينظرون إلى الأحاديث بحذر وتشدد بالغ، ولايرتضون أي حديث.

٢١. مقدمة كتاب الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، الطبعة الخامسة، منشورات الرضي، قم، ١٣٩٨ ش ق، وهذا الكتاب موجز عن ثلاث كتب هي: الفتن، لأبي نعيم بن حماد، الفتن، لأبي صالح السليلي، والفتن، لزكريا بن يحيى البزاز (م ٢٩٨ هـ)، ومع الأسف لم يبق منها سوى كتاب الفتن لابن حماد، اما الكتابان الآخران، فلا يعرف مؤلفا هما، ولايوجد كتاباهما.

٢٢. هذا الكتاب موجود في مكتبة السيرة.

٢٣. سياتي توضيح حول السنة المتشيعين.

٢٤. رسالة العرف الوردي في اخبار المهدي، تأليف جلال‌الدين السيوطي، وهو خلاصة «الاربعين» لأبي نعيم الاصفهاني.

٢٥. يمكن الاعتماد على اقوال الاخرين لمعرفة اقوال اصحاب الكتب المفقودة، راجع البيان في اخبار صاحب‌الزمان «بحث السنيين المتشيعين» في هذه المقالة.

٢٦. تحقيق جمال العيتاني، ج ١٠، ص ٨٩ ـ ٩٨، الطبعة الأولى، منشورات محمدعلي بيضون، ودارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ‌ق.

٢٧. تحقيق الدكتور سهيل زكار، ص ١٥٠ ـ ١٦٥، انتشارات دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكة، ١٩٩١ م، يوسف بن يحيى الشافعي، عقد الدرر في اخبار المنتظر، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ص ٤٣ ـ ٦٦، الطبعة الأولى: مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ١٣٩٩ هـ ق، الملاحم والفتن، ص ٣٨ ـ ٤٩، الإمام المهدي عند أهل السنة.

٢٨. الفتن، ص ١٦٥ ـ ١٧٥، عقدالدرر، ص ٩٧ ـ ٩٩.

٢٩. محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، البيان في اخبار صاحب‌الزمان، تحقيق محمد مهدي الخراساني، ص ١٠٥ ـ ١٠٧، الطبعة الأولى: منشورات مؤسسة الهادي للمطبوعات، قم ١٣٩٩ هـ ق، ورد أحاديث الرايات السود في كثير من كتب الحديث المعتبرة عند أهل السنة.

٣٠. الفتن، ص ٢٠٨ ـ ٢١٠.

٣١. المصدر السابق، ص ٢١١ ـ ٢١٣.

٣٢. المصدر السابق، ص ٢١٦.

٣٣. المصدر السابق، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٧.

٣٤. المصدر السابق، ص ٢٣٠. (روي هذا الحديث في ص ٣٠٢ باسناده عن عبدالله بن عمر باب صلاة المهدي خلف عيسى قال: «و يصلي المهدي خلف عيسى »، وفي بعض الروايات لم يذكر اسم المهدي، بل ذكر اسم رجل صالح، وهو إمام المسلمين فيهم).

٣٥. المصدر السابق، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٣٦. المصدر السابق، ص ٢٤٠.

٣٧. انظر: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى «مدخل اصحاب الحديث»، ج ٩، ص ١١٨.

٣٨. عقدر الدرر، ص ٢٦٦.

٣٩. المصدر السابق، ص ٢٧٤ و٢٧٧.

٤٠. ص ٨٠ ـ ٨٤.

٤١. أحمد بن حجر البوطامي البنعلي، العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية، ج٢، ص ٤٥١ ـ ٤٥٤، الطبعة الأولى: دارالكتاب القطري، ١٤١٥ هـ ق.

٤٢. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، ج٤، كتاب الانبياء باب نزول عيسى، ص ٦٣٣، الطبعة الأولى: انتشارات دارالقلم، بيروت، ١٤٠٧ هـ ق، محمد فؤاد عبدالباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج١، ص ٣١، انتشارات دارالفكر.

٤٣. تحقيق محمود محمد محمود حسن النصار، ج٤، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ص٤٥٢ ـ ٤٥٥، الطبعة الأولى، انتشارات دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ ق.

٤٤. تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد، ج ٤، كتاب المهدي، ص ١٠٦ ـ ١٠٩، ح٤٢٧٩، انتشارات المكتبة المصرية، بيروت.

٤٥. الامام المهدي عند أهل السنة، ص ٤٣ ـ ٤٤.

٤٦. انظر: السيد محمدجواد الحسيني الجلالي، أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل، ص ٥٥ ـ ٦٨، الطبعة السادسة: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧ هـ ق.

٤٧. انظر: الإمام المهدي عند أهل السنة، ص ١٥ ـ ١٨.

٤٨. تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، ج٧، ص ٥١٢ ـ ٥١٣، ح ٣٧٦٢٧ـ ٣٧٦٤٢، الطبعة الأولى: انتشارات دارالكتاب العلمية، بيروت: ١٤١٦ هـ ق، ومعالاسف لم يذكر كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة كافة الروايات.

٤٩. تحقيق حمدي عبدالحميد السلفي، ج١٠، ص ١٣١ ـ ١٣٧، (عشرين حديث)، الطبعة الثانية، انتشارات وزارة الاوقاف العراقية، ١٤٠٦ هـ ق.

٥٠. علي بن بلبان الفارسي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الار نووط، ج ١٥، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٩، ح ٦٨٢٣ ـ ٦٨٢٧، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨ هـ ق.

٥١. منهاج السنة في الرد على كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلي، ولكن ابن تيمية ايد فكرة المهدوية.

٥٢. انظر: الإمام المهدي عند أهل السنة.

٥٣. ذوالقعدة، ١٣٨٩ هـ ق، ص ١٦٢. روى عن البستوي، المهدي المنتظر، ج١، ص ٥٩، الطبعة الأولى: المكتبة المكية ودار ابن حزم، ١٤٢٠ هـ ق.

٥٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، مقدمة وذيل الحديث الحادي عشر، ج٤، ص ٤٢ ـ ٤٣، تخريج أحاديث فضائل الشام، ذيل الحديث ١٨.

٥٥. اورد السيد خسرو شاهي هذا الكتاب في كتاب المصلح العالمي وترجمه. المصلح العالمي والمهدي الموعود في نظر أهل السنة، ص ١٠٣ـ ٢٩٦، الطبعة الثانية: انتشارات الاطلاعات، طهران ١٣٨٤ هـ ق.

٥٦. ذكر بحثاً مفصلاً في باب المهدي، واعتقد ان المهدي من العقائد الضرورية والمسلمة لدى أهل السنّة والجماعة.

٥٧. قام بتحليل (٤٦) حديث واثر صحيح، و(٢٩٢) حديث ضعيف، وأخيراً، قبل منها ثمانية أحاديث مصرحة و(٢٢) حديث غير مصرح على أنها أحاديث صحيحة، ج ١ ص ٣٥٥.

٥٨. ص ٢٤٩ ـ ٢٧٥، الطبعة الحادية عشرة، السعودية، ١٤١٩ هـ ق، ويمكن اعتبار بحثه المتميز والجيد في هذا الخصوص خلاصة ما ذكره البستوي.

٥٩. ج ٢، ص ٤٥١ ـ ٤٥٤.

٦٠. الف قديماً كتاباً صغيراً تحت عنوان: المهدي حقيقة لاخرافة، وقد ذكر فيه هذا البحث بالتفصيل، واستدل في ثمانمائة صفحة وأربعمائة مصنّف (باتجاهات سلفية) ذكر فيها أحاديث المهدي عليه السلام.

٦١. قال ابن الاثير: ولما ابتعد الإمام الحسن عن السلطة، عندها تفرقت الامة، فمنحه الله المهدي عليه السلام وجعله من أولاده، تثمينا لفعله (تك: نورالابصار، ص ١٨٧)، سنن ابن أبي داود، ذكر في حديث رواه: ان المهدي من أولاد الحسن عليه السلام.

٦٢. محمد أحمد إسماعيل المقدم، المهدي وفقه اشراط الساعة، ص ٧٢٥ ـ ٧٢٨، الطبعة الأولى: انتشارات الدار

العالمية، الاسكندرية، مصر، ١٤٢٣ هـ ق.

٦٣. انظر: مقدمة شرح نهج‌البلاغة، ابن أبي الحديد، ويعتقد كافة معتزلة بغداد وبعض معتزلة البصرة بهذا الاعتقاد.

٦٤. ص ٢٠ ـ ٨٦، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت ١٤٠٨ هـ ق، ويشير هنا: إلى ان بعض من ذكر في هذا الكتاب في الفقه والكلام كانوا من الشيعة. ذكر داود الالهامي في كتاب «أئمة أهل البيت في اقوال أهل السنة» بعض آراء علماء أهل السنة حول الاعتقاد بالمهدي عجل الله فرجه وأغلبهم من السنة المتشيعين. (تك: داود الالهامي، ائمة أهل البيت في أقوال أهل السنة، ص ٤٧٩ ـ ٥٠٧، الطبعة الأولى: انتشارات مكتب الإسلام، قم ١٣٧٧ ش ق، رسول جعفريان، تاريخ التشيع في ايران، ص ٧٢٥ ـ ٧٣٢، الطبعة الأولى: منشورات انصاريان، قم، ١٣٧٥ ش ق، وقد افرد جعفريان فصلاً خاصاً بالسنة الاثني عشر إماماً، وذكر أسماءهم.

٦٥. هو على خلاف السنة المتشيعين، فإنه قال بعصمة الأئمة عليهم السلام، مع ان كثيراً من أهل السنة المتشيعين لايقولون بذلك.

٦٦. ألف هذا الكتاب في الرد على الامامية، ولكنه قبل في نفس الوقت فكرة الإمام المهدي عجل الله فرجه عند الشيعة الامامية.

٦٧. الف كتابا اسماه نهج الباطل في الرد على كتاب نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلّي، وكذا الرد على الإمامية، ولكنه في نفس الوقت قبل فكرة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٦٨. في خصوص هؤلاء الاشخاص عدا كتب هؤلاء المصنفين والكتاب (طبعاً الكتب الموجودة عند المؤلف)، كنا قد ذكرنا ثلاثة كتب: للميرزا حسين النوري، داود الالهامي، ورسول جعفريان، وقد استفدنا كثيراً من كتاب الإمام المهدي عند أهل السنة.

٦٩. الكتاب الثاني الذي يتضمن أمور ومطالب هامة من الكتاب الاول؛ ترجمه السيد هادي خسروشاهي في كتابه المصلح العالمي والمهدي الموعود في نظر أهل السنة، واشار في مواضع كثيرة إلى أخطاء عبدالله بن زيد المحمود.

٧٠. مقدمة ابن خلدون، ص ٣١٢، مطبعة مصطفى محمد، مصر، المصدر السابق، ترجمة محمد پروين الگنابادي، ج١، ص ٦٠٨، الطبعة الخامسة، شركة الانتشارات العلمية والثقافية، طهران، ١٣٦٦ ش ق.

٧١. المصدر السابق، ص ٣٢٢ وص ٦٣٠.

٧٢. المصدر السابق، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨، وص ٦٣٩ ـ ٦٤٠.

٧٣. محمدرشيد رضا، تفسير المنار، ج٩، ص ٤٨٠، الطبعة الثانية، انتشارات دارالمعرفة، بيروت.

٧٤. المصدر السابق، ج٩، ص ٤٨٢.

٧٥. المصدر السابق، ج٩، ص ٤٩٩ ـ ٥٠١.

٧٦. المصدر السابق، ج٩، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٦.

٧٧. المصدر السابق، ج٦، ص ٥٧ ـ ٥٨.

٧٨. المهدي السابق، ج١، ص ٣٧٧ ـ ٣٨٠.

٧٩. ج ٣، ص ٢٤٦ ـ ٢٧٣، الطبعة الثانية: انتشارات دارالكتاب العربي، بيروت.

٨٠. المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٣.

٨١. مجموعة كتب ورسائل الإمام الأعظم أميرالمؤمنين زيدبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، جمع وتحقيق ابراهيم بن يحيى الدرسي الحمرسي، ص ٣٨٤، الطبعة الأولى: منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن، ١٤٢٢ هـ ق.

٨٢. محمد بن يحيى الهادي، مجموعة كتب ورسائل الإمام المرتضى، ج١، ص ١٢٨ و٢٠٧ ـ ٢١٠، الطبعة الأولى: منشورات مكتبة التراث الإسلامي، اليمن، ١٤٢٣ هـ ق.

٨٣. تحقيق المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩، الطبعة الثانية: مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، اليمن، ١٤٢٢ هـ ق.

٨٤. ج ٢، ص ١٣٢، الطبعة السابعة: دارالمعارف، مصر، ١٩٧٧ م.

٨٥. ج٣، ص ١٢٨، الطبعة الثالثة: انتشارات دارالنهضة العربية، بيروت، ١٤١١ هـ ق.

٨٦. المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٨، الهامش.

٨٧. تحقيق محمد عمارة، ج٢، ص ٧٤ و٨٢، انتشارات دارالهلال.

٨٨. انظر: هذه المجموعة، مهدي فرمانيان؛ مقالة «ردود وانعكسات الاعتقاد بالموعود»، قسم المهدوية والزيدية.

الاسطورة الصهيونية المسيحية و دور المخلّص العالمي

محسن قنبري

نبذة

تاثير الافكار الاسطورية في صياغة العقلية البشرية لها تاريخ عريق وطويل بامتداد الحياة البشرية في مختلف العصور والأزمنة على وجه الأرض. تلك الاسطورة التي تمتلك نصف نظرة منها حول الطبيعة، ونظرة أخرى في ميتافيزيقة الطبيعة، وقد كان لها دور هام ونشط في حياة الإنسان. فمن خلال استطلاع الرأي العام في المجتمعات العالمية المعاصرة نجد هذا الاعتقاد في آخر الزمان على رغم التقنية الحديثة والتطور العلمي ـ وهو وجود نوع من الأفكار الاسطورية التي آمن بها الإنسان المعاصر. فالمسيحية الصهيونية خليط من العقائد الطبيعية وغير الطبيعية المعطوفة على القدرة والمنعطفة عن القدرة التي تعتبر من خصائصها وصفاتها. إن سيطرة القدرة الكبرى في هذه

الحركة كانت غامقة الألوان وغامضة جداً، وهي من جملة الأهداف التي يتم من خلالها توجيه الوسائل المتنوعة للوصول إلى معرفتها. ولكي نفهم هذه الحركة، علينا أن نحلل بعض المفاهيم التي ترتبط بها، كالاصولية، البروتستانية، والاسطورة لدى الشعوب الغربية، ودراسة الظواهر والأحداث ابتداء من التمهيد التاريخي إلى التشكيل والظهور والرفاهية في نسيج الغرب المتطور وفكر الإنسان الغربي. أما الاعتقادات السبعة لأنصار هذه الحركة للأبحاث السياسية ـ والدينية فهي معطوفة على آخر الزمان، ويتحتم السعي لإعمال هذه المعتقدات الاسطورية. لقد تحولت هذه الجماعة إلى تهديد جدي للامن والسلام العالمي، ومواجهتها للعالم الإسلامي في مجال التصديق والاعتقاد واستخدام الاساليب العملية بنحو مضاعف.

المفاهيم الأصلية في البحث:
الاسطورة، الصهيونية المسيحية، البروتستان، آرمجدون، الكتاب المقدس.

المقدمة

يبدو موضوع الأسطورة الصهيونية المسيحية[1] في أول نظرة على أنه لغز سر[2]، فالعديد من الباحثين إذ يعتقدون على أساس تصنيف فترات التاريخ إلى عدة أدوار كعصر الاسطورة، الفلسفة والعلم، فكذا عصر الاساطيريرتبط بفترة ما قبل ظهور الفلسفة، وقد كانت البشرية أسيرة عصر الاوهام والخرافات والتسطيرات الذهنية، فكان لها تعريفاً وهميا وخياليا لواقع الحياة.

أن الإنسان الأسطوري ومن خلال اعتقاده بالالهة وتعددها دون استخدامه العلم والعقل كان يرى أن كل شيء في الكون مرتبط بالسماء، فهل يمكن أن تتراجع حركة التاريخ البشري إلى الوراء، ويكون القرن الحادي والعشرين الذي هو عصر التقنية الحديثة والازدهار والتطور العلمي، هو عصر الاساطير والخرافات والجهل؟! وفي هذه الحالة، فما معنى الاسطورة الصهيونية المسيحية؟!

نحن نعتقد أن الصهيونية المسيحية حركة نتجت من خروج المسيحية عن مسارها الصحيح، وبداية ظهور البروتستانية، حيث أثمرت عن استغلال المفاهيم الدينية كمفهوم

«المنجي» لخدمة الغايات والأغراض السياسية وتوسيع الاستكبار من قـل دول عالميـة كبرى كأمريكا.

الاسطورة تركيب ذهني لمجاميع أعضاء مع بعضهم البعض نتج عنـه الاعتقـاد بظهـور مولود جديد. وهذه الحركة هي معجون لمجاميع سمّيت (بالمسيحية).

أما اليهودية والـصهيونية فقـد صـنعت لنفـسها مولـوداً جديـداً أسمتـه «الـصهيونية المسيحية»، حيث قامت بتغيير الواقع لصالحها من أجل الوصول إلى أغراضها وأطماعها الأسطورية.

وقد رافقت هذه الاساطير الواقع وتماشت معـه، وأصـبحت فيـه مـؤثرة، فأوجـدت موجة من العنف والاضطراب في العالم، واتخذت لنفسها مقراً للحكـم والقـدرة، وبقيـت تتمنى تزايد القوة والقدرة وتصاعدها في العالم.

ظهرت الاساطير في العصر الجديـد بـصفات وخـصائص مـشتركة، يمكـن تـسميتها بالاساطير «المعطوفة على القدرة» و«المنعطفة عن القدرة». فهي معطوفـة علـى القـدرة بسبب تماشيها مع الأهداف الأصلية، وكون أنشطة مجاميعها هي الحصول أكثر مـا يمكـن على القدرة والقوة والنفوذ.

وهي منعطفة عن القدرة لأجل استخدام تلـك القـدرات والقـوى للاسـاطير بهـدف إعمال نفوذها[٣] الواقع على سائر أنحاء القرية العالمية[٤]، وتوجيه أسـاليبها وتـصرفاتها في الأذهان العامة.

إن هدفنا في هذا البحث هو عرض أبرز الأساطير الـتي ظهـرت أخـيراً في عـصرنا بخاصيتيها «أي كونها معطوفة ومنعطفة عن القدرة»: كأسطورة نهاية التاريخ لفو كوياما، صراع الحضارات لساموئيل هانتيگتون، النظام العالمي الجديـد، العولمـة ليـوش الأكـبر (الأب)، ومكافحة الارهاب لبوش الأصغر(الابن). وخدعة أحداث الحادي عـشر مـن سبتمبر عام(٢٠٠٠)م الكاذبة، والأهم من ذلك هو: عرض أسطورة الصهيونية المسيحية. وسنحلل في هذه المقالة أيضاً جوانب عديدة ومختلفة لهـذه الحركـة. وكيفيـة اسـتغلالها

للمفاهيم الدينية (كالمخلص والموعود)، الصلاح، الأمة المختارة، حرب الخير والشر في وقوع معركة آرماجدون، تحرير العالم من الظلم والفساد، والتحضير لعودة المسيح عليه السلام ثانياً.

ويعتبر كسب المزيد من القدرة وتنشيطها في مجال السياسة، الثقافة، الاجتماع، الاقتصاد وغيرها من المجالات أصل ثابت عند المحللين السياسيين على المستوى الدولي والعالمي، ويعدّ استمراراً لمنهج الواقعي.ويلازم كسب القدرة أحياناً وجود واسطة يتم عبرها إعمال النفوذ والقدرة وتوسيعها، وهو في نظر العامة أمر أكثر تقبلاً وتوجهاً.

ولدت الحركة الصهيونية المسيحية ونشأت على يد السلطات والدول العظمى، وهي حلقة متصلة بها لإعمال القدرة، ولهذه الحركة نتائج ومعطيات عملية تتمحور حول القدرة. حيث رفعت لها شعارات ومفاهيم للوصول بسرعة إلى أهدافها وتحقيق أطماعها كمفهوم «المنجي» و«الموعود» و«الحرب العالمية بين الخير والشر في آخر مراحل التاريخ» وتحرير العالم من ذل العبودية وتخليصه من العنف، واستنزاف الطاقات البشرية، وغيرها عن الشعارات.

وسيتم التحقق مما ذكرناه في إلقاء نظرة موجزة حول كيفية ظهور هذه الحركة ودراسة وتحليل نتائج نتائجها ومعطياتها التاريخية.

وقبل البدء في هذا البحث، نشير إلى ضرورة تعريف ثلاثة مفاهيم أساسية وهامة هنا وهي:

١. الاصولية.

٢. البروتستانية.

٣. الاسطورة والخرافة.

وهذه المفاهيم الثلاثة لها تأثير مباشر في فهم الحركة الصهوينية المسيحية.

أ) الاصولية «fundamentalism»

وتعني لغة تمسك أتباع ومؤيدي هذا المبدأ بشدة بالأصول والمبادئ والقيم الأساسية.

أما في الاصطلاح: فهذا المصطلح يطلق على الحركة «البروتستانية» الامريكية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين في الرد على منهج الحداثة والتطور. وقد أكد البروتستانيون على حجية ظواهر الكتاب المقدس وخصوصا في مجال الاخلاق والايمان. وبعبارة تاريخية أخرى أدقّ: أنه يمكن الاستناد إلى المفاهيم والمعتقدات الدينية المسيحية في بعض المفاهيم والمبادئ «كخلق العالم»، «وحدة الخلق»، «المعاد الجسماني»، «التكفير عن الذنوب والمعاصي بالموت»، ورجوع المسيح عليه السلام ثانية إلى العالم الدنيوي[٥].

أطلق مصطلح «الأصولية» لأول مرة على «البروتستانيين» المتشددين، وجاء ذكرها أيضاً في بعض الكراسات والكتيبات التي نشرت في الغرب وأسموها «fundamentals»، وأسموا أنفسهم «الاصوليين». أما «المسيحية الأنجيلية» فهو الاسم الآخر للاصوليين، وتبدّلت هذه التسمية في العقد الثاني من القرن العشرين، وتحوّلت إلى مجرى سياسي وديني لمواجهة أصول ومبادئ منهج الحداثة والتطور. من أبرز وأشهر المباني «الاصولية» الدينية المسيحية التي ظهرت في أمريكا هي:

١. نصوص ألفاظ الكتاب المقدس، وهي نفسها كما أنزلها الله تعالى لم تتغير، لكن هذا الاعتقاد يتعارض مع اعتقاد المسيحيين اليوم بأن الكتاب المقدس كتبه الحواريون والرسل بعد تعليق السيد المسيح عليه السلام على الصليب وصلبه.

٢. مواجهة منهج حداثة الالهيات والتطور الذي ظهر في أوربا، بل كل توجّه وحركة في جعل المجتمع المسيحي ذو توجهات وأفكار علمانية.

٣. تحويل الحياة لشواخص معنوية، أساليب وتوجهات أخلاقية وتعهدات شخصية كقراءة الكتاب المقدس، الدعاء والتضرع، التعصب لمذهب المسيحية والمسؤليات والمهام الدينية[٦].

ظهرت «الاصولية» المسيحية لمواجهة المنهج الحداثي والتطويري، فقامت بطرد كافة مظاهر ذلك المنهج، وبذلت جهوداً مكثفة ومساعي حثيثة للمحافظة على الكتاب المقدس من ظاهر التحريف.

وبعبارة أخرى: الاصوليون المسيحيون هم جماعة ملتزمون يخالفون منهج التطـور في العلوم المادية والمتضادة بحسب الظاهر مع الكتاب المقدس. فعلى رغـم وجـود الفـارق الأساسي والمهم بين الاصوليين التقليديين القدامى وبين أصوليي الحاضـر، لكـن وقـوع الاحداث العالمية والتنبؤات حول الظواهر المستقبلية التي ستقع كان قد تم تفسيرها مـن قبل الأصوليين الأوائل تفسيراً ظاهرياً من خلال التأكيد على الكتاب المقدس.

لقد استخدم بعض المستشرقين والمتسمين بالمـسلمين المـثقفين بالثقافـة الغربيـة هـذا المصطلح الرجعي والمتخلف لدى الغرب في الجماعات الإسلامية التي بلغت قمة الـشعور بالمسئولية والوعي والنضوج الفكري والمذهبي في مواجهة مظاهر الحضارة الغربيـة الـتي غزت اليوم عالمنا الإسلامي، فلم تبق في مجتمعاتنا حجر ولا مدر، وتـصدّوا لمـؤامراتهم الدنيئة في رفض الإسلام ودعوا إلى نبذ المظاهر الغربية. وهؤلاء الملتزمون الواعون مـن الإسلاميين الذين واجهوا تلك الافكار الالحادية من خلال إسلامهم السياسي، وتحـدوا تلك الظواهر الامبريالية الجديدة أسموهم في مـصطلحنا المعاصـر الغـربي «بـالرجعيين» و«المتخلفين الأصوليين». لقـد حـاول بعـض الكتّـاب المستـشرقين أمثـال: «سـاگال» و«ديويس» استخدام مصطلح «الاصولية» على أنـه مقولـة تحليليـة، وذكـر لهـا ثلاثـة عناصر وخصائص مهمة وأساسية ليشمل هذا المصطلح أيضاً «الأصولية الإسلامية»

١. عرض مشروع التحديد والسيطرة على جسم المرأة.

٢. أساليب في العمل السياسي لرفض التكثّر.

٣. الدفاع بشدة عن ادغـام الـدين والـسياسة وعـدّه بمنزلـة أداة ووسـيلة لتحقيـق الأهداف[٧].

قام بابي سعيد بعد نقل هذه العناصر والخصائص بتحليل كل منها ونقدها، ثم اسـتنتج منها: أن لا يمكن تخصيص هذه العناصر والخصائص في (الاصـولية)، بـل هـي عناصـر وخصائص عامة وكلية كما يبدو من تحليلها ومعرفتها.

أما الأول: عرض مشروع التحديد والسيطرة على جسم المرأة

فقد قامت حكومات عديدة ومنها الحكومة البهلوية في عصر رضا خان في ايران وحكومة أتاتورك في تركيا برفع الحجاب عن النساء المحجبات، وتعمل الدول التي تدّعي الديمقراطية والحرية اليوم كفرنسا على منع دخول النساء المحجبات إلى المدارس والمؤسسات ودور عملهن، وهذه بنفسها مساعي وجهود حثيثة للتعرض والاشراف على أجساد النساء وأبدانهن، وهذا المورد طبعاً ليس من الخصائص الانحصارية في الأصولية.

أما الثاني: أساليب في العمل السياسي لرفض التكثّر

فإن الفكر القاطع وحالات الجزم ورفض التكثر هو ليس من خصائص الاصولية أيضاً. قال بابي سعيد: إن الفكر القاطع والجزم يشاهد في كافة شؤون الحياة المعاصرة، وفي العديد من المذاهب، وتفسّر النظرة الغربية أساساً على اتجاه تفوقه التكنولجي، الاقتصادي، العسكري، واستيلائه على الشرق وخاصة البلدان الإسلامية. وقد صرّح الساسة والحكام الأمريكان أخيراً: بأن العالم أو الاشخاص إما معنا أو ضدنا، وهذا يحكي نظرته المطلقة، وتخلّف وجهل الآخرين.

وتحاول أمريكا من خلال تنفيذ مشاريع متعددة كالعولمة، ومشروع الشرق أوسط الكبير من إعمال مطلق تفكيرها ونفوذها في المجالات السياسية «من خلال صناعة وفرض مشروع الديمقراطية الامريكية»، والاقتصادية «الرأسمالية الغربية»، والاجتماعية والثقافية على العالم ومنها البلدان الإسلامية في الشرق والاوسط.

وأما الثالث: الدفاع بشدة عن ادغام الدين والسياسة

ومعناه: الحركة والاتجاه العلماني وفصل الدين عن السياسة. وبعبارة أخرى: فصل القطاع العام عن القطاع الخاص. وهذه مرحلة جديدة في منهج الحداثة وعصر التطور الغربي. فقد استطاعت من خلال هذه القراءة أن تحصر الدين في الجانب الفردي، أما السياسة فقد جعلتها تتماشى مع الحريات المتفسخة والمنحطّة المتحررة من كافة الرواسب والقيود الدينية والاخلاقية. ومن الواضح أن فصل الدين بهذا المعنى لا

يتناسب مع تعاليم الكنيسة «حاكمية الكنيسة على الغرب في القرون الوسطى»، وكذلك مع الأصول والمبادئ قبل ظهور منهج الحداثة وعصر التطور[٨].

إن هذه العناصر والخصائص الثلاثة التي عدّوها أركانا هامة وأساسية في «الاصولية» لا تنحصر بهذه الموارد، بل تعمّ أقسام ومجاميع أخرى، وحكومات ودول وأديان عديدة.

ويطلق مصطلح «الأصوليون» في العرف السياسي: على الملتزمين والمتمسكين بظواهر الكتاب المقدس مجرداً عن العقل والعلم، والتفاسير القشرية، ويعتبر (المسيحيون الصهاينة) هم أبرز مصاديق هذا المنهج والتفكير.

أما إطلاق هذا المصطلح على الحركات الإسلامية التي تدافع عن مبادئها وقيمها الفكرية والدينية فمعناه: التزامهم وتمسكهم بالمسلمات الفكرية في الدين الإسلامي، واستخدام عنصر الحداثة والتطور الدنيوي ما دام ذلك لا يضرّ بالأصول والقيم الإسلامية.

ب) البروتستانية

انعقدت أول نطفة للصهيونية المسيحية تزامنا مع ظهور حركة الاصلاح «لمارتن لوثر» في القرن السادس عشر الميلادي، فقد اخترع المجمع الثاني اشباير[٩] مصطلح البروتستانية في فبراير عام ١٥٢٩م، وأصدر قراراً يقضي بالتساهل والتسامح مع أنصار ومؤيدي «لوثر» في ألمانيا، مما أثار هذا القرار الجائر حفيظة ستة من الأمراء الالمانيين، وسخط أربعة عشر مدينة من مدن ألمانيا وساكنيها في إبريل من نفس العام، ومن هنا جاءت تسمية «البروتستانية» بمعنى «الاعتراض».

واستخدم مصطلح (البروتستانية) بمعنى «الاعتراض» على الاشخاص أو الاحداث التي سبقت أبريل عام ١٥٢٩م، أي المبدعين في حركة الاصلاح الديني وكونهم بروتستانيين. لكن هذا المعنى غير دقيق إلى حدّ ما[١٠]، وإن كانت حركة الاصلاح الديني نفسها قد تأثرت بعوامل كثيرة.

فمثلاً استدل المستشرق «آليسترمك كراث»[11] في كتابه «معطيات وردود على فكر الاصلاح الديني» بظاهرتين من الفلسفة المدرسية[12] في القرون الوسطى، وانتشارو توسيع منهج «أصالة الإنسان» «Omanism» تزامناً مع عصر الولادة الجديدة وعصر التطور في الغرب؛ وقد كان أكثر تأثيراً في ظهور حركة الاصلاح الديني.

وكما قلنا: إن أصول الحركة الكبرى للمسيحيين اليهود هي في الأصل حركة الاصلاح الديني التي ظهرت في أوربا في القرن السادس عشر الميلادي، وقد عبرّوا عن هذه الحركة «بالقيامة العبرية» أو اليهودية، حيث تعود هذه الأفكار والتوجهات الجديدة إلى الماضي، وربطها بالحاضر والمستقبل لليهود. فلا يرى أحد اليوم ضرورة في لعن اليهود، أو يعتقد أنهم قوم معاندون، وأنهم قتلة عيسى المسيح عليه السلام. لكن ظهر بعد القرن السادس عشر الميلادي اختلاف ونزاع عميق ومعقّد بين هذين الفئتين، أي المسيحية التقليدية الممثلة «بالكاثوليك» والمسيحية الجديدة الممثلة «بالبروتستانيين» «فالبروتستانية» في أوربا كانت بداية ظهور أكبر الانحرافات في الدين المسيحي. وكان «مارتن لوثر»[13] رئيساً لحركة الاصلاح الديني، ومتأثراً بشدّة «بكتاب العهد القديم» «التوراة»، حيث دعا إلى تفسير «كتاب العهد الجديد» «الانجيل» ليكون في مصاف نظريات التوراة ومنافساً، مع أن «الانجيل» يفسّر التوراة وليس العكس. وقد أحدثت هذه الفكرة في عصر «لوثر» ضجّة كبيرة في المجتمع الغربي. فقد كتب «لوثر» في كتابه «ولد المسيح يهودياً» الذي ألّفه عام (١٥٢٣م) فقال: اليهود هم أقرباء إلهنا «عيسى المسيح» وهم إخوته وأولاد عمومته، أعني بهم «الكاثوليك»، فإن تسموني «كافراً» فقد أتعبتم أنفسكم وأرهقتم، فالأفضل لكم أن تسموني يهوديا[14]... إن أساس الخلاف بين «الكاثوليك» و«البروتستانيين» هو في أسلوب فهمهم وتصورهم حول اليهود وأدائهم. ففي اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية يكون «عصر الامة اليهودية» قد انتهى، وقد عاقب الله اليهود على قتلهم عيسى بن مريم عليه السلام بابعادهم عن فلسطين إلى بابل، وتنبأت الكنيسة الكاثوليكية بعودة اليهود من بابل إلى فلسطين على يد الملك الايراني «كورش» لكن

حركة الاصلاح البروتستاني عرضت منهج «القديسين»، وطردت الكنيسة أسلوب القراءة الواحدة لنصوص الكتاب المقدس، وقد أدى هذا إلى القول بصحة معتقدهم الديني، واعترفوا رسمياً باليهود، فتفاقمت لديهم القوة، ودبّت فيهم القدرة والنشاط، واعتقد «البروتستانيون» اليهود بأنهم هم وحدهم شعب الله المختار، واعتبروا العهد القديم هو المرجع الأصلي لمعتقداتهم[١٥].

لقد كان هدف «لوثر» هداية اليهود نحو الدين البروتستاني، ولكن اليهود قاموا عمليا بسحب المسيحيين تجاههم، فازداد عدد المناصرين لليهود يوما بعد آخر، وكثر أتباعهم ومؤيديهم.

وقد أعرب (لوثر) في كتابه الآخر «أكاذيب اليهود» الذي ألّفه عام ١٥٤٤م عن استنكاره وكرهه لليهود، ودعا إلى إخراجهم فوراً من ألمانيا.

ج) أساطير الغرب

استمرت فكرة الاسطورة بين الغربيين حتى بعد مضي وعبور القرون الوسطى والوصول إلى العقلانية العلمية ومنهج الحداثة والتطور. فقد رأى «كريستوف كولومب» أن أسفاره التي قام بها كانت جزءاً من سيناريو «العهد الالف» لظهور المسيحية التي أدت أخيراً إلى تحرير القدس من يد المسلمين، وإعادة بناء المعبد.

وقد كانت أمريكا منذ الأيام الأولى لكشف القارة الامريكية إلى عصرنا الحاضر في عرض النظام العالمي الجديد وعصر العولمة ـ أسيرة أفكارها الاسطورية ونظرتها غير الواقعية، فساقت العالم بأسره نحو مستقبل مجازي غير واضح، وقد سلّمت مقاليد الاشراف والسيطرة على العالم إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كتب (كولومب) مذاكراته في كتابه «التنبؤات» فقال:

> قيل للملكة «إيزابيل»: إن الذي يعثر عليه ويجده في الأرض الجديدة سيخصّصه لاعادة هيكل سليمان، ويبدّل هذا المعبد إلى مركز وقوّة على وجه الأرض[١٦].

اعتمدت مصادر الأساطير المسيحية في الحقيقة أصل «التثليث» المسيحي في الالهيات وهي:

١. النظرة الاسطورية لعيسى بن مريم عليه السلام.

٢. قبول مقام الالوهية له.

٣. خطابهم عيسى بابن الله.

ويبدو في اعتقاد المسيحيين المؤمنين صحّة ذلك.

ولكن حاول البعض «كارجيبالد رابرتسون»[١٧] باعتماده الأناجيل الأربعة والنصوص الأخرى الموجودة في بداية ظهور المسيحية إلى الاستفسار ومناقشة الاجماع على ألوهية عيسى عليه السلام، وذكر أدلّة تاريخية تثبت كذب الادعاء بأن عيسى عليه السلام إله، وإنما هو إنسان كسائر البشر[١٨].

وعلى هذا، فإن عمدة المسيحيين مصرّون على ترتيب مثل هذه الشخصية الاسطورية لعيسى عليه السلام، وقد ذكرنا سابقاً أن هذه الفكرة الاسطورية كانت قد ألقت ظلالها على الغرب كلّه، وسيطرت عليه في تلك الفترة. أما في عصر الولادة وبداية تشكيل البروتستانية، فقد سادت نظرة حول أسطورة «لوثر» رئيس حركة الاصلاح الديني في ألمانيا، وأذاعوا أنه «المخلّص» للشعب من سيطرة الكنيسة وتسلّطها، فالمعتقدون بمذهب «أصالة الإنسان» امتلكوا نفوذا وسطوة كبيرة وواسعة على حركة الاصلاح الديني، وادعوا لقيادة «لوثر» إلهامات وايحاءات إلهية وهداية ربانية[١٩].

فالصهيونية المسيحية التي هي نفسها تمثّل أساطير برفعها شعارات مثل: العرق الأفضل، الشعب المختار، الممهدون لعصر المسيح عليه السلام، الاستعداد للحرب الاخيرة المقدسة، ودعم أمن واستقرار إسرائيل في الأرض الموعودة التي تبلغ سعتها من النيل إلى الفرات. وهي تسعى في الحقيقة من خلال دراسة ومعرفة مراكز السلطة والقدرة في العالم في التغلغل والنفوذ، ومن ثم السيطرة التامة على العالم لتحقق أساطيرها في الواقع الملموس تحقيقاً عملياً وحقيقياً، بعرضها مشاريع وأطروحات تخدم المصالح الاسرائيلية،

وتؤمّن مصالح القوى الاستكبارية العظمى وإسرائيل تحديداً.

التمهيد التاريخي للصهيونية المسيحية

كان ينظر إلى المسيحية بمنظار يهودي من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، أي تحديده اتجاه النظرة في هذه القرون من هذه البوابة الرئيسية، لأن اليهود لم يكونوا ليسمحوا للمسيحيين في اتباع الدين الجديد إلى القرن الثالث الميلادي.

لكن نشاط «بولص» المضاد أدى إلى تحرير المسيحيين وتخليصهم من قبضة اليهود وسيطرتهم، وقد أدى انتصار هذا المذهب إلى بث روح الحركة والنشاط والابداع الجديد فيهم في القرن الثالث والرابع الميلادي تحديداً، أي بثّ تلك الروح التي تسمي بها الكنيسة نفسها «باسرائيل الجديدة»، أو تسميتهم «بشعب الله المختار».

لكن الكنيسة ترى أن سقوط أورشليم وزوال الدولة اليهودية هي عقوبات إلهية لليهود، ففي تصور الكنيسة أن اليهود هم الذي ارتكبوا جريمة قتل المسيح عليه السلام، ووضعه على الصليب، فكانوا موضع السخط والغضب الالهي واللعن بسبب تلك الخيانة والكفر، فعاقبهم الله سبحانه وتعالى على سوء أفعالهم في قتل الأنبياء. وبهذا الترتيب: قامت الكنيسة بمصادرة كل الفضائل والبركات التي اختصت باليهود من قبل وحولّتها لصالحها. ففي عام١٣٣٩م كانت العودة إلى المذهب اليهودي جرماً وذنباً كبيراً يعاقب عليه الشخص، ويخضع للملاحقة القانونية، وهكذا كان اليهود على مر القرون الوسطى تحت ضغوطات المسيحيين ومطاردتهم، وكانوا في أسوأ الحالات وأشد الظروف وأقساها، وهي أصعب مرحلة في معاناة اليهود وأشد الفترات عليهم، ولا تمحى من ذاكرتهم وأذهانهم أبداً. حيث أجبر المسيحيون لليهود في أن يكونوا بنحو جماعات منزوية ومنغلقة، وحاصروهم ليعيشوا في المدن، ويلبسوا ثيابا معينة تختلف عن ثياب المسيحيين، ويضعوا على رؤوسهم قبعات وقلنسوات خاصة ليتم معرفتهم بسرعة وبسهولة، ويتعاملوا معهم كما يليق بحالهم في المجتمع. وكانوا يخاطبون اليهود بعبارات فيها نوع من

السخرية والاستهانة: «كالشياطين» و«قتلة المسيح» وغيرها من خطابات الاستهزاء، واتهموهم أيضاً بقتلة أطفال المسيحيين، وأنهم يضعون دماءهم بعد قتلهم في أقداح وأواني ثم يشربونها في احتفالات «عيد الفصح». وفي عام ١٠٩٥م أعلن البابا «آريان الثاني» عن بداية الهجمة الصليبية الشرسة لتحرير القدس من أيدي المسلمين، وكان اليهود الخونة قد تعرّضوا إلى ظلم الصليبين واضطهادهم، حيث قتل آلاف اليهود بسبب رفضهم غسل «التعميد» وقد أشارت السيدة والمؤرخة اليهودية الشهيرة «بربارا توجمان» في كتابها «المقدِس والسيف»[٢٠] إلى أحداث تلك الفترة ومعاناة اليهود وحالات العداء الواضحة ضدهم في أوربا، وقد وصلت إلى أعلى حدّها فترة الحروب الصليبية، وفيها اضمحلت كافة الحركات والتشكيلات والمؤسسات اليهودية في نهاية القرن الحادي عشر في أوربا، حيث طردوا اليهود من إنجلترا عام ١٢٩٠م، وأحرقوا التلمود في باريس في القرن الثالث عشر الميلادي، وأخرجوا كل اليهود من فرنسا في القرن الرابع الميلادي أيضاً.

أما اليهود القاطنون في شبه جزيرة «ايبريا» فبعد رفضهم عروض دخولهم في المسيحية، طردوهم من إسبانيا عام ١٤٩٢م، والبرتغال عام١٤٧٩م، وتعرّض اليهود في ألمانيا وايطاليا إلى حصرهم في المخيمات وقطع الارتباط بهم مع المسيحيين، ومنعوهم عن ممارسة كافة الانشطة أو القيام بأي دور أو تحرك في المجتمع[٢١]. وهكذا قضى اليهود في تلك الفترات عصوراً مظلمة ومآسي ومعاناة في العالم، فلم يشاهد لهم أي بصيص أمل في العودة إلى عصر التمدن والحضارة التي كانت لهم قبل مجيء المسيح عليه السلام. لكن «مارتين لوثر» هو الذي غيّر مسار تاريخهم، ومجريات حياتهم، واعادة الروح والنشاط فيهم، حيث أوجد حركة علمية ونهضة صناعية في أوربا، وأعلن عن تأسيس المذهب الجديد «البروتستانية» الذي مهّد لليهود الصدارة تدريجاً، وذلك بعد تفرّق اليهود وانتشارهم في كافة بقاع العالم، ودور «لوثر» وجهوده المتواصلة والحثيثة في نشر الثقافة والمعتقدات اليهودية. هذا من جهة، وتزامن هذه الجهود والمساعي مع عصر الاصلاحات

في أوربا من جهة أخرى، كانت بوادر وأسباب في ظهور بعض الانشطة في المجتمع «كالترجمة» وشرح الكتاب المقدس من اللغة العبرية الأصلية؛ ونشر العرفان والفلسفة اليهودية. وترويج مذهب اليهود، وقد أدى ذلك للتسريع في حركة اليهود وظهورهم من جديد في العالم.

ويمكن القول: بأن ظهور هذا العهد الجديد كان مؤثراً في حركة اليهود. حتى إن بعض المسيحيين الجدد مثل: «جان لوئيس فيف» كان لهم دور كبير وتأثير في هذا العهد الجديد والعودة إلى الاصالة اليهودية من قبل من بين المفكرين والباحثين العلمانيين في أوربا[٢٢].

وأولى بوادر هذا التلاقح والانسجام وبذورها بين اليهود والمسيحيين كان في الحقيقة قد ظهر منذ تأسيس الحركة الصهيونية المسيحية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر. حيث ابتدأ اليهود عصرهم الجديد، ووجدوا فرصاً متاحة أمامهم لإظهار أنفسهم بمظهر لائق، ومنحوا أنفسهم تسميات جديدة منها تسميتهم «بالمسيحيين الجدد»، واعتقدوا أن العهد الألف لمجي المسيح عليه السلام هي تباشير وبوادر سارّة لهم بأن التاريخ الالهي سيبدأ العد الصعودي من جديد، وهو قريب جداً.

وهكذا ظهرت تفاسير جديدة لمفكرين وباحثين إلهيين لكتاب دانيال «العهد القديم» ومكاشفة يوحنا «العهد الجديد»، وفي اعتقاد «المسيحيين الجدد» يعدّ هذا التطور الهام في تاريخ اليهود واتجاههم نحو المسيحية، وظهور قبائل مفقودة يهودية وإسرائيل ثانية هي آخر الخطوات في نهاية التاريخ البشري. ومن هنا أخذت الأحداث في تلك الفترة تتصاعد تدريجيا، كعودة اليهود إلى أرض «صهيون» واعادة بناء المعبد، وتأسيس الحكومة الالهية مرة أخرى في أورشليم، كل ذلك مرتبط بهذا الأمر.

وبهذا الترتيب، فإن «المسيحيين اليهود» اعتقدوا بأن «العهد الالف» قد صار مشارفاً على الظهور والابتداء، وتصوروا الشركة الحقيقية لهم مع اليهود، وأنهم لا يمكنهم الاستغناء عنهم أبداً في ظهور تلك الاحداث الكبيرة التي كانت قبل مجيء المسيح عليه السلام.

وعلى هذا، فإن هذا الدعم لكل منهما ووحدة الفهم والتوجه المشترك في خطاب هذين المذهبين كانت له أصالة وجذور دينية، ومطالب عميقة ودقيقة جداً، كانت نابعة من تحريف التوراة والانجيل، وتبليغه.

لقد كان الفكر التأسيسي للصهاينة المسيحيين أقدم بكثير من دولة اسرائيل العصرية، حيث كانت الحركة الصهيونية اليهودية موجودة آنذاك.

وقد أشرنا قبل قليل أن نضوج عقائد هذه الحركة في قرون ما بعد عصر الترجمة والشرح للكتاب المقدس إنما يعود إلى اللغة المحلية نفسها، وهذا خارج عن تسلسل مراتب الكنيسة، حيث وزّع على الشعب، لقراءته وتفسير خطاباته ثانية.

وقدّم مشروع تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين في القرن السابع عشر الميلادي، وتم الاعتراف به في أقوال وكتابات العديد من القادة البروتستانيين. وأعتبر المسيحيون البروتستانيون تلك العروض حول تأسيس كذا دولة في القرن التاسع عشر على أنه نموذج تلقائي وعثور على الطريق قبل التحكيم أمام تبنؤات الكتاب المقدّس ومشروع تأسيس تلك الدولة. قال اللورد الانجليزي الصهيوني المعروف آنتوني آشلي كوبر[٢٣] ولأول مرة: فلسطين بلد بلا شعب، وشعب بلا بلد.

وأخذ الصهاينة اليهود مضمون حديث «كوبر» في أشعارهم: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[٢٤].

ولما يأست الحركة الاصلاحية البروتستانية من تحويل المذهب اليهودي إلى البروتستانية، وعرضت شعار عودة اليهود إلى فلسطين لتحرير القدس وتخليصها من أيديه، كان هذا في الحقيقة إعلان عن تأسيس المسيحية الصهيونية[٢٥].

بدأ البروتستانيون في منتصف عام ١٦٠٠م بكتابة المواثيق والمعاهدات، وطالبوا فيها اليهود بمغادرة أوربا والعودة إلى فلسطين، حيث صرّح القائم بشؤن البلدان مشتركة المنافع في بريطانيا التي تأسست حديثا السيد« «اليور كرامسول»[٢٦] فقال: «ينبغي عودة اليهود إلى فلسطين ليمهّد لعودة المسيح ثانياً.»[٢٧] وكتب (جان لاك) في «تعليقاته على رسالة

«بولص» القديس: «إن اللّه قادر على جمع لكل اليهود في بلد واحـد، وأن يعيـدهم إلى بلـدهم ليعيشوا برفاه وازدهار.»[٢٨]

وكتب (اسحاق نيوتون) في ملاحظاته حـول نبـؤات دانيـال ومكاشـفات «يوحنـا» القديس: سيعود اليهود إلى وطنهم. لا أدري كيف سيتم ذلك.

وعلينا ترك تفسير هذا الأمر إلى الزمان[٢٩]. وذكر جان جاك روسـو أيضاً في كتابـه «اميل» (١٧٦٢م): سوف لـن نعـرف الـدوافع الكامنـة والخفيـة لليهـود، إلا إذا كـانوا أصحاب بلد وأحرار، وأنهم يديروا مدارسهم وجامعاتهم بأنفـسهم[٣٠]. ورأى «أمانوئـل كانت» أن اليهود هم فلسطينيون يعيشون بين الألمانيين[٣١].

إن الصهيونية المسيحية ظاهرة دينية وسياسية جديدة في المسيحية، وقد ظهـرت أول مرة في كنيسة انجلترا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. حيـث سمـى البروتـستانيون القاطنون في أمريكا وانجلترا هذا الحدث الجديد بـ «تطبيـق مطالبـات المـسيح عليه السلام» أو «تطبيق تنبؤات الانجيل».

وقد فسّر المفكر الامريكي المعروف «سـايرس إسـكوفيلد»[٣٢] الانجيـل منطلقـاً مـن الأفكار الجديدة لـ «جان داربي» الانجليزي، وهذا التفسير من أهـم التفاسـير للانجيـل تداولاً اليوم عند البروتستانيين في العالم، وهو من المراجع والمصادر المعتـبرة في شـروح الانجيل.

ويعدّ أنصار ومؤيدوا هذا المذهب أنفسهم دعاة الانجيل، وأن المـسيحيين ولـدوا مـن جديد، وهم وحدهم الناجون وغيرهم الهالكون، واعتقادهم الراسخ وتعـصبهم الخـاص للصهيونية هي من خصائص وميزات أنصار هذا المذهب، فهؤلاء المسيحيون هـم أكثـر تعصباً للصهيونية من الصهاينة اليهود القاطنين في إسرائيل وأمريكا، ومـن أهـم الكتـب والمصادر التي انتقدت وأثارت شكوكاً حول أهداف الصهاينة في تشكيل دولة اسـرائيل العنصرية هو أثـر «ليـوري ديـويس»[٣٣]، فالـصهيونية المـسيحية المعاصـرة هـي ردود وانعكاسات على النقد العالمي للصهيونية، ففي عام ١٩٧٦م وبعد التصويت علـى قـرار

٢٤٢ لمنظمة الامم المتحدة، والاعتراض على احتلال الضفة الغربية وبيت المقدس، تم إغلاق كافة سفارات المجتمع الدولي في اورشليم، إلا السفارة المسيحية الدولية، التي دعمت وأيدت إسرائيل، ونقلت سفارتها إلى أورشليم.

ويمكن القول هنا: بأن الصهيونية المسيحية تعدّ اداة أيدلوجية للحصول على الدعم والتأييد العالمي والدولي للدولة اليهودية الوحيدة في فلسطين.

ولا ينبغي تناسي كيفية تصويت المجمع العام لمنظمة الأمم المتحدة على قرار رقم ٣٣٧٩ في عام ١٩٧٥م في اعتبار الصهيونية نظاماً عنصرياً يستخدم سياسة التمييز العنصري[٣٤]. وهكذا نفذت المسيحية الصهيونية بشكل مجرى عميق في الثقافة الغربية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ثم غيرت اتجاهها من ميدان الكلام، الفلسفة، الآداب وغيرها، ودخلت المعترك السياسي.

الاصول الفكرية لحركة الصهيونية المسيحية

من المبادئ التي تمسك بها الصهاينة المسيحيين بشدة هو مبدأ الدفاع عن الكيان الاسرائيلي، واعتقادهم بأن دولة إسرائيل الحديثة، بل الصهيونية بشكل عام هي ظاهرة وأمر الهي، وقد تم الاعداد لاكمال الوعد الالهي لابراهيم عليه السلام[٣٥].

فقال سبحانه: «إنني أقدّس من يقدسونك، وسألعن من يسبك ويشتمك، وسأقدّس الناس كلّهم لأجلك ومن خلالك.»[٣٦]

وادعت هيل ليندسكي: «أن محور كافة التنبؤات الوحيانية هي إسرائيل.»[٣٧]

وبعبارة أخرى: يعتبر الصهاينة المسيحيون بمثابة المدافعين الحقيقيين عن الشعب اليهودي وخاصة عن دولة إسرائيل، وسيجعلهم هذا الدفاع مواجهين لكل من يفكر في انتقاد أو عداء إسرائيل[٣٨].

وقد فسّرت هذه الحركة نوع الدفاع عن إسرائيل في قالب مفهومين هما: العهد الألف»[٣٩] والتقدير[٤٠]، حيث يتم عبرها وبسهولة عرض ومعرفة الاعتقادات، وطريقة

وأسلوب التفكير الصهيوني المسيحي.

أما «العهد الألف» ففيه يؤكد الله سبحانه على أنه يرسل مخلّصاً ومنجياً لنصرة دينه على رأس كل ألف عام، ويحرّر المؤمنين والمضطهدين من ظلم الطغاة والظالمين. وعلى هذا الاساس، أنبأ دعاة هذه الحركة بمجيء المسيح عليه السلام في بداية الألف الثالث الميلادي، وصار العالم مترقبا لهذا الظهور.

وأما المفهوم الآخر الذي يمكن أن يوضح نظرية الصهيونية المسيحية فهو التقدير أو الاعتقاد بالمشيئة والارادة الالهية. ففي نظر المعتقدين بالقدر: أن لله تعالى مشروعاً لنهاية العالم، وعلى الجميع التسليم له والرضوح للقضاء والقدر الالهي «أي المشروع الالهي».

ورأوا أن هناك سبعة خطوات راقية وسامية في تنبؤات الكتاب المقدس قد عرضت على العالم هي:

١. عودة اليهود إلى فلسطين.

٢. تأسيس الدولة اليهودية.

٣. عولمة مواعظ الانجيل الشاملة لاسرائيل أيضاً.

٤. رضى مؤمني الكنيسة في الدخول إلى الجنة.

٥. المعاناة والمشقة سبعة أعوام للمؤمنين الباقين في الأرض، والظلم والاضطهاد الواقع على اليهود، وقيادتهم حرب الصلحاء ضد القوات المعادية للمسيح[٤١].

٦. وقوع حرب «آرماجدون» في صحراء «مجيدو» في إسرائيل.

٧. انهزام القوات المعادية للمسيح وجيوشها، ثم اقامة حكومة عادلة مفعمة بالأمن والسلام على يد المسيح في العاصمة أورشليم.

وسيقوم اليهود الذين دخلوا جميعاً في المسيحية والمسيحيون المؤمنون بادارة هذه الحكومة[٤٢].

أما القادة البارزين القائلون بالتقدير ـ الأصوليون فقد تمسّكوا بفكرة كتاب «السيارة الكبرى وفقيد الأرض»[٤٣] «لهال ليندسي»[٤٤] الذي يعدّ من أفضل شراح هذه العقيدة.

والاعتقاد الاسطوري الآخر لهذه الجماعة هو تعـويض «المحرقـة اليهوديـة»[٤٥] وقِـدَم «الصراع السامي»[٤٦] في المسيحية، ويظهر من هذا الاعتقـاد الاسـطوري: أن الـصهيونية المسيحية التي ترى أن المسيحيين هم أفضل من اليهـود، تلتـزم بـأن اليهـود علـيهم أن يؤمنوا في نهاية العالم بالمسيح ليبقوا على قيد الحياة، وتشملهم ألطـاف المـسيح ورأفتـه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: ينظر إلى اليهود على أنهم شعب الله المختـار، وهـؤلاء هم أدوات لعودة المسيح من جديد.

فالاعتقاد بالمراحل السبعة المتقدمة في نهاية التاريخ في نظر هذه الحركة يستلزم تحقق حوادث ينبغي أن تقع إلى حين ظهور المسيح ثانيـة، وأن علـى أنـصار ومؤيـدي هـذا المذهب مسئولية دينية وهي محاولة التسريع في إيجاد وانجاز هذه الحوادث، وهي عبـارة عن:

١. ينبغي إعادة اليهود في كافة العالم إلى فلسطين، وايجاد إسرائيل الـتي تتحـدد مـن النيل إلى الفرات، وأن من يهاجر من اليهود إلى إسرائيل سيكونون هم الناجون.

٢. ينبغي على اليهود هدم وتخريب «المسجد الاقصى» و«مسجد الـصخرة» في بيـت المقدس، وبناء معبد كبير مكانهما، وقد شنّ اليهود والمسيحيون أكثر مـن مائـة هجـوم مسلح على هذين المسجدين، وتعرضوا لهما بأبشع الأساليب، واستخدموا كافة الأسلحة الفتاكة لهمدهما منذ عام ١٩٦٧م إلى وقتنا الحاضر.

٣. عندما يريد اليهود هدم وتخريب المسجدين الأقصى والـصخرة في بيـت المقـدس فستبدأ حرب «آرماجدون» المصيرية والمقدسـة بقيـادة أمريكـا وبريطانيـا، وفي هـذه الحرب العالمية سيكون فناء العالم كلّه.

٤. ستبدأ ولادة جديدة لكافة المسيحيين المناصرين لعقائد «تطبيق مطالبات المسيح» عند بدء حرب «آرماجدون»، وسيرى هؤلاء عيسى المسيح عليه السلام، وسينقلون مـن الـدنيا إلى الجنة بسفن وبواخر عظيمة، وسيشاهدون والمسيح من هناك فنـاء العـالم، والعـذاب المرير في هذه الحرب المقدسة.

٥. سيكون النصر حليفاً قريباً للمسيح عليه السلام على المسيح الدجال في حرب «آرماجدون»، وسيظهر المسيح عليه السلام مع المسيحيين الذين ولدوا مرة أخرى في هذا العالم، وسيهزمون معاندي المسيح، والنصر لهم في نهاية هذه الحرب المقدسة، وستقام حكومة عالمية في عاصمة البيت المقدس، ثم يجعلون المعبد الذي بناه اليهود والنصارى قبل بدأ حرب «آرماجدون» بدلاً عن المسجد المقدس ومسجد الصخرة مقرّاً للحكومة العالمية للسيد المسيح عليه السلام.

٦. ستهدم الدولة الصهيونية باستعانتها بامريكا وبريطانيا المسجد الأقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس، وسيبنون معبداً كبيراً في هذا المكان، وهذه الرسالة ملقاة على عاتقهم.

٧. ستقع هذه الحادثة بعد عام ألفين الميلادي حتماً.

٨. سيعمّ الرعب والخوف مجتمع أمريكا وأوربا قبل بدأ حرب «آرماجدون».

٩. لا معنى للسلام في العالم قبل ظهور السيد المسيح من جديد. ولكي يمهّد المسيحيون لظهوره عليه السلام ويسرّعوا في ذلك، عليهم أن يحضّروا مقدّمات حرب «آرماجدون» وفناء العالم وزواله[٤٧].

ومن خلال تنبؤات الكتاب المقدس والحوادث قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام، فقد عرضت الحركة الصهيونية عدة مقترحات في هذا الاطار، نشير إلى ثلاثة منها:

١. الشعور بالاصطفاء الالهي:

اعتقد هؤلاء أن الله اختارهم واصطفاهم لينقذوا البشرية ويخلّصوها بأجمعها، وأن الطريق الوحيد لانقاذهم وتخليصهم في آخر الزمان هو التسليم لهم، واتباعهم المسيحية.

يرى «بوش» الذي يعدّ من المناصرين للصهيونية المسيحية أن الولايات المتحدة الامريكية مدعوة ومدعومة اليوم بعرض الحرية التي هي موهبة الهية لكافة البشر في مختلف بقاع العالم.

٢. الشعور العميق في اقتراب آخر الزمان:

تأثر أكثر الرؤساء وقادة الحكومة الامريكية بأفكار هذه الجماعة بعد عام ١٩١٦م، فتعرّفوا على مبادئهم ومفاهيمهم واعتقدوا بها. وقد آمن «ويلسون» أول رئيس للحكومة الامريكية بتلك المبادئ، واتبعه الرؤساء والقادة المتتابعين على الحكومة الامريكية، وطبّقوها بشكل جدي وحاسم، وقد قيل: أن أمنية «ريغان» هي أن يكون هو الذي يبدأ حرب «آرماجدون» بنفسه، وتكون الحرب على يديه.

٣. الأصولية هي طريق الفهم الصحيح والتصور الكامل والمطلق لديهم، وأما الآخرون فهم المخطئون في هذا الفهم[٤٨] وقد ذكرنا في بحثنا السابق أن الصهاينة المسيحيين كانوا يؤكدون وباصرار على اعتقاديين هامين هما:

١. عودة اليهود إلى فلسطين، وتأسيس دولة «إسرائيل» في الأرض الموعودة. ولعلّ السبب في نظر المسيحيين يعود إلى موقع وأهمية اليهود أنفسهم، باعتبارهم يعتقدون:

أولاً: أنهم شعب الله المختار، لذا فإن الله يبارك لكل الذين يدعون لليهود.

وثانياً: عندما خلق الله سبحانه هذا العالم، وخطط له، لم يكن في تفكيره أن يصنع مكاناً للفلسطينيين على هذه الأرض، بل انعطفت أفكاره واتجهت نحو اليهود فقط.

ثالثاً: إن لله يداً في كل ما يحدث من أفعال تقوم بها إسرائيل، أي إن الله من المناصرين والمؤيدين لليهود دائماً.

رابعاً: إنهم يحبون إسرائيل بشدة، لأن الله يحبها أيضاً، وإذا كان العرب أعداء إسرائيل، فسيكونون أعداء الله.

خامساً: إن الله متعاطف مع أمريكا ومشغوف بها، لأجل أنها تودّ إسرائيل وتناصرها.

سادساً: إذا تركوا دعم إسرائيل وقطعوا تطبيع العلاقات معها، فسيفقدون اعتبارهم ومنزلتهم عند الله[٤٩].

٢. أكد هؤلاء على حرب «آرماجدون»، وتصوروا أنهم المنتصرون في هذه الحرب،

واعتقدوا أن السيد المسيح عليه السلام سيهزم معانديه ومناهضيه في هذه الحرب.

لكن من الضروري هنا أن نشير في هذه الدراسة إلى محور «آرماجدون» لتتضح بعض زواياها الخفية والمظلمة للقراء الكرام.

«آرماجدون» أو «هارمجدون» في المفهوم اليوناني يعني الحرب النهائية والصراع بين الحق والباطل في آخر الزمان.

وهناك مدينة تدعى بهذا الاسم في أطراف الشام.

ورد في الباب السادس عشر من مكاشفات «يوحنا» في العهد الجديد: أن حرباً عظمى ستقع، وستودي بحياة البشر في ذلك الزمان وتفنيهم عن آخرهم[٥٠].

ويعتقد عمرو سليمان في مقالته «رسالة آرماجدون» على ضوء عقائد أعضاء الحركة التدبيرية: أن أصل هذه الكلمة العربية يعني «تلّ الشرفاء» وهو تلّ عظيم في شمال فلسطين[٥١]. ويفسّر المسيحيون الصهاينة عبارة يوحنا التي قال فيها: لقد أعدّ هؤلاء ذلك الموضع الذي يسمّونه بالعبرية «هارمجدون»[٥٢] لمصلحتهم. و«هارمجدون» هي منطقة حدودية تقع محايدة بين الأردن وفلسطين المحتلة، وهم يعتقدون أن هناك حرباً ستقع في آخر الزمان.

وقد ورد في تفاسيرهم: أن هذه المنطقة ستمتلأ دماً يبلغ أفواه الخيول. وهي شواهد تشير إلى وقوع حرب نووية. إن كافة هذه التصورات والعقائد والعلائم هي من اختراعات الصهاينة المسيحيين وبدعهم التي ابتدعوها للوصول إلى أهدافهم السياسية والنفوذ والسيطرة على العالم، وهي بدع ابتدعوها في الدين.

فلم يذكر أي شيء عن «آرماجدون» وعن الحرب في نهاية التاريخ في العهد العتيق، وهذا هو من أفضل وأهم الشواهد التاريخية في صحّة هذا الادعاء.

كتاب «آرماجدون والاستعداد للحرب الكبرى» هو من أشهر الكتب التي يمكن الإشارة إليها لاثبات صحّة هذا الادعاء في هذا المجال، وقد اعتمدت السيدة «گريس هال سل» الكاتبة والباحثة الاصولية المسيحية في حديثها عن مفهوم آخر الزمان

و«آرماجدون» وعرضها على كتاب «السيارة الكبرى وفقيد الأرض» «لهال ليندسي»، وقد كان من أكثر المبيعات لهذا الكتاب في العقد السبعين[٥٣].

حيث قدّمت هذه السيّدة في هذا الكتاب تقريراً حول سفرها القصير إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكانت معطيات ونتائج هذه الزيارة هي: أن مصطلح «هارمجدون» مركب من لفظين «هار» ويعني الجبل، و«مجدون» ويعني المدينة الأثرية في الضفة الغربية من نهر الأردن.

وقد كانت محلاً لتنازع القبائل وقتال كثير من الأقوام، ومن جملتها بين «الاسرائيليين» و«الكنعانيين».

فلم يذكر مصطلح «آرماجدون» في العهد القديم، لكنه ذكر مرة واحدة في العهد الجديد، وقد جذب هذا الاصطلاح نظر الصهاينة والمسيحيين.

والعجيب هنا: أن «هال سل» ذكرت أن اعتقاد أغلب القائلين «بالتقدير» و«القساوسة» الانجيليين هو: نووية حرب «آرماجدون». وتستدل هذه الجماعة بعبارة وردت في سفر «حزقيل» التي تقول: هطول الامطار والسيول والأنهار، وقطع الثلوج الهاطلة من السماء، ولهب النيران، ستحدث هزّات عنيفة في الأرض، وستزيل الجبال من مكانها، وستوقع الأحجار والصخور، وستنهي محاصرة الأرض، وتقف وجهاً لوجه ضد أي عنف[٥٤].

وأخبر عن قتل ثلثي اليهود في هذه الحرب، فقد ورد في كتاب «زكريا» النبي: ويقول الله أن الأرض انقطعت حصتين، وسيموتون، وحصّة ثالثة ستبقى فيها، وسألقيهم في جهنم، وسأصليهم وأصهرهم فيها كما تصهر الفضة، ثم أصقلهم وأصفيّهم كما يخلص ويصفى الذهب، وسيدعونني وأجيبهم، وسأقول هؤلاء قومي وسيقولون «يهوه» هو ربنا[٥٥].

وتعتقد «ريس هال» أن القساوسة المسيحيين مثل: فالول، كلايد، وليندسي أعربوا عن ارتياحهم وترحيبهم في الدعوة إلى نشر الفساد وزيادته للتمهيد لظهور السيد

المسيح عليه السلام فقالوا: سر مع المسيح عليه السلام حيث سار على الصراط المستقيم، وسيتجلى روح الله وحبه في قلبك، وقبل أن تشعر بخطورة الموقف ويتحقق تهديد العالم بالفناء، فلتكن رجلاً صالحاً ومتقيا في هذه الأرض، لتساق إلى عالم الملكوت العلوي.

وباعتقاد (كلايد) لا حاجة إلى عمل الإنسان لازالة التلوث عن البيئة وعن مدنه، أو مكافحة الفقر والجوع المنتشر في الهند وأفريقيا، وعدم القلق لانتشار الأسلحة الذرية والنووية في العالم، ولا داعي إلى الدعوة لايقاف الحرب بين العرب وإسرائيل، فبدل كل ذلك، علينا أن ندعو ونرحب بوقوع هذه الحرب، لتعمّ العالم كلّه، لأن هذا جزء من المشروع الالهي[٥٦].

بل ينبغي السعي للحصول وبشكل أكبر على القدرة والسيطرة برفع الشعار الدائم: «الغاية تبرر الوسيلة»، واستفادة أدوات من عقائد الأمة المذهبية والدينية لإرضاء هؤلاء عن الوضع الموجود، وكل هذه شواخص بارزة ومعالم واضحة عند الصهيونية المسيحية.

وأما تجويز سباق التسلح، وانتشار ظاهرة أسلحة الدمار الشامل، والأسلحة النووية بين البلدان، فهي من المعطيات الأخرى للاعتقاد بالهيات «هارمجدون»، وقد صرح الصهاينة المسيحيون: أن «هارمجدون» لا يمكن أن تحقق في عالم قد تم خلع السلاح عنه، ونزعت عنه أسلحة الدمار الشامل[٥٧].

وتفكر الدول العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية في اتخاذ سياسات لانتاج وتكثير الأسلحة الاستراتيجية وأسلحة الدمار الشامل. فعلى ضوء الاحصائية التي نشرها «ويليام أم أركين» و«ريتشارد دبليو فيلد هاوس» في كتاب: «ساحات الصراع النووي»: أن الولايات المتحدة الامريكية تمتلك(٦٧٠) آلة حربية نووية، في أربعين ولاية من ولاياتها. ووصل مجموع رؤوسها النووية إلى (١٤/٥٩٩) ألف رأساً نووياً، وأما ألمانيا الغربية الدولة المستضيفة فقد وصل إلى (٣٣٩٦) آلة حربية نووية أمريكية مدمّرة، انجلترا (١٢٦٨)، إيطاليا (٥٤٩)، تركيا (٤٨٩)، اليونان (١٦٤)، كوريا

الجنوبية (١٥١)، هولندا (٨١)، وبلجيكا (٢٥).

ولا يختص تنوع الاسلحة المستخدمة والترسانة العسكرية اليوم بالناحية الكمية وكثرتها فحسب، بل تمتاز بلحاظها الكيفي أيضاً، فإنها تمتلك قدرة تفوق التصور في التخريب عن الزمان السابق.

فقد أعلن وزير الدفاع السابق (كلارك كليفر) في (١٤ جولاي «Julay») في النادي الوطني للمطبوعات في واشنطن: أن القدرة التخريبية للقوى النووية في العالم وصل إلى مليون مرة أقوى من القنبلة الذرية التي ألقيناها على هيروشيما[٥٨].

الصهيونية المسيحية في أمريكا

يتبين من خلال مطالعة ودراسة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الامريكية خصائص وصفات هذه الحركة الاسطورية يعني «المعطوف» و«المنعطف» عن القدرة.

والأمر المهم هنا هو: أن عدد اليهود يشكل الأكثرية في البلدان المسيحية وخاصة أمريكا، رغم قلّتهم، وذلك بلحاظ عملهم ونفوذهم في المؤسسات الحكومية، وتأثيرهم على أصحاب القرار.

وقد وصل الأمر بـ «ديويد لوجينز»[٥٩] معاون الاتحاد الاورتدكسي في المجتمع اليهودي بأن يصرح قائلاً: لا يعدّ اليهود بعد ذلك أقلية في أمريكا، بل هم جزء من الاكثرية، وقد ضمّوا إلى المجتمع الامريكي، وهم يمتلكون مواهب وكفاءات وقابليات على التطور والازدهار[٦٠].

لكن من أين وصل اليهود على هذا الموقع الاجتماعي الذين هم بمثابة الأقلية في المجتمعات المسيحية، وقد استطاعوا التفوّق على مقدرات الامم والشعوب وشؤون البلدان؟

قام رضا هلال، بدراسة وتحليل مفصل ومسهب حول كيفية تشكيل الحركة المسيحية الصهيونية، وبيان أهدافها وبرامجها في كتابه: «المسيحية الصهيونية والاصولية الامريكية

والمسيح اليهودي ومصير العالم» الذي ألّفه عام (١٣٨٣) ش ق، وتأثيرها خاصة في الغرب، وبالتحديد في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أظهر في كتابه «البعد الديني والمذهبي» لهذه الحركة، وادعى أن المفكرين الواعين العرب عرضوا تحليلين أساسيين حول «دعم وحماية الاستراتيجية الغربية عن إسرائيل» و«تأثير الصهاينة اليهود» في اتخاذ القرارات والدفاع عن اليهود، وهي عقيدة عامة العرب، لكنها عقيدة ساذجة وقصيرة النظر، وهذا الارتباط والتلاحم قبل أن يكون سياسياً، فقد تضمن متطلبات ثقافية أيضاً، كانت منطوية في دينهم.

ولكي نثبت عدم جامعية استدلال الباحث «رضا هلال» نشير هنا إلى كيفية تعامل البلدان الكبرى مع الصهيونية:

تعدّ بريطانيا من مناصري ومؤيدي الصهيونية المسيحية اليوم، مع أن عليها مواجهة اليهود أكثر من غيرها ووضعهم أمام محنة وأزمة حقيقية، فقد حددّت بريطانيا أنشطة اليهود وفرضت عليها عقوبات شديدة وصلت أعلى مستوياتها في عام ١٩٣٩م فترة حكم رئيس الوزراء «أرنست بورن»، فكان تلقّي اليهود من تلك الممارسات التي قامت بها الحكومة البريطانية هو طرد اليهود من هذا البلد وترحيلهم إلى الأراضي العربية.

وكان هذا التلقّي سبباً في تعلّقهم وجذبهم نحو أمريكا.

أما «ألمانيا» فهو البلد الآخر الذي مهّد لظهور «البروتستانية» وهناك انطباعاً وتشابها ثقافياً تاماً مع الصهيونية المسيحية.

ومع وجود هذا الانطباع والتطبيع الثقافي بين ألمانيا والصهيونية المسيحية، فقد وقعت أبشع المجازر والجرائم ضد اليهود في التاريخ كما صرحوا هم بذلك في ألمانيا.

أما «روسيا»، فقد كانت أهم مراكز الارتدوكسيين في العالم، وكان لها الحظّ الأوفر في تثبيت واستقرار دولة إسرائيل، وهي تحظى بتعامل أكبر مع الصهاينة المسيحيين في أمريكا، وقد وصفوا العلاقات بين روسيا وإسرائيل بالوثيقة فقالوا: «إن علاقة روسيا وأمريكا بإسرائيل هي بمثابة الابويين لها».

وعلى هذا، فأمريكا هي الأب لإسرائيل، وقد كانت تمدّها بالأموال، وروسيا هي الأم لها، فبدل أن تحتضن أولادهما، أذنت لهم بالانتشار في بلد تأسس حديثاً[٦١].

إن هذه الشواهد التاريخية المذكورة تؤكد أن عامل هذه العلاقات الوثيقة بين أمريكا وإسرائيل هو العلقة الدينية والثقافية وحده، فينبغي أن تكون نفس هذه العلقة موجودة أيضاً مع بلدان أخرى كألمانيا، انجلترا، وروسيا وباعتقادنا أن هذا التقارب والوحدة في التفكير الصهيوني الأمريكي مضافاً إلى عامل المذهب، فإن هناك نمطاً من التفكير الاستراتيجي والسياسي أيضاً، حيث يتم من خلاله تبادل المنافع المشتركة بين البلدين.

ولكي يكون للصهيونية المسيحية نفوذاً أوسع في المنطقة والعالم، فقد أعطت لأمريكا ملامح أنها الدولة العظمى الوحيدة في العالم، ولا ينافسها في قوتها منافس، فسخّرتها فكرياً وسياسياً، وحققت إسرائيل أهدافها من خلال النفوذ والسيطرة الامريكية في الشرق الأوسط، وهذا ما يظهر بوضوح في مقالة: «مطالبات قدرة اليهود في أمريكا» للسيد على الطباطبائي[٦٢] وقد بين فيها أسباب قوة اليهود في أمريكا ونفوذهم في العالم، وذكر زوايا عديدة ومتنوعة لهذا الارتباط والتلاقي بينهما[٦٣].

وأكدّ على أربعة مطاليب لليهود كانت حافزاً لهم في السيطرة والنفوذ في أمريكا وهي:

ألف) خصائص ذاتية في أقوام اليهود

وتعود هذه الخاصية إلى اليهود أنفسهم، فقد كان ماضي اليهود حافل بالمحن والبلايا والمعاناة، والشعور الدائم بأنهم أقلية في البلدان، مضافاً إلى حالات الهجرة اليومية، واستهانة المسيحيين وسخريتهم باليهود كان قد أجّج فيهم حماساً وروحاً عنيفة وصعبة للغاية لا تقبل الانعطاف ولا اللين أو المداهنة، وأدى ذلك إلى ظهور الانسجام والتلاحم بين اليهود، والتنظيم السريع، وامتلاك الكفاءات والمهام العالية، والعلم الواسع للتحرر من الوضع الانفعالي، والانطلاق نحو الوضع الفعال.

لقد دعت أنشطة اليهود إلى وحدة المجتمع اليهودي من خلال ذكر مصائب اليهود كقضايا التشريد وتشتت اليهود ومعاناتهم، وصراع العنصر السامي، ومحارق اليهود

وغيرها.

وكانت لهم دور ووسائل إعلام متطورة لنشر هذه الآلام وبثها في العالم، لبيان حالات الاضطهاد اليهودي. ومن الخصائص والميزات البارزة عند اليهود هو امتلاكهم قدرة على التنظيم السياسي العالي والمثالي، وهذا ما انتجت عنه مساعي الصهاينة اليهود الحثيثة والمضنية في سائر البلدان.

لقد أشارت الاحصاءات في الولايات المتحدة الامريكية أن معدل ٩٠% من اليهود كانوا قد شاركوا في الانتخابات، مع أن معدل متوسط من شاركوا في الانتخابات من الامريكيين أنفسهم لم يكن قد تجاوز ٤٠% ـ إلى ٥٠%.

لقد كانت هجرة ولجوء كبار العلماء والمفكرين اليهود أمثال: «آلبرت اينشتاين»[٦٤]، «أوتو اشترن»[٦٥]، «أريم فروم»[٦٦]، «أريك أريكسون»[٦٧]، «هانا آرنت»[٦٨]، «هربرت ماكوزه»[٦٩]، «باول لازار قلد»[٧٠]، و«هلن دوج»[٧١]، سببا مهماً في تأثيرهم على الساحة الامريكية في العقد الستين وبعده، أدى إلى انتعاش الاقتصاد، وتطور السياسة والثقافة. فهم على قلّة عددهم وقد تراوح ٢/٥% من المجتمع الأمريكي، إلا إن نصف المستثمرين والأثرياء في أمريكا و١١% من نخبه وكفاءات المجتمع الامريكي هم من اليهود.

ب) اللوبي اليهودي

الجماعات التي تمتلك مصالح أو تمارس ضغوطاً في البلدان هي أكثر نفوذاً وتأثيراً دائماً على مؤسسات الدولة والنظام الحاكم في البلد، وهي قادرة على تغييرها حسب رغبتها في ذلك بصورة مباشرة، وهذا جزء من سياسيات الدولة، بل كافة سياساتها العامة.

لقد كان اللوبي الصهيوني هو من أكثر الجماعات نفوذاً في العالم، فقد سيطرت هذه الجماعات على كافة مراكز التصميم والقدرة في البلدان الأوربية، وعلى وجه التحديد في أمريكا، أما السياسات المالية والعسكرية والسياسية في تلك البلدان فهي تصب في خدمة المصالح الإسرائيلية. «آيبك» «Apac»[٧٢] وهي من أهم الجماعات اللوبية اليهودية في

واشنطن. وتقوم هذه الجمعية سنوياً بما يلي:

١. الاشراف على ألفين ساعة من جلسات المؤتمر.

٢. إقامة أكثر من ألف لقاء مع مكاتب المؤتمر.

٣. مئات اللقاءات مع مرشحي الانتخابات الآخرين.

٤. دعم خمسين لجنة في المؤتمر، ومائة مؤسسة ووكالة فيدرالية.

أما الاهداف التي تصبو «آيبك» إلى تحقيقها فهي:

١. حفظ أمن واستقرار إسرائيل مع توسيع التعاون الآستراتيجي المشترك بين أمريكا وإسرائيل، ومواجهة التهديدات الفعلية والمستقبلية لصالح أمريكا وإسرائيل.

٢. تضمين التعاون الامريكي والاسرائيلي لتحقيق السلام العادل والشامل وتطبيع العلاقات بين إسرائيل والفلسطينيين، والعرب عموماً.

٣. تغيير سياسة أمريكا للاعتراف رسمياً ببيت المقدس وعاصمة تلك المدينة التي لا تقبل التجزئة لإسرائيل.

٤. استمرار مساعدات ودعم الولايات المتحدة الامريكية لإسرائيل، وتضمين المستقبل الاقتصادي لإسرائيل، وتوسيع العلاقات التجارية، والاستثمار، ومجالات التحقيق والتوسعة بين أمريكا وإسرائيل[٧٣].

ج) وسائل الاعلام

واكبت وسائل الاعلام دائماً ولادة حركة الابداع وتطور المعلومات[it] ووصول الإنسان إلى نتائج ومعطيات معينة كان يبحث عنها عبر شبكة الانترنت العالمية التي كان لها أثراً بالغاً في «مجتمع الاتصالات والمعلومات»[٧٤]، و«القرية العالمية أو المدينة الفاضلة»[٧٥].

تحدث السيد «فرانك وبستر» في كتابه: «الثقافة والسياسة في عصر المعلومات»[٧٦] عن نوع الثقافة والسياسة الجديدة الذي يعدّ محصولاً ونتاجاً لوسائل الاتصالات ودنيا المعلومات.

وأشار إلى نوع التلقي، ونظرة الإنسان إلى الحياة، والعثور على الهوية الجديدة عبر الانترنت ورسم كيفية التفكير الموحد والمشترك العالمي في ظل الشبكة العالمية للانترنت.

وتلعب وسائل الاعلام دور هاماً وأهمية قصوى في الساحة العامة بتعيينها الاتجاه والحركة في كافة شئون الحياة، وتعلّم الإنسان نمط التفكير فيها واتخاذ القرارات والاساليب الصحيحة والمنتجة، فالذين يتربعون على مسند قدرة الاعلام للوصول إلى أغراضهم السياسية والثقافية لهم نصيب أوفر وحظّ أوفى من غيرهم في الحياة، ولهذا، اكتشف اليهود أهمية دور الإعلام ودنيا المعلومات في العالم، فسيطروا على الاعلام القوي بنوعيه الدجتالي وغير الدجتالي في كثير من البلدان العالمية.

إن وحدة اليهود المسيحيين في أمريكا، ونفوذ سيطرتهم على الاعلام يشير إلى أن اليهود نخب وكفاءات رغم قلّة عددهم وضآلتهم في أمريكا.

ذكرت الاحصاءات والأرقام الرسمية الموجودة أن اليهود شغلوا ٥% من الأيدي العاملة في مجال المطبوعات ودور النشر في أمريكا، وأكثر من ٢٥% من الكتّاب والاساتذة والمدراء، كتّاب كلمات التحرير، ومنتجي المطبوعات الأصليين، والنخب والكفاءات في أمريكا، وهؤلاء هم من اليهود[٧٧].

أما القنوات التلفزيونية CNN، CBS، ABC، و NBC، فهي قنوات اعلامية تخضع لسيطرة أمريكا وهي تخدم المصالح الإسرائيلية.

أفصحت إحدى أكبر المؤسسات اليهودية من خلال تعدد وسائل الاعلام عن شكل المجتمع الامريكي، وهذه المؤسسة الاعلامية (نيوهاوس)[٧٨] فقالت: إن هناك(٣١) صحيفة، (١٢) موقعاً محلياً، و«٨٧» محطة ونظام تلفزيون واتصالي، ومجلات «بارايد» الاسبوعية[٧٩]، و(٢٢) مليون عدد من المجلات التي تصدر أسبوعياً، و(١٢) مجلة معرفة مثل: «نيويوركر»[٨٠]، «مادمازل»[٨١]، «گلامور»[٨٢] ووسائل إعلام أخرى، تخضع لملكية اليهود وتصرفهم. وقد أسسّ «صاموئل نيوهاوس»[٨٣] وهو مهاجر يهودي من أصل روسي لهذه الامبراطورية العظيمة ووسائل الاعلام[٨٤].

د) التواجد والحضور في مجالس القوى التشريعية والتنفيذية الامريكية

المشاركة الفاعلة لليهود في المجتمع الامريكي في انتخابات المجمع ورئاسة الجمهوريـة، ودور وتأثير اللوبي اليهودي المتصاعد والمؤثر على نتائج الانتخابات، جعلهم أكثر نفوذا وهيمنة على المؤسسات الحكومية الفعالة والحيوية، وكان هذا الأمر سـبباً في أن يكـون أي مرشح يتقدم لانتخابات رئاسة الجمهورية لا يفوز إلا بتأييد اليهود أو إرضائهم.

وكان لهذه المطالبات أهمية كثيرة وفائقة جداً، فهي تشير إلى زاوية من زوايا وحـدة الخطاب الصهيوني المسيحي في أمريكا، ولو أردنا تلخيص هذا بشكل عـام، لقلنـا بـأن كافة العوامل الثقافية والسياسية هي دخيلة في حركة وحـدة الخطـاب الـصهيوني، وأن الغفلة والسهو عن كل منها سيجعلها أمام مـشكلة في الفهـم الـدقيق والواضـح لعلاقـة أمريكا بإسرائيل.

إن نفوذ إسرائيل اليوم في أمريكا بعث على ايجاد مشاريع وعروض كـثيرة وعديـدة لصالح إسرائيل في المنطقة، مثل المشروع الامريكي في الشرق الأوسط الكبير، وقد حدّد فيه الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات لليهود، فأوقع أمريكا أسيرة بشكل لا أرادي في قبضة وسيطرة اللوبي الصهيوني، حيث كان اليهود يملون أحكـامهم وعقائـد الحركـة الصهيونية على ساسة وحكام هذا البلد.

أكدّت «هال ليندسي» في كتابها حول تنبؤات الانجيل: «أين تكـون أمريكـا؟» وقـد كان مـن أكثـر المبيعـات في عـام ٢٠٠١م في أمريكـا ـ علـى دور الولايـات المتحـدة الامريكية في حرب «آرماجدون» العالمية؛ وعرضت تحليلاً موضوعياً وبحثاً علميـاً عـن تلك الحرب أثبتت فيه أن دولة أمريكا هي التي تقـود هـذه الحـرب العالميـة المقدسـة، وسيصاب مخالفي المسيح عليه السلام في كافة بقاع العالم وقبل بدأ هذه الحـرب بـالخوف والهلـع والرعب، وسيهزمهم المسيح وينتصر عليهم، وستكون بريطانيا حليفـة أمريكـا في هـذه الحرب المقدسة. فقد اطلقت أمريكا صواريخها النوويـة والبالـستيكية عـبر القـارات في حربها الباردة مع الاتحـاد الـسوفيتي الـسابق وسمّـت تلـك العمليـة «سـيوف الحـرب

المقدسة»[٨٥].

ويعتقد المسيحيون الصهانية المنتمون للفرقة البروتستانية في أمريكا وبريطانيا: أن السيد المسيح عليه السلام كان قد تدخّل في شئون الشرق الأوسط لصالح دولة إسرائيل، وأعلنوا أن طلب دولة إسرائيل العظمى بأن تكون من «النيل إلى الفرات» هو في الحقيقة طلب السيدالمسيح عليه السلام، وسوف يتحقق هذا الطلب قريباً. ونشاهد اليوم كيف وصلت الصهيونية المسيحية بدعم الحكومة الصهيونية الامريكية إلى الفرات، ويعتقد الصهاينة تبعاً لاعتقادهم «بالتلمود» أن مجموعة قوانينهم الدينية ترتبط بمبدأ «مطالبات الله».

وعلى ضوء هذا الاعتقاد، فهم ينفذون برنامجاً بالتعاون مع دول عالمية كامريكا وبريطانيا وسائر البلدان العالمية يهدف إلى هدم وتخريب المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وتأسيس دولة إسرائيل العظمى التي تمتدّ من النيل إلى الفرات، والقضاء على كافة البلدان الإسلامية. ولهذا السبب، سيكون بين الصهاينة اليهود والصهاينة المسيحيين أتباع الفرقة البروتستانية اتحاد وألفة وانسجام وتقارب كامل وحقيقي، وسينجز المسيحيون «مطالبات الله». ولهذا، فإن أي عمل يخدم دولة إسرائيل ومصالحها فهو في الحقيقة مشروع للمسيح عليه السلام، وإنما يخدمون المسيح في ذلك، وعلى المسيحيين في كافة بقاع العالم أن يعلنوا عن تأييدهم ودعمهم لهذا المشروع الالهي[٨٦].

أحسست إسرائيل بالخطر الذي يواجهها من العرب وعامة المسلمين دائماً لامتلاكها حكومة غاصبة في فلسطين، ولكي تبقى محافظة على السلطة، فقد أقامت تحالفاً مع أصدقائها الاقوياء في العالم كامريكا، ووجود القلق والخوف دائماً من احتمال شن المسلمين هجوماً يعرّض إسرائيل إلى الخطر أو القضاء عليها، جعلها تعيش حالة أمنية قصوى وهاجساً يؤرّق مضاجعها. إن مفهوم «الأمن الإسرائيلي» هو من أهم الأمور التي شغلت تفكير اليهود، وقد عرضت اليوم عدة فروضات أساسية للحفاظ على الاحتلال الإسرائيلي للقدس والتخفيف من شدة الهجمات عليها وهي:

١. إن تهديد إسرائيل هو تهديد للسلام والوجود العالمي.

وعلى هذا الأساس، فإن الاخطـار الـتي تحـدق بإسـرائيل وتهـدد أمنـها وتزعـزع استقرارها هي في الحقيقة تهديد للوجود استمرار لبقاء هذه الدولة.

٢. هناك قيـود وتهديـدات عديـدة لإسـرائيل، كقيـود الأرض، والتعـداد لـسكاني، والاقتصاد الصغير، والتحريمات المفروضة عليها من قبل دول المنطقـة والعـالم. فالكيـان الصهيوني مثله كالجزيرة الصغيرة وتحاصـرها مجموعـة متـسعة وشاسـعة مـن البلـدان الإسلامية والعربية.

٣. مفهوم «الأمن» في إسرائيل هو من المفاهيم الخاصة والاستثنائية الأخرى.

إن هذه الفروض المذكورة باعثة على تشكيل عدة أصـول في إسـرائيل، وهـي مـن المسلمات اليهودية، وهذه الأصول هي:

١. إيجاد استراتيجية الأمن الوطني والقومي، وقد خيمّت هذه الاستراتيجية على كـل شيء.

٢. ايجاد شعب مسلّح، ليعم التصور أن كافة الناس هم جنود أوفياء، لكنهم اسـتلموا رخصاً واجازات من الجيش وهم على أهبة الاستعداد للتضحية والقتال.

٣. أصل الاعتماد على النفس، فقد أوجد ظهور الآثار النفـسية والحـالات الثقافيـة نوعا من الاعتماد بنظرة سيئة.

٤. رغم وجود الروح العالية عند اليهود، إلا أنه لم تكن هناك ضرورة في العثور على مؤيد كبير خارجي بعيداً عن أنظار الصهاينة[٨٧].

ونشير هنا إلى عمدة وأهم المنظمات الصهيونية المسيحية التي حققـت لهـا انجـازات ومطالبات الحاجة إلى أمن إسرائيل، وسعت إلى استمرار بقاء دولة إسرائيل في المنطقة، وتعدّ اليوم ناشطة وفاعلة في كافة أوربا وأمريكا وهي:

١. السفارة العالمية المسيحية في أورشليم[٨٨] «iceg».

٢. الوزارات أو«itac»[٨٩].

٣. أصدقاء إسرائيل المسيحيون[٩٠]«cif».

٤. الوساطة والتقارب مع بريطانيا[٩١] «ifb».

٥. أصدقاء التضرع والادعية المسيحية مع إسرائيل[٩٢] «pfi».

٦. جسور الصلح والسلام[٩٣] «bfp».

٧. الأصدقاء الامريكيون المنتظرون للمسيح[٩٤] «amf».

٨. الاتحاد اليهودي المنتظر للمسيح في أمريكا[٩٥] «mgaa».

٩. اليهود المؤيدون وأنصار عيسى عليه السلام[٩٦] «geg».

١٠. الأخوات البروتستانيات المختصات بمريم العذراء.

١١. شورى المسيحيين واليهود[٩٧] «ccg».

إن هذه المنظمات في ترتيبها المتنوع، وأدلتها المختلفة وأحياناً المتناقضة هي جزء من الائتلاف الكبير والموحّد الذي يضمّ اليوم قرارات الجلسات والهيئات الصهيونية المسيحية.

لقد كان «لوئيس هامادا» يبحث عن وحدة وتفاهم بين اليهودية والصهيونية المسيحية، ففي اعتقاده: أن مصطلح الصهيونية يشير إلى الحركة السياسية اليهودية التي تبحث عن تأسيس أرض وطنية في فلسطين لاستيطان اليهود المنتشرين في العالم.

ومن جهة أخرى، فإن الصهيونية المسيحية هي الكيان الذي يستعين بالله ليحقق تنبؤاته سياسياً وخارجياً بواسطة إسرائيل، بدل أن يكون ذلك بواسطة جسم المسيح عليه السلام، فإن المشروع والعرض الالهي ذكر في الاناجيل الأربعة، والاستمداد به[٩٨].

وملخص ما ذكرنا في هذا البحث:

يمكن عطف عقائد ومفاهيم الحركة الصهيونية المسيحية على مفهوم «المنجي»، ويعني هذا المصطلح: إضفاء طابع الشرعية على سلوك وأفعال إسرائيل، ودعم وتأييد القوى العظمى لها.

إن ما يحدث وتقوم به الانشطة الصهيونية المسيحية من اغتيال القادة الفلسطينين، إلقاء القنابل التي يصل وزنها عشرة أطنان فوق رؤوس الأبرياء من الشعب الأفغاني،

والتطهير العرقي للشيعة في العراق، والقتل على الهوية، والابادة الجماعية على يد أمريكا، هي كلها تمهيدات لوقوع حرب «آرماجدون» العالمية.

وهي أيضاً مقدمة لظهور المنجي والسيد المسيح عليه السلام.

لقد تلقت أمريكا اليوم رسالة إلهية في احتلالها العراق وتحرير العالم من الاستبداد ومكافحتها الارهاب، وتطبيق الديمقراطية أخيراً، وهي: اعتقادها أن هذه أموراً مقدسة تسهّل في ظهور المنجي، وترى أن سباق التسلّح أيضاً، يجعل اقتراب الدول في التصعيد والمواجهة واشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة و«آرماجدون» أمراً راجحاً. فقد أذعن «جري فالول» و«بيلي گراهام» وهما من الدعاة البارزين المعروفين عند الصهاينة المسيحيين باقتراب ظهور المسيح عليه السلام. واعتقدوا أن الأجيال الموجودة حالياً ستكون آخر الاجيال، وستعيش في هذا العالم قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام. قال (فالرسول): «آرماجدون» هي واقع وحقيقة، ونشكر الله على أنها ستكون نهاية مصير الشعوب والامم غير اليهودية والمسيحية. سيتم بعدها التمهيد والاستعداد لاقامة حكم ملكنا أي الرب عيسى المسيح، وسيكون في غاية القوة والاقتدار.

ثم إنّ كافة المعلِّمين للكتاب المقدس الذين أعرفهم تقريباً كانوا قد تنبأوا بعودة المسيح، وستكون قريبة جداً، وأنا أؤمن شخصياً بأن قسماً منا سيكون في آخر الاجيال، ولن يموت آخر الاجيال ما لم يجيء سلطاننا المسيح.

ومن جهة أخرى؟ ينبغي الانتباه إلى هذا التساؤل وهو:

كيف يمكن لدعاة حكومة علمانية أن يمهّدوا لتمهيد لظهور رجل ليس علماني، بل يعد نبياً من أنبياء الله!؟ فإن ما يقوم به عليه السلام هو حكم إلهي، ولا يوجد وجه شبه أبداً بين منتظري المسيح عليه السلام والمسيح نفسه!. ثم كيف يؤيد المسيح النبي عليه السلام داعية السلام والرحمة أفعال العنف والابادة والقتل الذي تمارسه إسرائيل وأمريكا في العالم!.

وسنقوم بدراسة وتحليل النصوص الإسلامية حول المسيح والصهيونية في آخر الزمان في بحث مستقل، لتتضح حقيقة اليهود، وسنعتمد النظرة القرآنية والنصوص الروائية

الإسلامية المعتبرة بين الفريقين.

وقد سعينا هنا بدراسة ثلاثة مفاهيم في اعتقاد اليهود في آخر الزمان، وهي:

الحرب العالمية في عصر الظهور، عودة عيسى المسيح عليه السلام، ومقارنة عودته مع ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان.

قراءة فكر اليهود في النصوص الإسلامية

ترتبط هذه الدراسة التحليلية والاجمالية للأبحاث التاريخية في القرآن والروايات الإسلامية وتنبؤاتها عن آخر الزمان بالمنجي والمخلص المسيحي ـ اليهودي أيضاً، وستزيد في عمق فهمنا حول الحركة الصهيونية المسيحية ومستقبل اليهود. فلو ألقينا نظرة في أول آيات سورة الأسراء؛ فسنرى فيها إشارة إلى تاريخ اليهود وماضيه، وهي تسوقنا نحو تقديم حصيلة عامة وتامة عن اليهود في هذا البحث، وهي تتضمن ما يلي:

١. الأمر الأول

إن اليهود يفسدون في المجتمع على مرّ التاريخ إلى أن يحين العقاب. وأن الله يصطفي من جهته رسلاً يبعثهم اليهم، فينتصر بهم، ويغلبون أعداءهم. ثم ينتصر أعداءه على رسله لمصالح اقتضتها حكمته الالهية. فيزيدهم في الأموال والأولاد، ويضاعف لهم في الاتباع والانصار في العالم.

لكن اليهود يسيئون التصرف في استخدام ما منحهم الله، ولا يستثمرونها بشكلها الصحيح، فيفسدون مرة أخرى في الأرض، ويصابون هذه المرة بالكبر والغرور، وطلب العلوّ والجاه وحبّ الرئاسة، ويتصورون أنفسهم خير من الآخرين، فيأتي وقت حسابهم وعقابهم، ويرسل الله سبحانه من قبله رسلاً آخرين، فينتصرون عليهم هذه المرّة أيضاً، ويغلبونهم، فينزل الله باليهود عقاباً وعذاباً أشد من العذاب الأول.

٢. الأمر الثاني

إن القوم الذين يبعثهم الله سبحانه ثانياً لمواجهة عتاة اليهود والوقوف ضدهم، سينتصرون عليهم بسهولة، فيفتشون عنهم كل بيت بحثاً عنهم، ويدخلون المسجد الأقصى، وتضمحل قواهم العسكرية، فيرسلهم الله ثانياً اليهم، ولكن هذه المرّة وخلافا لم توقعه اليهود في غلبتهم وانتصارهم على رسل الله وأنبياءه، فسيكونون غرضاً وهدفاً لثلاث ضربات موجعة وقاسية وجهها أنبياء الله لهم.

واختلف المفسرون في معنى «الفساد» في الآية بأنه على نوعين:

أحدهما: طلب العلو والجاه.

وثانيهما: العذاب الالهي الذي وعدهم الانبياء به ووقع عليهم، أو سيقع عليهم في المستقبل. ولم يكن للمفسرين اتفاق ورأي واحد ومساوي في هذا الموضوع.

إن ما نستمده من النصوص والأخبار ونراه صواباً هو: أن العقاب الأول لهم بسبب إفسادهم الأول، وقد تحقق ذلك على يد المسلمين في صدر الإسلام الأول. ولما ابتعد المسلمون عن الإسلام ومبادئهم، سلّط الله عليهم اليهود ثانياً، فانتصروا عليهم وغلبوهم، وهزموا المسلمين شر هزيمة.

ولما أفسد اليهود وطغوا في الأرض وعلوا علوّاً كبيراً ثانياً، واتجه المسلمون نحو الإسلام وأعادوا هويتهم الدينية والإسلامية من جديد، جاء وقت عقابهم الثاني، وسيتحقق على أيدي المسلمين.

أما الأخبار والنصوص التي تؤيد ما ذكرناه فهي كثيرة، وهي تشير إلى غلبة الإمام المهدي عجل الله فرجه وانتصاره، وسحقه أعداء الله ورسوله، وأن من أتباعه وأنصاره من أهل قم، وأنهم سينتصرون على اليهود مرة أخرى.

روي في تفسير العياشي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾[٩٩]، قال: «**هو القائم وأصحابه أولي بأس شديد.**»[١٠٠]

وروي أيضاً في تفسير نور الثقلين عن روضة الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية المذكورة فقال: «قوم يبعثهم اللّه قبل خروج القائم عليه السلام، فلا يدعون وترا لآل محمد صلى الله عليه وآله إلا قتلوه.»[101] فقلنا: جعلنا فداك من هؤلاء؟ فقال ثلاث مرات: «هم واللّه أهل قم، هم واللّه أهل قم، هم واللّه أهل قم.»[102]

فعلى ضوء هذه الروايات، يكون عقاب اليهود ثانياً بسبب علوهم واستكبارهم، على أيدي المسلمين في عصر الظهور للإمام المهدي عجل الله فرجه. لقد وعد الله سبحانه أن اليهود سيعلون في الأرض باعتمادهم على القوى العظمى كامريكا وبريطانيا، كما وعد سبحانه أنهم سينالون عقابهم مرة أخرى، وسيقضى عليهم هذه المرة نهائياً. وهذه الآية تشير إلى هذا المعنى في سيطرة اليهود وعلوّهم في الأرض:

قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[103]

وفي هذين الآيتين إشارة منه سبحانه وتعالى إلى أنه سيبعث على اليهود إلى القيامة من يسومهم سوء العذاب.

ويعتبر القرآن تقطيع اليهود في الأرض أمماً نوع من العقاب لهم، وقد شوهد تصديق هذا الوعد الالهي في عقاب اليهود وتقطيعهم في الأرض أمماً في كافة فترات التاريخ وعلى مر العصور، عدا عصر حكم بعض الأنبياء قبل موسى عليه السلام ويوشع وداود وسليمان عليهم السلام، حيث بعث الله إلى اليهود من يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة.

وقد كان شعور اليهود بأنهم الأقلية دائماً في البلدان المختلفة أسوأ عذاب روحي ونفسي كان قد عانى منه اليهود، وأثّر على تصرفاتهم وسلوكهم في المجتمعات التي

يعيشون فيها على مرّ التاريخ.

ومن مصاديق «سوء العذاب» الذي عانى منه اليهود:

أحدها: أنه لا يحق لهم في أي عصر ـ أن يؤسسوا دولة وحكومة مستقلة لهم.

ثانيها: كان اليهود رغم نفوذهم في العالم يخضعون لحكومات يسلّطها الله عليهم، ويسلّمون لها باللحاظ السياسي، والاقتصادي، والثقافي.

وهناك آيات أخرى تحدثت عن فتنة اليهود في آخر الزمان، وانهزام اليهود وفضيحتهم وردّ الفتنة عليه. قال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٠٤].

وهذ الآية المباركة هي ذلك الوعد الالهي الذي بشّر الله سبحانه به المستعضفين والمسلمين في العالم ـ ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ ـ سواء طلبوا الحرب بأنفسهم أو حرّكوا الآخرين للحرب ـ ﴿أَطْفَأَهَا اللهُ﴾!.

إن تاريخ اليهود يحكي عنهم أنهم يبحثون عن إثارتهم الحرب دائماً، ولكنّ وعد الله في هزيمة اليهود قد تحقق، وأبطل مكرهم وحيلهم، وباطل ما كانوا يفعلون. ولعلّ أكبر حرب أشعلها اليهود ضد المسلمين والعالم هي هجوم أمريكا على أفغانستان والعراق، واحتلالهما لهذين البلدين، ولعل هذا جزء من مشروع تحقيق الشرق أوسط الكبير وحدود إسرائيل من النيل إلى الفرات، وعدّ إسرائيل جزءاً من أراضي الشرق أوسط الكبير.

ولكن الله سبحانه وتعالى وعد المسلمين بأن نهاية اليهود وأنصارهم ومؤيديهم ستكون على يد الإمام المهدي من آل محمدﷺ وأنصاره، والانتصار عليهم نهائياً وسحقهم إلى الأبد، فقد ورد في تنبؤات القرآن والنصوص الروائية أن اليهود سيجتمعون

في فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية التي ستطيح باليهود وتؤدي بهم إلى الزوال والفناء، قال الله تعالى:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.[١٠٥]

وتفسر النصوص الروائية هذه الآية المباركة، ونشير هنا إلى بعضها للتعرف أكثر على كيفية سكنى اليهود في هذه الأرض.

روي عن النبي ﷺ أنه قال:

هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول اللّه، قال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق.[١٠٦]

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

لأبنين بمصر منبراً، ولا نقضن دمشق حجراً حجراً، ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب، ولاسوقن العرب بعصاي هذه.

فسأله عباية الأسدي (راوي الحديث): «كأنك تخبر أنك تحيا بعد ما تموت؟ فقال عليه السلام: «هيهات يا عباية، فقد ذهبت في غير مذهب، يفعله رجل مني.»[١٠٧]

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيها «كشف المعبد» وأنه من علائم الظهور، والظاهر أنه معبد سليمان عليه السلام، ويعتقد الصهاينة المسيحيون أنه أيضاً من علائم ظهور السيد المسيح عليه السلام.

أما علامات ظهوره عليه السلام وأشراط الساعة فهي:

١. محاصرة الكوفة، نصب الكمائن والاختفاء، رمي الحجارة، ايجاد الثقوب وتشقق الجدران في زوايا أزقة المدينة وميادينها. تعطيل المساجد أربعين ليلة، كشف المعبد، ورفع الرايات والالوية حول المسجد الكبير «أي المسجد الحرام»، وقتل الاثنين بالنار[١٠٨].

وقد ذكر في بعض الروايات: إخراج التوراة الحقيقية من غار أنطاكية على يد الإمام

المهدي عجل الله فرجه، واحتجاجه عليهم بها، سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الإمام المهدي عجل الله فرجه فقال: «ويستخرج التوراة والأنجيل من أرض يقال لها أنطاكية.»[١٠٩]

و: «يخرج الإمام المهدي عجل الله فرجه أيضاً الصندوق المقدس من غار أنطاكية، وأجزاء من التوراة من جبل في الشام، ويحتج بهذا الكتاب على اليهود، ويسلم على يديه كثير منهم.»[١١٠]

«ويظهر لهم الصندوق المقدس من (بحر طبرية)، ويأتي به لهم إلى بيت المقدس، وعندما يشاهده اليهود، يسلم كثير منهم إلا قليل.»[١١١]

وقد تحدث القرآن الكريم حول أوصاف تابوت السكينة (الصندوق المقدس) فقال تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[١١٢]

وقد روي في تفسيره هذه الآية: أن «الصندوق المقدس» فيه ميراث الأنبياء، وهو علامة النبي إسرائيل ليعرفوا حسن إدارة البلاد وكيفية الحكم، ولهذا تحملته الملائكة، وجاءت به لهم، وقد عبرت به قوم بني إسرائيل، فوضعوه أمام طالوت عليه السلام، فسلّمه طالوت عليه السلام إلى داود عليه السلام، وبعد داود عليه السلام إلى سليمان عليه السلام، ومن ثم وصيّه آصف بن برخيا، ولم يطع بنو إسرائيل كلام وصي سليمان عليه السلام وأوامره، فأضاعوا الصندوق وما فيه[١١٣].

ألف) الحرب العالمية قبل عصر الظهور

تواترت الروايات والنصوص تواترا إجمالياً[١١٤] بوقوع الحرب العالمية قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد ذكرت فيها خصائص وصفات عديدة لهذه الحرب، وخاصة العدد الكثير من القتلى واقتراب وقوعها من عصر الظهور للإمام المهدي عجل الله فرجه. وهذا ما يجعلها تختلف عن الحروب العالمية التي سبقتها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

بين يدي القائمﷺ موت أحمر، وموت أبيض، وجراد في حينه، وجراد في غير حينه أحمر كالدم، فأما الموت الأحمر فبالسيف، وأما الموت الأبيض فالطاعون[١١٥].

وقال الإمام الباقرؑ وقد إعطى تفسيراً أكثر عن هذه الحرب العالمية فقال:

لا يقوم القائمﷺ إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتت في دينهم وتغير من حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءاً من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً[١١٦].

وقال الإمام الصادقؑ:

لا بدّ أن يكون قدام القائمﷺ سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من القتل.[١١٧]

وتحكي هذه الرواية أيضاً شدة القتال وحالة الحرب إلى زمن وقوع من السماء في شهر رمضان قرب ظهور الإمام المهديﷺ، وتستمر بعد ذلك.

قال الإمام الباقرؑ:

واختلف أهل الشرق وأهل الغرب، نعم وأهل القبلة، ويلقى الناس جهد شديد، مما يمرّ بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي مناد من السماء، فاذا نادى فالنفر النفر.[١١٨]

وروى أبو بصير عن الإمام الصادقؑ حول خسائر هذه الحرب فقال: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس، فقلنا: إذا ذهب ثلث الناس فمن يبقى؟ فقالؑ: أما ترضون أن تكونوا قي الثلث الباقي؟!»[١١٩].

ويبدو أن ما روي عن أمير المؤمنينؑ هو أفضل من غيرها من الروايات والنصوص في بيان وتوقيت وقوع الحرب، وعوامل ودواعي هذه الحرب فقالؑ:

ألا يا أيها الناس سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقية تطأ في حطامها بعد موت وحياة، أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض، رافعة ذيلها، تدعو: يا ويلها بذحلة أو مثلها... ويخرج رجل من أهل نجران، راهب يستجيب الإمامؑ،

فيكون أول النصارى إجابة، ويهدم صومعته، ويدقّ صليبها، ويخرج بالموالي وضعفاء الناس والخيل، فيسيرون إلى النخيلة بأعلام هدى، فيكون مجمع الناس جميعاً من الأرض كلّها بالفاروق (وهي محجة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي ما بين البرس والفرات).[١٢٠]

ولعل قوله عليه السلام: «قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقية» كان يحكي عن بداية وقوع الحرب من قبل روسيا وإسرائيل في الشرق الأوسط، وأشار إلى وقوع النزاع في منطقة الشرق.

أما قوله عليه السلام «أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض» ففيها دلالة على محورية قيادة الغرب لهذه الحرب العالمية، حيث امتلك الغرب مخازن الأسلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية المتطورة والمعسكرات، وهذه المخازن الكبيرة من التجهيزات والمعدات هي أعذار وأساليب لاشعال نار الحرب وتاجيج الفتنة، وإشارة إلى النزعة القتالية في العالم.

ان العديد من البلدان اليوم لا تملك مخازن لذخائر الاسلحة التي تنتجها معامل التصنيع العسكري اليوم، وهي تنتظر يوماً تستخدم فيه كل هذه التجهيزات والمعدات في حرب شرسة ومدمّرة. فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه ذكر عدد القتلى في هذه الحرب النهائية العالمية إلى أنه: «يقتل من كل سبعة أشخاص خمسة منهم»[١٢١].

ويستنتج من هذه النصوص والروايات أن الرعب والخوف والهلع سيملأ قلوب الناس قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، وسيسبب ذلك خسائر فادحة في الارواح والأموال وخاصة على غير المسلمين، ويمكن عد هذا من نتائج ومحاصيل الحرب العالمية الشاملة، واستخدام التقنية المتطورة والأسلحة الفتاكة في الابادة والدمار الشامل.

ولا يمكن المقارنة أبداً بين الحرب المستقبلية والخسائر التي تلحقها في الأرواح وازهاق النفوس، ونسبة الدمار الهائل الذي تلحقه بالمؤسسات الحكومية بقدرة فائقة، والحروب السابقة التي حدثت في التاريخ البشري.

ويمكن إدعاء أن الحرب النهائية «آرماجدون» التي جاء ذكرها في جزء أصول

وعقائد الصهاينة المسيحيين فيها إشارة إلى ذلك. ففي كلا المصدرين إشارة إلى وقوع هذه الحرب في آخر الزمان.

ب) عودة السيد المسيح عليه السلام مرة أخرى

لعل فلسفة عودة السيد المسيح عليه السلام مرة أخرى وموعود الصهاينة المسيحيين هو لهداية عدد كبير من اليهود والمسيحيين في آخر الزمان إلى الدين الإسلامي، وتشرفهم في الدخول فيه، وقد أشير إليهذا المعنى في النصوص والروايات الإسلامية.

فقد اتفق الفريقان سنة وشيعة على هبوط السيد المسيح من السماء في آخر الزمان وعودته إلى الأرض من جديد.

وقد فسّر أكثر المفسرين هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[١٢٢] بهذا المعنى.

وقد استفاضت أخبار الفريقين «السنة والشيعة» حول هبوط عيسى عليه السلام من السماء ونزوله إلى الأرض، ومن بينها، تلك النصوص والروايات التي تقطع بحتمية وقوع ذلك، وهي مروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم إمامكم»،[١٢٣] وهذا حديث متفق على صحته.

وقد رواه البخاري وآخرون في باب «نزول عيسى عليه السلام»[١٢٤].

وروى ابن حماد ثلاثين رواية تحت عنوان: نزول عيسى بن مريم عليه السلام ونهجه» و«مدة بقائه بعد نزوله عليه السلام»، ومنها هذه الرواية في الصحاح وبحار الأنوار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

> والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لا يقبله أحد.[١٢٥]

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

> رواية في الأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس به، ليس بيني وبينه نبي، وأنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة

والبياض، فيدقّ الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه المـل كلها إلا الإسلام.[١٢٦]

وقد ورد في بعض النصوص والأخبار:

أن المسيح يصلي خلف الإمام المهدي﵇، وأنه يحج إلى البيت الحرام في كل عام، وأن المسلمون يقاتلون معه اليهود، والروم، والدجال وأنه يبقى في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفاه اللّه تعالى، ويدفنه المسلمون.

وورد في رواية أخرى عن أئمة أهل البيت﵈:

أن الإمام المهدي﵇ يقيم مراسم دفنـه علـى أعـين النـاس حـتى لا يقـول فيـه النصارى ما قالوه. وأنه يكفنه بثبوت من نسج أمه الصديقة مـريم﵄، ويدفنـه في القدس إلى جانب قبرها.[١٢٧]

ويبدو مما تقدم ذكره، أن أهم أثر سياسي في ظاهرة ظهور المسيح﵇ التقليل من شدة خصومة الغرب ودخولهم في الإسلام والالتحاق بركب المسلمين، وكمـا شـهدت بـذلك النصوص والأخبار أن اقتداء عيسى﵇ بصلاة الإمام المهـدي﵇ هـو إعـلان صـريح لمواقف عيسى﵇ بأنه سيقف في الصف الإسلامي، وأن المنتظـرين الحقيقـيين للمـسيح، ومن خلال مشاهدتهم موعودهم وحركته هذه، سيلتحقوا بالإسلام، ويتشرّفوا بدخوله.

الهوامش

1. Christian zionism myth.
2. Paradoxical.
3. Hegemony.
4. Global village.

٥. للمطالعة أكثر في هامش هذا المصطلح انظر:

Random House webster´s Unabridged Dictionary.

٦. غلام رضا بهروز لك، «تأمل في دراسة مفهوم الأصولية الإسلامية»، فصلية كتاب النقد، السنة السابعة، العدد ٢و٣، ص٨٥.

٧. بابي سعيد، القلق الأساسي، المحور الأوربي وظهور الحالة الإسلامية، ترجمة غلام رضا جمشيدي نيا وموسى الغبري، ص١٠، نشريات جامعة طهران، ١٣٧٩ ش ق.

٨. انظر المصدر السابقن ص١١ـ١٣: «تأمل في دراسة مفهوم الأصولية الإسلامية» فصلية كتاب النقد.

٩. «Speyer» مدينة تقع في جنوب غرب ألمانيا، فيها مجلس تشريع القوانين في الكنيسة في أحداث حركة الاصلاح الديني.

١٠. آليستر مك گراث، مقدمة على فكر حركة الاصلاح الديني، ترجمة بهروز حدادي، ص٥٨، نشريات مركز المطالعات وتحقيقات الأديان والمذاهب، قم، ١٣٨٢ ش ق.

11. Alister E. mc Grath
12. schrlasticrsm.

١٣. «لوثر» قسيس واستاذ الفلسفة في جامعة «أرفورت» ومؤسس المذهب البروتستاني الجديد، قسّم الكنيسة في الغرب إلى قسمين: الكاثوليك والبروتستان، انتقد انحراف الكنيسة وطالب باصلاحها بالاستعانة من الكتاب المقدس. اعتقد أن الكنيسة ليست مؤسسة حكومية، بل هي جماعة من المؤمنين وسلطة دينية تشرف على تطبيق الكتاب المقدس، واعتقاد أن كل مؤمن مسيحي يمكنه أن يصبح «قسيساً» لوحده بلا استعانة له بالقساوة، ويمكنه فهم الكتاب المقدس .

١٤. محمد صالح مفتاح، المسيحية الصهيونية ـ موقع منتدى الفكر ١٣ آبان، ١٣٨٣ ش ق.

١٥. رضا هلال، المسيحية الصهيونية والاصوليين في أمريكا، ص٦٢ـ٦٣، نشر الأديان، قم، ١٣٨٣ش ق.

١٦. المصدر السابق، ص٦١.

17. Archibald robertson.

١٨. آرجيبالد رابرتسون، عيسى، الاسطورة أو التاريخ، ترجمة حسين توفيقي، دار نشر مركز المطالعات وتحقيقات الأديان والمذاهب، قم، ١٣٧٨ش. ق.

١٩. انظر مقدمة حول فكر حركة الاصلاح الديني، ص٩٧.

20. Barbara Tuchman, bible and sword, ballantine books, new york, 1984.

٢١. انظر: المسيحية الصهيونية والاصولية في أمريكا، ص٥٦ـ٥٨.

٢٢. المصدر السابق، ص٦٠.

23. lordanthony Ashley cooper.

24. www.Ealham. Edu/ post/ivfall 97/ middleeast html﷽ history.

٢٥. المسيحية الصهيونية، والأصولية في أمريكا، ص٦٤.

26. Olivercromwel.

٢٧. المسيحية الصهيونية والأصولية في أمريكا، ص٦٦.

28. Franz kobler, the vision was, there, London,1926,p39.

29. Ibid.40.

30. Reaina s, sharof, non – tewism: itsroots in western history, zed press, 1983,London.

31. Ibid.

32. Cyrus scofield.

33. uri dacis, Israel, an apartheid state, zrd, London,1987 .

34. Sharof, non-Jewish, pl& ١٣٠.

35. Rob richavds, has godfinished wish israwl p. 177, crodiriugh, monarh,١٩٩٤ .

٣٦. التوراة (العهد القديم) سفر الظهور.

37. Micael Horton, the church and Israel, modern reformation. Pl,١٩٩٤ .

٣٨. تعتقد ليندسي في هذا الكتاب، أن «الصراع السامي» هو خطأ كان قد استهان بميراث اليهود، وأدى إلى المحرقة اليهودية التي قامت بها النازية الالمانية.١٩٨٩.

Hallindsey. Theroad to holocaust, new york, bantam, .

39. Millennialism.

40. Dispensationaism.

41. Antichrist.

42. www. Earlham.edu/17 fall 97/ chistian. html﷽ theological.

43. The late great planet earth.

44. Hal lindsey.

45. Holicaust.

46. Anti-semitism.

٤٧. حميد رضا ضابط «نظرة حول ارتباط البورتستانيةوالصهيونية، صحيفة كيهان، ١٣٨٢/٦/٢٤.

٤٨. انظر: آدمين، المسيحية الصهيونية نقل في تاريخ ٨ أكتوبر ٢٠٠٥م، ويمكن البحث عنه على الموقع الانترنيتي www.Mouood.org

٤٩. مرتضى الشيرودي، المسيح، ضد المسيح، موقع منتدى الفكر، ١١ خرداد ١٣٤٨، ويمكن البحث عنه على الموقع الانترنيتي www.bashgah.net.

٥٠. مرتضى الشيرودي «ثلاث ستائر عن آرماجدون» شهرية برسمان، س٣٧، السنة الخامسة، مهر، ١٣٤٨ش ق، ص٣٤.

٥١. عمر سلمان، «رسالة آرماجدون» ترجمة عباس السيد مير جمكراني، صحيفة كيهان، ٢٦ خرداد، ١٣٨٢ ش ق.

٥٢. مكاشفات يوحنا، ١٦:١٦.

٥٣. للمطالعة والمعرفة أكثر راجع: http://armageddon. Mihandlog.com.

٥٤. كتاب حزقيال النبي، ٣٨: ١٩و٢٠.

٥٥. ريس هال، آرماجدون: تدارك الحرب الكبرى، ترجمة خسرو الاسدي، (على الانترنت) نقل في تاريخ ٢٧ أبان ١٣٨٣ ش ق www. Sharif news. com.

٥٦. المصدر السابق.

٥٧. المصدر السابق.

58. David luchins.

٥٩. علي الطباطبائي «مطالبات قدرة اليهود في أمريكا» خصوص العلاقات بين أمريكا ـ إسرائيل، ص١١، الطبعة الأولى، نشريات المؤسسة الثقافية للمطالعات والتحقيقات العالمية، أبرار المعاصرة، طهران، ١٣٨٢ش ق.

٦٠. قاسم ذاكري، «الصهيونية المسيحية والمطالبات الدينية والدفاع أمريكا عن إسرائيل» أمريكا، خصوص العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، ص٨٥، نشريات المؤسسة الثقافية للمطالعات والتحقيقات العالمية، أبرار المعاصرة، طهران ١٣٨٢ش ق.

٦١. انظر: علي الطباطبائي «المطالبات قدرة اليهود في أمريكا» أمريكا، خصوص العلاقات بني أمريكا ـ وإسرائيل، ص١٤ـ٤٥.

٦٢. الدكتور السيد علي الطباطبائي، عضو الهيئة العلمية في كلية العلوم السياسية في الجامعة الإسلامية الحرّة، وحدة طهران، المركزي، وفيها مقالات قيّمة في باب الأبحاث العالمية.

٦٣. انظر: علي الطباطبائي «المطالبات قدرة اليهود في أمريكا» أمريكا، خصوص العلاقات بين أمريكا ـ وإسرائيل، ص١٤ـ٤٥.

64. Albert.

65. Otto stern.

66. Eric fromm.

67. Erik eriksrn.

68. Hanna arendt .

69. Herbert markuse.

70. Poul lazarfeld.

71. Houl deurch.

٧٢. The American public affairs committee وتعني كلمة «آبيك»: «اللجنة المشرفة على الأمور العامة الإسرائيلية ـ الأمريكية» وهي من أقدم وأكثر المؤسسات نشاطاً عند اللوبي اليهودي في أمريكا، وقد سعى اللوبي في تقوية أواصر التقارب والتعاون والصداقة بين أمريكا وإسرائيل.

وقد سمي اللوبي ابتداء في عام١٩٥١م باسم «شورى الصهاينة الأمريكيين»، وبدأ عمله ونشاطه في تلك السنة، وتغير أسمه في عام ١٩٥٤م إلى «اللجنة الصهيونية الأمريكية للأمور العامة»، ثم أختير لها أسم «آبيك» في عام ١٩٥٩م. وكانت هذه المؤسسة في العشرة الأولى في العقد التسعين تمتلك١٥٨ موظفاً حكومياً، وتبلغ ميزانيتها (١٥) مليون دلار. «آبيك» نظام مركزي يمتلك(٢٠) موظفاً في أعلى المستويات يديرون هذه المؤسسة.

ويرشح هؤلاء العشرون موظفاً كل سنتين مرة واحدة من قبل لجنة تنفيذية تشتمل على (١٥٠) ممثلاً من بين أربعين منظمة وتشكيلة محلية ووطنية يهودية.

٧٣. المصدر السابق، ص٢٦.

٧٤. جامعة شبكة(network society) مصطلح ذكره مانوئل كاستلز في عصر المعلومات، والعولمة هي ظهور نوع للجامعة الشبكية مكملة للاستثمار، التوسعة الاقتصادية، والمجتمع والسياسة والثقافة.

٧٥. مارشال مك لوهان، القرية العالمية (global village) وقد استخدم لأول مرة في كتاب الحرب والصلح في القرية العالمية سنة١٩٨٦م.

76 . Frank Webster, culture and politics in the information age, lonbon, routledge,2001.

٧٧. أمريكا، ص ٢٨.

78. New house.

79. The parade.

80. New yorker.

81. Mademoiselle.

82. Glamour.

83. Samuel new house.

٨٤. أمريكا، ص ٣٢.

٨٥. محمد علي منصوريان، الصهيونية المسيحية والعالم الإسلامي، فصلية كتاب النقد، العدد ٣٢، نشريات تحقيقات الثقافة والفكر الإسلامي، طهران، خريف ١٣٨٣ ش ق، ص ٢٢٦.

٨٦. المصدر السابق.

٨٧. «حرب المستقبل في النظرية العسكرية للكيان الصهيوني»، قسم الأمن القومي، مجلة السياسة الدفاعية، العدد ٤، مؤسسة تحقيقات العلوم الدفاعية في جامعة الإمام الحسين عليه السلام، السنة الثامنة طهران، خريف وشتاء ١٣٧٩ ش ق، ص ٧٢و ٧٤.

88. International Christian Embassy jerusale.

89. The church's ministry among jewish people, also known as thw Israel Trusel of the Anglican church within Israel.

90. Christia Friends of Israel.

91. Intercessors for Britain.

92. Prayer friends of Israel.

93. The bridges for peace.

94. The American messianic fellowship.

95. The messianic jewish Allianica America.

96. jews for jesus.

97. The evangelical sisterhood of Mart, and the counol of Christians and jews.

98. louis Bahjat Hamada, understandrng the arab world, p. 189 nashville, nelson, 1990.

٩٩. سورة الإسراء، الآية ٥.

١٠٠. تفسير العياشي، جص، ص ٢٨١.

١٠١. نظرية علي الكوراني، عصر الظهور، وانظر الموقع الانترنيتي/
www. Abasaleh.ofogh.net/ ketab 1008/ start frm/ html/.

١٠٢. بحار الأنوار، ج٦، ص ٢١٦.

١٠٣. سورة الأعراف، الآية ١٦٧، ١٦٨.

١٠٤. سورة المائدة، الآية ٦٤. انظر: علي الكوراني، عصر الظهور، وانظر الموقع الانترنيتي:
www. Abasaleh.ofogh.net/ ketab 1008/ start frm/ html/.

١٠٥. سورة الأسراء، الآية ١٠٤.

١٠٦. مستدرك الوسائل، ج٤، ص ٢٧٦.

١٠٧. بحار الأنوار، ج٥٣، ص٦٠.

١٠٨. المصدر السابق، ج٥٢، ص ٢٧٣.

١٠٩. المصدر السابق، ج٥١، ص٥٢.

١١٠. منتخب الأثر، ص٣٠٩.

١١١. الملاحم والفتن، ص٥٧.

١١٢. سورة البقرة، الآية ٢٤٨.

١١٣. انظر علي الكوراني، عصر الظهور، وكذا الموقع الانترنيتي:

www. Abasaleh. Ogigh, ofogh. Net/ketab 1008/ startfrmi. html.

١١٤. يعني بطرق مختلفة وعديدة عن بعض الصحابة، فقد روي أن العلم ينتقل إلى صدورهم من قبل رسول الله ﷺ.

١١٥. إرشاد المفيد، ص٤٠٥، غيبة الطوسي، ص٢٧٧.

١١٦. كمال الدين، ص ٤٣٤.

١١٧. بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٣٩.

١١٨. المصدر السابق، ص ٢٣٥.

١١٩. المصدر السابق، ص ١١٣.

١٢٠. المصدر السابق، ج٥٣، ص٨٢ و٨٤.

١٢١. المصدر السابق، ج٥٢، ص ٢٠٧.

١٢٢. سورة النساء، الآية ١٥٩.

١٢٣. بحار الأنوار، ج٥٣، ص ٣٨٣.

١٢٤. صحيح البخاري، ج٣، ص٢٥٦.

١٢٥. انظر النسخة الخطية لابن حماد، ص١٥٩ـ١٦٢.

١٢٦. المصدر السابق.

١٢٧. انظر: علي الكوراني، عصر الظهور، وكذا الموقع الانترنيتي:

www. Abasalah.ofasaleh.net/ ketab 1008/ stavt frm 10 html.

المهدي المنتظر «وَهْمُ الانتظار وهَمُّ الفَرَج»

خالد زَهْري

لم يكن اختياري لعنوان البحث عَبَثًا، لِما قد يظهر فيه من تعارض ظاهر بين الوَهْم والهَمّ. فقد يقال:

كيف يمكن الجمع بين وَهْم الواهم وهَمِّ المتطلع؟

وكيف يمكن للواهم المترهل أن يكون مشحوذا بحوافز الهَمِّ؟

وكيف يمكن لمن يحمل همّا أن كون واهما؟

هذه الأسئلة مشروعة، وطرحها وجيه. لكن، سنبين، في هذا البحث، التعارض الظاهر، بين الوَهْم والهَمّ، من أجل أن نبدد هذا التعارض، عند الكشف عن الخيوط الدقيقة، التي تربط بينهما.

فحتما من كان ذا هَمّ، فإنه يعمل ويجدّ، في سبيل تحقيق ما يهدف إليه. وهو بذلك لا يعتبر واهما، بل إنه، بمواقفه هاته، خصم لذود للوهم. والواهم لا يمكن أن يكون ذا همٍّ البتة، لأن من يعيش في الوهم، كمن يحلم في سكره. أما من يحمل مشروع هَمِّه، فإنه يسير بمقتضى نباهة صحوه.

وشتان بين السكر والصحو، كما أنه شتان بين الحالم واليقظان.

لكن، هل يمكن أن نقول: إن وَهْمَ الانتظار طعن في عقيدة المهدي؟ وأن هَمَّ الفرج، لا يزول إلا بظهور صاحب الفرج؟

إن البحث سيؤكد خلاف هذا المفهوم، المتبادر لأول وهلة إلى الأذهان، بل سيؤكد أن عقيدة المهدي من صميم العقائد، التي تبني حضارة المسلم، وتصقل شخصية المؤمن، فتحفزه نحو العمل، وتدفعه لبناء صرح العدل. لكن الانتظار، دون عمل ـ أعني الانتظار السلبي ـ، لا يكون إلا وَهْما، بل إنه أكبر عقبة تقف في طريق ظهور المهدي.

فلو انتظر المسلمون هذا الانتظار، لجزمنا؛ بدون تردد؛ أن ظهورَ المهدي وَهْمٌ في وَهْمٍ، وخروجه ضرب من ضروب الخبال، وشخصه رمز في أسطورة من نسج الخيال.

إذن، فالانتظار لا يكون ذا بال، والظهور لا يكون أجنبيا عن المحال، إلا بحمل همّ الفرج. والهمّ لا وزن له، إلا بخوض غمار الواقع، والتمهيد لظهور صاحب الزمان، وخلق الأجواء والظروف، التي تُعَجِّل بظهوره. ولن يكون ذلك، إلا بتحمل وظائفه، كما تحمل الأنبياء عليهم السلام وظائف الرسولﷺ وسلم قبل ظهوره، ومهدوا له تمهيدا.

ومن هاهنا، قال النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.**»[1]

فبيَّن عليه الصلاة والسلام، أن غاية بعثته، إتمام ما جاء به النبيون قبله، من الأعمال الصالحة، والأخلاق الربانية، وأن مكارم الأخلاق، التي جاء بها، مهَّد لها الأنبياء والأولياء والصالحون قبله، واستأنفوا العمل بمقتضاها، والدعوة إليها.

فتحصل من هذا، أن مسألة الانتظار، من غير تمهيد للحجةﷺ، بالباقيات الصالحات،

والأعمال التي تقرب إلى الله عز وجل، كمن يطلب الأبلق من الأنوق.

***

ثم أقول:

احتدم النقاش بين العلماء المسلمين، حول عقيدة المهدي، وذلك بسبب الأحاديث والأخبار الكثيرة، الواردة بشأن ظهوره آخر الزمان، حيث تَسَبَّبَ الاضطراب، الحاصل في كثير منها، والتعارض القائم، بين قسم وافر منها، إلى تعدد الآراء، فتفرقوا طرائق قددا، بشأن وقت ظهوره[٢]، وشخصيته[٣]، وعلاقته بالسيد المسيح[٤].

فكيف؛ إذن؛ يمكن أن نحول هذه النقطة الخلافية إلى رأي جامع بين المذاهب الإسلامية[٥]؟

***

بادئ ذي بدء، نشير إلى أن أصل الفكرة لا خلاف فيه، بين المذاهب الإسلامية. وإنما الخلاف فقط في طريقة تمثُّله. كما أن الاتفاق حاصل، في الوظيفة، التي سيؤديها المهدي. فكل من مهدي أهل السنة ومهدي الشيعة سيؤدي الوظيفة نفسها، من رفع للظلم والجور، وإثبات للعدل والحق، وإزهاق للباطل.

مهما يكن من أمر، فإن وظيفة المهدي واحدة، عند الجميع، وإن اختلفت طرق التعبير عنه، وتباينت سبل تحديد شخصيته.

فالاتفاق حاصل؛ إذن؛ حول ثبوت ظهور المهدي، في آخر الزمان، إلا قولا شاذا ينفي ذلك، وهو قول لا يُلْتَفَتُ إليه، ولا يُعْبَأُ برأي أصحابه، لفساد أدلتهم ووهنها.

ولذا، فإن العلامة ابن خلدون، أورد كثيرا من أحاديث المهدي، وناقشها، في سندها ومتنها، ثم علق عليها بقوله: "فهذه جملة الأحاديث، التي خرجها الأئمة، في شأن المهدي، وخروجه آخر الزمان. وهي؛ كما رأيت؛ لم يخلص منها من النقد، إلا القليل والأقل منه"[٦].

لكنه؛ على الرغم من ذلك؛ لم ينكر ظهور المهدي، في آخر الزمان، بل قرره وأكده،

وبعبارته:

اعلم أن في المشهور، بين الكافة من أهل الإسلام، على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان، من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي.[٧]

وأرى أن الخوض في الخلافات النظرية، والجدالات العقيمة، حول العقيدة المهدوية، ليس ذا جدوى، بل إن الإغراق في مناقشتها، قد يجعلها تنخرط في العلم الغير النافع، الذي ورد الحديث النبوي في النهي عنه[٨].

ولعل هذا هو السر، في نهي بعض الأخبار عن تسمية الإمام المنتظر باسمه، أو السؤال عن شكل جسمه، كما هو مُؤَدَّى الخبر، الذي رواه ابن بابويه القمي، بسنده: «**سئل الرضا عليه السلام عن القائم عجل الله فرجه، فقال: لا يُرَى جسمه، ولا يسمَّى باسمه.**»[٩]

وليس هذا من باب نفي هذه العقيدة، ولا من باب تأييد القول الشاذ، المشار إليه أعلاه. وإنما هو من باب الترقي بعقيدة المهدي إلى مستوى أرقى، ما زال المسلمون لم يَرْقَوْهُ، ولم يُوفُوه القدر، الذي يليق به، وهو التركيز على الأبعاد العملية فيها.

أعني: كيف يمكن لنا أن نحول العقيدة المهدوية، إلى مشروع يسوقنا نحو الشهود الحضاري؟ وما السبيل لتحويل مضامين أحاديث وأخبار المهدي إلى برامج عمل فكري، وثقافي، واجتماعي، وسياسي؟

قبل الإجابة عن هاذين السؤالين، نتساءل: لماذا لم نستفد من البشارات السابقة لدين الإسلام، والتي قررت البُعْد العملي لهذه البشارات، بل اعتبرته الأصل الذي تنبني عليه؟

معالم انتظار النبي "إيليا"

جاء في "العهد القديم": "وفيما هما[١٠] يسيران، ويتجاذبان أطراف الحديث، فصلت بينهما مركبة من نار، تجرها خيول نارية، نقلت إيليا، في العاصفة، إلى السماء"[١١].

وبناء على ذلك، كان اليهود ينتظرون ظهور النبي إيليا[١٢]، باعتباره البشارة، التي

تسبق ظهور السيد المسيح، كما هو مسطور في كتاب ملاخي:

> ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي، قبل أن يجيء يوم قضاء الرب الرهيب العظيم، فيعطف قلب الآباء على أبنائهم، وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي (إن لم يتوبوا)، وأصيب الأرض باللعنة.[١٣]

لقد كان هذا الانتظار سلبيا، حيث اعتقدوا أنه سيظهر بجسده العنصري، إلى أن ظهر السيد المسيح، فبين لهم فساد هذا الفهم، وضلال هذا الاعتقاد، وأوضح لهم، أن المقصود من ظهور إيليا، إنما هو ظهور نبي على شاكلته، يحمل صفاته الروحية والأخلاقية، وهو يوحنا المعمدان[١٤].

فقد جاء في إنجيل متى:

> وما أن انصرف تلاميذ يوحنا، حتى أخذ يسوع يتحدث إلى الجموع، عن يوحنا: ماذا أخرجتم إلى البرية لتروا؟ أقصبة تهزها الريح؟ بل ماذا خرجتم لتروا؟ أوَ إنسانا يلبس ثيابا ناعمة؟ ها إن لابسي الثياب الناعمة هم في قصور الملوك. إذن، ماذا خرجتم لتروا؟ أنبيا؟ نعم، أقول لكم: وأعظم من نبي. فهذا هو الذي كتب عنه: ها إني مرسل قدامك رسولي، الذي يمهد لك طريقك الحق. أقول لكم: إنه لم يظهر، بين من ولدتهم النساء، أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه. فمنذ أن بدأ يوحنا المعمدان خدمته، وملكوت السماوات معرض للعنف، والعنفاء يختطفونه. فإن الشريعة والأنبياء تنبؤوا جميعا، حتى ظهور يوحنا. وإن شئتم أن تصدقوا، فإن يوحنا هذا، هو إيليا، الذي كان رجوعه منتظرا. ومن له أذنان، فليسمع.[١٥]

معالم انتظار يوحنا للمسيح

وعندما ظهر يوحنا المعمدان، إيذانا من الله تعالى بظهور السيد المسيح، لم يكتف بمجرد إعلان البشارة، بل كان خير ممثل لأعمال المسيح ووظائفه. فقد تجرد من الدنيا، وأعرض عن ملذاتها وشهواتها، حيث كان «يلبس ثوبا من وبر الجمال، ويشد وسطه بحزام من جلد، ويقتات الجراد والعسل البري.»[١٦]

وعلى هذا السبيل أيضا كان السيد المسيح، فقد قال له أحد الكتبة:

> يا معلم، سأتبعك حيثما تذهب!، فأجابه: للثعالب أوجار، ولطيور السماء أوكار، أما ابن الإنسان، فليس له مكان يسند إليه رأسه.[١٧]

ولم يربط يوحنا المعمدان المعمودية بظهور السيد المسيح، بل قام بها قبل ظهوره، فكان يُعَمِّد الناس بالماء، ويقول لهم:

> أنا أعمدكم بالماء، لأجل التوبة، ولكن الآتي بعدي هو أقدر مني، وحذاءَهُ، لا أستحق أن أحمل. هو سيعمدكم بالروح القدس، وبالنار.[١٨]

حتى إذا ظهر المسيح، بارك عمل يوحنا، بل عندما جاء من منطقة الجليل إلى نهر الأردن، قصده ليتعمد على يده. لكن يوحنا أخذ يمانعه قائلا: «أنا المحتاج أن أتعمد على يدك، وأنت تأتي إلي!»، ولكن يسوع أجابه:

> اسمح الآن بذلك، فهكذا يليق بنا أن نتم كل بر. عندئذ سمح له. فلما تعمد يسوع، صعد من الماء في الحال، وإذا السماوات قد انفتحت له، ورأى روح اللّه هابطا، ونازلا عليه، كأنه حمامة.[١٩]

لقد ارتبط ظهور المبشَّر به بظهور النموذج، الذي يُعَبِّر عن البشارة، بلسانه، وقلبه، وجوارحه. وموقف السيد المسيح، بإصراره على أن يتعمد على يد يوحنا، يذكرنا بموقفه بالصلاة خلف الإمام المهدي، عند ظهورهما في آخر الزمان.

ولا جرم أن الظهور المُسْبَق للمهدي، يوحي بأنه يقدم نموذجا حيا، يستحق أن ينال به شرف الإمامة في الصلاة بالسيد المسيح.

إن البشارة السلوكية، التي قدمها يوحنا، هي التي جعلته محلاً للتشرُّف بالنبوءة، التي ذكرها النبي إشعياء: صوت يصرخ، ويقول:

> أعدوا، في البرية، طريق الرب، وأقيموا طريقا مستقيما لإلهنا. كل واد يرتفع، وكل تل ينخفض. وتُمَهَّد كل أرض معوجة، وتُعَبَّد كل بقعة وعرة. ويتجلى مجد اللّه، فيشاهده كل ذي جسد، لأن فم الرب قد تكلم.[٢٠]

وأكدتها بشارة الإنجيل:

في تلك الفترة من الزمان، ظهر يوحنا المعمدان، في برية اليهودية، يبشر قائلا: «توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات»، ويوحنا هذا، هو الذي قيل عنه، بلسان النبي إشعياء القائل: صوت مناد في البرية: «أعدوا طريق الرب! واجعلوا سبله مستقيمة!».[٢١]

ولا جرم أن تمهيد الطريق، وتقويم السبيل، وتعبيد البقعة الوعرة والأرض المعوجة، لا يكون بمجرد الكلام، بل بالتشمير عن السواعد والسُّوق، والعمل بمقتضى البشارة.

معالم انتظار المسيح وأتباعه للنبي محمد ﷺ

وعندما جاء السيد المسيح، وبشر بخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، فحتما لم تكن بشارته، إلا من قبيل بشارة يوحنا، من حيث اتخاذ البشارة محورا مركزيا في طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وأساسا عمليا يمهد السبيل، لظهور الرسالةِ الخاتمةِ، رسالةِ سيد المرسلين، محمدٍ عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فعندما أخبر تلاميذه بمفارقته لهم، مبشرا لهم بظهور الفارقليط، أوصاهم بقوله:

إن كنتم تحبونني، فاعملوا بوصاياي، وسوف أطلب من الآب أن يعطيكم معينا آخر، يبقى معكم إلى الأبد، وهو روح الحق، الذي لا يقدر العالم أن يتقبله، لأنه لا يراه، ولا يعرفه. وأما أنتم، فتعرفونه، لأنه في وسطكم، وسيكون في داخلكم.[٢٢]

ثم قال لهم:

وعندما يأتي المعين، الذي سأرسله لكم من عند الآب، روح الحق، الذي ينبثق من الآب، فهو يؤدي لي الشهادة، وتؤدونها لي أنتم أيضا، لأنكم معي من البداية.[٢٣]

ولا يخفى أن قوله: «فهو يؤدي لي الشهادة، وتؤدونها لي أنتم أيضا»، إعلان صريح بوجوب تمثل القيم الأخلاقية، والروحية، والجهادية، التي يأتي بها المبشَّر به، محمدٌ ﷺ،

كما تدل على ذلك كلمة «الشهادة»، التي لا معنى لها في الأديان، إلا التحقيق العملي للحقائق الروحية، كما هو مدلول عليه في قوله تعالى: ﴿وَفِي هـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.[٢٥]

وكما تدل على ذلك أيضا عبارة: «فتعرفونه»، حيث إن المعرفة، لا قيمة لها، ما لم تكن لها مصاديق عملية، بل ما كانت المعرفةُ معرفةً، إلا لارتباطها بالعمل والسلوك، وإلا كانت ترفا فكريا، وفلسفة عائمة في الفضاء.

اتِّباع الأنبياء قبل ظهورهم

ولعل هذا هو السر في كون الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، كان الواحد منهم يبشر بالنبي الآتي بعده، ويأمر الناس باتِّبَاعه، قبل ظهوره.

من ذلك، ماروَاه ابن بابويه القمي، بسنده، عن جعفر الصادق، أنه قال ـ بعد كلام ـ :

«... وبشرهم نوح بهود، وأمرهم باتباعه.»[٢٦]

وروى أيضا، بسنده، عن الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: «لما بعث اللّه عز وجل هودا عليه السلام، أسلم له العقب، من ولد سام. وأما الآخرون، فقالوا: من أشد منا قوة، فأهلكوا بالريح العقيم، وأوصاهم هود، وبشرهم بصالح عليه السلام.»[٢٧]

وفي كثير من الأخبار، أن الإنجيل بشر بالنبي محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وقال أقوالا فيه، منها: «صَدِّقُوا النبيَّ الأميَّ.»[٢٨]

ولا معنى للأمر باتباع النبي اللاحق، والعمل بوصاياه، وتصديقه، قبل ظهوره، إلا العمل بمقتضى الوظائف والوصايا والأخلاق، التي عزاها إليه النبي السابق، وبكلمة: التمهيد لظهوره، وتعبيد الطريق له.

البُعْد العملي للعقيدة المهدوية

إن استحضارَ الأبعادِ العملية للبشارات السابقة، قَمِين بأن يقدم لنا فهما راقيا للعقيدة

المهدوية، وذلك عن طريق استحضار القيم الروحيـة، والأخلاقيـة، والجهاديـة، للإمـام المهدي، وأخْذ زمام البادرة، بالقيام بالوظائف، التي سيأتي من أجل تحقيقها.

ولذا، فإن الرسول الأكرمﷺ، لم يخبرنا فقط عن ظهور المهدي، وأنـه مـن آل بيتـه، وإنما حدثنا أيضا عن أقوام سيظهرون قبله، ممهدين له طريق الـتمكُّن في الأرض، فقـد

روى أبو داود، بسنده، عن هلال بن عمرو، قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: قال النبيﷺ:

> يخرج رجل من وراء النهر، يقال له: "الحارث بن حَرَّاث"، علـى مقدمتـه رجـل، يقال له: منصور، يوطِّيء؛ أو يمكِّن؛ لآل محمد، كما مكَّنت قريش لرسول اللّهﷺ، وجب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته.[٢٩]

وخرَّج ابن ماجه، عن عبد الله بن الحارث بـن جـزء الزبيـدي، قـال: قـال رسـول اللهﷺ: «يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي يعني: سلطانه.»[٣٠]

وخرَّج الطبراني، في معجمه الأوسط، عن ابن عمر، قال: كان رسول اللهﷺ في نفـر، من المهاجرين والأنصار، وعلي بن أبي طالب عن يساره، والعباس عن يمينه، إذ تلاحى العباس ورجل من الأنصار، فأغلظ الأنصاري للعباس، فأخذ الـنبيﷺ بيـد العبـاس، وبيد علي، وقال:

> سيخرج من صلب هذا، حتى يملأ الأرض جورا وظلما. وسيخرج من صلب هذا، حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا. فإذا رأيتم ذلك، فعليكم بالفتى التميمي، فإنه يُقْبِل من قِبَلِ المشرق، وهو صاحب راية المهدي.[٣١]

وقد تفطن ابن خلدون لهذا البُعْد العملي للعقيدة المهدوية، فربط ظهور المهدي، بتهييء الظروف والأجواء المناسبة للتمكين في الأرض، فقد قال: "والحق، الذي ينبغي أن يتقرر لديك، أنه لا يتم دعوة من الدين والملك، إلا بوجود شوكة عصبية، تظهره، وتدافع عنـه من يدفعه، حتى يتم أمر الله فيه"[٣٢]، وقال: "فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته، إلا بأن يكون منهم[٣٣]، ويؤلف الله بين قلوبهم، في اتباعه، حتى تـتم لـه شـوكة،

وعصبية وافية، بإظهار كلمته، وحمل الناس عليها. وأما على غير هذا الوجـه، مثـل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر، في أفق من الآفاق، من غير عصبية، ولا شـوكة، إلا مجرد نسبة في أهل البيت، فلا يتم ذلك ولا يمكن"[٣٤].

ومما يشفع لما ذهبنا إليه ويُزكِّيه، أن وظيفة المهدي المنتظـر، لـن تتوقـف بموتـه، بـل نجاحها رهين بحمل الأمانة بعده، والاستمرار في تطبيق تلك الوظيفة، كما يدل على ذلك حديث القحطاني، الذي رواه الإمام البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قـال: «لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه.»[٣٥]

فقد روى نعيم بن حماد، في الفتن، من طريق أرطأة بن المنذر ـ أحد التابعين من أهل الشام ـ، أن القحطاني، يخرج بعد المهدي، ويسير على سيرة المهدي. وأخرج أيضا، من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي، عن أبيه، عن جده، مرفوعا: «يكـون بعـد المهديِّ القحطانيُّ. والذي بعثني بالحق، ما هو دونه.»[٣٦]

كما ورد في كتب الشيعة الإمامية، أن ظهور القائم سيُرْدَف بظهور اثني عـشر مهـديا بعده[٣٧]، منها الحديث، الذي رواه ابن بابويه القمي، بسنده، عن أبي بصير، قال:

> قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: يا ابن رسول اللّه! إني سمعت من أبيك عليه السلام، أنـه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر مهديا، فقال: إنما قال: اثنا عشر مهديا، ولم يقـل: اثنا عشر إماما، ولكنهم قوم من شيعتنا، يـدعون النـاس إلى موالاتنـا، ومعرفـة حقنا.[٣٨]

فنفهم، من خلال هذه النصوص مجتمعة، أن وظيفة ملء الأرض عدلا، بعد أن ملئـت جورا، ليست منحصرة في المهدي وعيسى، بل معزَّزة بالمؤمنين من الأمة، ولا ينبغـي أن يشكل علينا حديث القحطاني المذكور، فيذهب بنا الظن إلى احتمـال أن يكـون المـراد بالقحطاني هو عيسى. فجوابا عن هذا الإشكال، قال ابن حجر العسقلاني: "واستـشكل ذلك: "كيف يكون، في زمن عيسى، يسوق الناس بعـصاه، والأمـر إنمـا هـو لعيـسى؟"، ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائبا عنه في أمور مهمة عامة"[٣٩].

انتظار الأكياس وانتظار المُغْتَرِّين

من هذا المنطلق، يمكن أن نحول فكرة المهدي إلى عامل اتفاق بين المسلمين، إذا استلهمنا الثمار العملية، من خلال استلهام الوظائف الروحية، والدينية، والجهادية، والاجتماعية، التي يقوم بها المهدي، حيث يمكن أن نقسم انتظار المهدي وترقب ظهوره إلى موقفين: سلبي، وإيجابي.

أما الموقف السلبي، فهو الذي ينتظر المهدي، في خِضَمِّ العجز عن مواجهة الواقع الفاسد، وعن التصدي للظلم. إنه موقف يجسد العقلية الكسولة، التي تكرس الظلم والتخلف. وانتظار من هذا القبيل، لا يزيد عن كونه تعبيرا عن اليأس، وعن الشعور بالخيبة والإحباط، والاستسلام للفشل، والخنوع لواقع الهزيمة.

ونمثل لذلك بواقع الهزيمة، التي مُنِيَ بها المسلمون، في آخر معقل إسلامي في الأندلس، وهوإمارة بني الأحمر، حيث سيطرت على أذهانهم فكرة المهدي المنتظر، وطفقوا ينتظرونه، ويترقبون خروجه، لينصرهم على الإسبان، ويثأر لهم.

لكن، وُضِعت رؤوسهم تحت مقصلة محاكم التفتيش، وطردوا من الأندلس شر طردة، وفقد المسلمون فردوسهم، دون أن يظهر للمهدي أثر، ودون أن تُشَم له رائحة.

إن هذا النوع من الانتظار، إن كان له دور، فهو دور الحيلولة دون ظهور المهدي، لكونه إعلانا صريحا، بأن أجواء ظهوره، لم تتيسر بعدُ. بل إنه مخالف للمنهج القرآني، في الإصلاح والتغيير، القائم على ثلاث دعائم:

أولها: دفع الفساد من الأرض، لقوله تعالى:

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؛[٤٠]

ثانيها: مجاهدة النفس وتهذيبها، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛[٤١]

ثالثها: مراعاة التدرج، واعتبار المرحلية. ولا جرم أن انتظار المهدي، ليحدث التغيير المفاجئ، رأسا على عقب، مخالف لهذه السنة الكونية، التي استفاض بتقريرها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وسار على هديها السلف والخلف.

لقد أفضى هذا الموقف السلبي ببعض فرق الشيعة، ممن يصنَّفون بأنهم غلاة، إلى تعطيل الفرائض، والأحكام الشرعية، والجهاد، والحدود، وصلاة الجماعة، والجمعة، بدعوى أن القيام بها رهين بخروج المهدي.

وأما الموقف الإيجابي، فهو الذي يُشْرَب قلبُ صاحبهِ بالعقيدة المهدوية، فيُسَلِّم بها نظريا، ويعتبرها من موجبات – أو مُكَمِّلات ـ الإيمان، لكنه لا يقف مكتوف الأيدي، أمام الواقع المنحرف، الذي يتقلب فيه، بل يعتبر نفسه ممهدا لطريق المهدي، ومعبدا له طريق الوظيفة الإلهية، التي سيضطلع بها في آخر الزمان.

ويمكن أن نستشف هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.[٤٢]

فقد ذكر المفسرون، أن معنى «يمهدون»: "يوطئون لأنفسهم، في الآخرة، فراشا، ومسكنا، وقرارا، بالعمل الصالح"[٤٣]. وذكروا أن مجاهد فسرها بـ "التمهيد للقبر"[٤٤].

فما المانع من اعتبار التمهيد في الآية الكريمة يشمل أيضا التمهيد بالعمل الصالح، استعدادا لمواجهة الفتن السابقة للساعة، والمواكِبة لها، وللجهاد في صف الإمام المهدي، الذي قد يظهر في أي وقت من الأوقات؟!

بل يمكن لهذا الموقف أن يتطور إلى مستوى أسمى وأرقى، عندما يعتبر صاحبه نفسه ممثلا للمهدي، ونائبا عنه، عن طريق القيام بكل الوظائف، التي سيقوم بها، بحسب ما هو منصوص في الروايات والأخبار.

وهذا الانتظار الإيجابي، هو المقصود من الخبر، الذي رواه ابن بابويه القمي، بسنده، "عن أبي عبد الله، قال: «من مات منكم على هذا الأمر، منتظرا له، كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام»"[٤٥]

كما توجد أخبار، تُشَبِّه المنتظِر للمهدي، بالمجاهد في سبيل الله، كالخبر، الذي رواه ابن بابويه القمي أيضا، بسنده، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**المنتظر لأمرنا، كالمتشحِّط بدمه، في سبيل اللّه.**»[٤٦]

مما يوحي بأن المنتظِر، الذي يستحق الثواب، المذكور في الخبر، هو من يمهد للمهدي طريق الظهور بالجهاد. ولا جرم أن من مقاصد الجهاد، محاربة الظلم، ونصرة المظلوم، وتطهير البلاد والعباد، من بغي البغاة، وجور الظلمة، وهي أهم وظيفة تُنيطُها الأخبار بالمهدي المنتظر.

وجاء في بعض أخبار الإمامية: «**سمي القائم قائما، لأنه يقوم بعد موت ذكره.**»[٤٧]، مما يستلزم أن ظهوره رهين بظهور من يحيي ذكره، ويذكِّر بمناقبه، ويستلهم منه وظائفه ومواقفه.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار، أن المهدي المنتظر سيأتي بوصفه محيي الشريعة، ومجدد الدين، فإن المجددين الذين أتوا ـ ويأتون ـ قبله، مَهْدِيُّون بهذا الاعتبار. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن اللّه يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها.**»[٤٨]

وهذا يُفهم منه، أن التجديد ليس وظيفة خاصة بالمهدي، بل هي وظيفة كل عالم عامل، وولي مصلح. بل إن لفظ "مَنْ" يفيد أن التجديد، ليس رهينا بفرد واحد، بل قد يكون وظيفة يرفع لواءها جماعة من الناس، لأن اللفظ المذكور، يدل على الفرد الواحد، كما يدل على الجماعة من الناس. وليس في الحديث ما يدل على التخصيص، فوجب الأخذ بعمومه، فقد قرر علماء أصول الفقه، أن "العام على عمومه، ما لم يرد دليل يخصصه".

يمكن؛ إذن؛ أن نَسِمَ الموقف الإيجابي بموقف الأكياس، والموقف السلبي بموقف العجزة والمغترين، بناء على الحديث المرفوع: "الكَيِّس: من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت. والعاجز: من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني"[٤٩].

ولا جرم أن من استسلم لأجواء الفشل، ووقف عاجزا عن مواجهة الواقع الفاسد

المُرّ، منتظرا ظهور المهدي ـ أو خروجه ـ، متبع لهـوى نفسه، مكبَّـل بأكبـال الأمـاني والأحلام المَرَضية.

أحاديث ظهور المهدي

وحيث إن أحاديث المهدي كثيرة جدا، والخلاف حولها؛ سندا ومتنا؛ ولَّـدَ خلافـات عميقة بشأنها، فإنني سأصطفي منها نزرا يسيرا، من أجل تسليط الضوء علـى وظـائف المهدي، واستفادة الدرس العملي منها.

وقبل ذلك، نشير إلى أن ابن خلدون، ذكر أن "جماعة من الأئمة، خرَّجـوا أحاديـث المهدي. منهم: الترمذي، وأبو داود، والبزار، وابن ماجه، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلـى الموصلي. وأسندوها إلى جماعة من الصحابة، مثل: علـي، وابـن عبـاس، وابـن عمـر، وطلحة، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سـلمة، وثوبان، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وعبد الله بن الحارث بن جـزء، بأسـانيد..."[٥٠].

لكنه، بالرغم من ذلك، طعن في أحاديث المهدي، وصرَّح بأنه لم يسلم من الطعـن منـها، إلا أقل القليل[٥١].

وهذا لا يستقيم، حيث رواه كبار أئمة الحديث، وصرحوا بلقبه (المهـدي)، ولم يمـاروا في التسليم بها. يقول تقي الدين بن تيمية: "فأما المهدي، الذي بشر به الـنبي ﷺ، فقـد رواه أهل العلم، العالمون بأخبار النبي ﷺ، الحافظون لها، الباحثون عنها، وعن رواتهـا، مثل أبي داود، والترمذي، وغيرهما، ورواه الإمام أحمد في "مسنده""[٥٢].

وذكر القاضي عياض، أن خروج المهدي، مـن الأمـور، الـتي أَطْلَـعَ الله عليهـا نبيَّـه محمدا ﷺ، من الغيب، وما يكون[٥٣].

ومن هذه الأحاديث:

روى أبو داود، بسنده، عن علي، عن النبي ﷺ، قال: «لو لم يبق مـن الـدهر، إلا يـوم، لبعث اللّه رجلا من أهل بيتي، يملأها عدلا، كما ملئت جورا.»[٥٤]

وروى، بسنده، عن أبي إسحاق قال: قال علي عليه السلام؛ ونظر إلى ابنه الحسن؛ فقال:

> إن ابني هذا سيد، كما سماه رسول اللّه ﷺ، سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلْق ـ ثم ذكر قصةً ـ يملأ الأرض عدلا.[55]

وروى أيضا، في حديث وُصِف فيه المهدي، بأنه "يقسم المال، ويعمل في الناس، بسُنة نبيهم ﷺ، ويُلْقِي الإسلامَ بِجِرانِه في الأرض"[56].

وروى، بسنده، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ:

> المهدي مني: أجلى الجبهة، أقنى الأنف. يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما. ويملك سبع سنين[57].

وقال رسول الله ﷺ ـ من طريق زيد العمي ـ :

> إن في أمتي المهدي، يخرج ويعيش خمسا، أو سبعا، أو تسعا، ـ زيد الشاك ، قال: قلنا: وما ذاك؟، قال: سِنِيْن، قال: فيجيء إليه، فيقول: يا مهدي! اعطني! ، قال: فيحثو له في ثوبه ما استطاع أن يحمله لفظ الترمذي.

وقال: «هذا حديث حسن.»[58] ولفظ ابن ماجه والحاكم:

> يكون في أمتي المهدي، إن قصر، فسبع، وإلا فتسع. فتنعم أمتي فيه نعمة، لم يسمعوا بمثلها قط. تؤتي الأرض أكلها، ولا يدخر منه شيء. والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل، فيقول: يا مهدي! اعطني!، فيقول: خذ![59]

وروى مسلم، في صحيحه، من حديث جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة، يحثي المال حثيا، لا يعدُّه عددا.»[60]

وروى أيضا، من حديث أبي سعيد وجابر بن عبد الله، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال، ولا يعدُّه.»[61] وروى الحاكم، عن رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه اللّه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا،

وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا، أو ثمانيا.» يعني: حِجَجا.

وحديث الرايات، الذي خرَّجه ابن ماجه، في كتاب "السنن"، عن عبد الله بن مسعود، قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتية، من بني هاشم. فلما رآهم رسول الله ﷺ، ذرفت عيناه، وتغير لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه، فقال: إنا أهل البيت، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء، وتشريدا، وتطريدا، حتى يأتي قوم من قِبَلِ المشرق، معهم رايات سود، فيسألون الخَبَر، فلا يُعْطَوْنَه، فيقاتِلون، ويُنصَرون. فيُعطَون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطا، كما ملأها جورا. فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم، ولو حبوا على الثلج"[٦٢].

وخرَّج الطبراني، في معجمه الأوسط، عن علي رضي الله عنه، أنه قال للنبي ﷺ:

> أمِنَّا المهدي؟ أم من غيرنا؟ يا رسول اللّه!، فقال: بل منا! بنا يختم اللّه، كما بنا فتح، وبنا يستنقذون من الشرك، وبنا يؤلف اللّه قلوبهم، بعد عداوة بينة، كما بنا ألف بين قلوبهم، بعد عداوة الشرك، قال علي: أمؤمنون؟ أم كافرون؟، قال: مَفْتون وكافر.[٦٣]

وفي رواية الحاكم، في المستدرك: «...ثم يظهر الهاشمي، فيرد اللّه الناس إلى إلْفَتهم، ونعمتهم، وقاصيتهم، ورأيهم.»[٦٤]

وفي حديث علي، عندما سأله رجل عن المهدي، فقال له:

> هيهات، ثم عقد بيده سبعا، فقال: ذلك يخرج، في آخر الزمان، إذا قال الرجل: اللّه اللّه، قتل. ويجمع اللّه له قوما قزعا كقزع السحاب، يؤلف اللّه بين قلوبهم، فلا يستوحشون على أحد، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم، عدتهم على عدة أهل بدر، لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت، الذين جاوزوا معه النهر... .[٦٥]

وخرَّج البزار، في مسنده، والطبراني، في معجمه الأوسط؛ واللفظ للطبراني؛ عن أبي

هريرة، عن النبي ﷺ، قال:

> يكون في أمتي المهدي، إن قصر، فسبع، وإلا فثمان، وإلا فتسع. تنعم فيها أمتي نعمة، لم ينعموا بمثلها، ترسل السماء عليهم مدرارا، ولا تذخر الأرض شيئا من النبات، والمال كدوس، يقوم الرجل، يقول: يا مهدي! اعطني!، فيقول: خذا![٦٦]

وخرَّج أبو يعلى الموصلي، في مسنده، عن أبي هريرة، قال: حدثني خليلي أبوالقاسم ﷺ، قال:

> لا تقوم الساعة، حتى يخرج عليهم رجل، من أهل بيتي، فيضربهم، حتى يرجعوا إلى الحق، قال: قلت: وكم يملك؟، قال: خمسا واثنين، قال: قلت: وما خمسا واثنين؟، قال: لا أدري.[٦٧]

من مقاصد أحاديث ظهور المهدي

عند التأمل في هذه الأحاديث، ندرك أن وظيفة المسلم؛ سواء المهدي أم غيره؛ تحدَّد فيما يلي:

١. محاربة الظلم؛

٢. إرساء العدل؛

٣. تأليف القلوب؛

٤. رد الناس إلى إلفتهم؛ ونعمتهم، وقاصيتهم، ورأيهم؛

٥. ضرب من لا يرجع إلى الحق؛

٦. إحياء العمل بسنة النبي ﷺ.

كما وصفت الأحاديث عهد المهدي، بصفات، أهمها:

١. نزول الغيث؛

٢. ملء الأرض بالرزق؛

٣. الرخاء المالي؛

٤. عظمة الأمة.

وهذا لا معنى له، إلا أن تكون وظيفة المسلم المنتظِر للمهدي، انتظارا إيجابيا، أن يجاهد على الأرض، في سبيل رفع الظلم بكل أشكاله، وتحقيق الرخاء الاقتصادي، والتوسعة بالرزق على العباد، والتخطيط، من أجل تخليصهم من الضائقة الاقتصادية.

هذا، وإن الصفات الملازمة لعهد المهدي، ارتبطت في القرآن الكريم، بالاستغفار، فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[٦٨].

مما يعني، أن نجاح الجهاد ـ الشامل لكل الأصعدة ـ، الذي يقوم به المهدي ـ أو بالأحرى: الذي يقوم به، من يمهدون له سبيل الظهور ـ، وتتحقق به عظمة الأمة، رهين بربط الناس بخالقهم، ليتخلوا عن عاداتهم الفاسدة، ويقلعوا عن موجبات الذنوب والخطايا، وينزجروا عن غيهم وضلالهم.

فيكون الجهاد ذا مستويات متعددة، تهدف إلى تحقيق التوازن، بين مطالب الروح، ومطالب الجسد، وأيضا القضاء على التوجهات الإلحادية، التي قطعت الوصال بين السماء والأرض، ونسبت كل رخاء، أو ازدهار، أو تقدم، إلى العقل البشري، وتخطيطه الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي.

هذا، وإن بعض الأخبار، وصفت الفترة، التي سيظهر فيها المهدي، بأنها ستكون مقرونة بعلامات، منها الظلم السياسي، والكساد الاقتصادي، وفشو الخوف، وانعدام الأمن.

فقد روى ابن بابويه القمي، بسنده، "عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إن قدَّام القائم علامات، تكون من الله عز وجل للمؤمنين"، قلت: "وما هي؟ جعلني الله فداك!"، قال: "ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، يعني: المؤمنين، قبل خروج القائم عليه السلام ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٦٩]، قال: "يبلوهم ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾، من ملوك بني فلان، في آخر سلطانهم، ﴿وَالْجُوعِ﴾ بغلاء أسعارهم، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾، قال: "كساد التجارات، وقلة الفضل، ونقص من ﴿الْأَنْفُسِ﴾، قال: "موت ذريع"، ونقص من ﴿الثَّمَرَاتِ﴾، قال: "قلة ريع ما يزرع"، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ عند ذلك، بتعجيل خروج القائمﷺ". ثم قال لي: "يا محمد، هذا تأويله: إن الله تعالى يقول[٧٠]: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾"[٧١].

وهذا المعنى هو الذي قرره الإمام الخميني، في إحيائه لنظرية "ولاية الفقيه"، وتوسيعها بحيث تشمل كل مناحي الحياة، معتبرا الفقيه المجتهد نائبا عن الإمام المهدي، في كل شيء، وألف في ذلك كتابه "الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه"[٧٢].

***

إنه؛ عند النظر بعمق؛ في الوظائف المذكورة، نجدها ليست خاصة بالمهدي المنتظر، بل إنها مطلوبة، بنصوص الشرع، من كل المسلمين. فهل يشك أحد في أن المسلم واجب عليه عدم السكوت عن الظلم، وعدم الرضا بالباطل، إلخ؟!

بل إنها وظائف كل المبشَّر بهم، من الأنبياء والأولياء، بحيث يمكن أن يكون النبي محمدﷺ مهديا منتظرا بهذا الاعتبار، بالنسبة لمن كانوا يترقبون ظهوره. ومما يشفع لذلك ويزكيه، أن من أسمائهﷺ "المَهْدِي"[٧٣]، وجاء في صلوات "دلائل الخيرات": "وأن تصلي عليه وعلى آله، منذ كان في المهد صبيا، إلى أن صار كهلا مرضيا"[٧٤].

وتفيدنا مصادر الحديث، لدى الشيعة الإمامية، أن الأنبياءعليهم السلام، كان السابق منهم يسمي اللاحق بـ "القائم".

يقول ابن بابويه القمي:

> فأول الغيبات غيبة إدريس النبيعليه السلام المشهورة، حتى آل الأمر بشيعته إلى أن تعذر عليهم القوت، وقتل الجبارُ مَنْ قتل منهم، وأفقر، وأخاف باقيتهم. ثم ظهرﷺ، فوعد شيعته بالفرج، وبقيام القائم من ولده، وهو نوحعليه السلام. ثم رفع اللّه عز وجل

إدريس عليه السلام. فلم تزل الشيعة يتوقعون[٧٥] قيام نوح عليه السلام، قرنا بعد قرن، وخلفا عن سلف، صابرين من الطواغيت[٧٦]، على العذاب المهين، حتى ظهرت نبوة نوح عليه السلام.[٧٧]

ومما رواه في ذلك أيضا، بسنده، "عن علي بن سالم، عن أبيه، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام:

لما حضرت نوحا عليه السلام الوفاة، دعا الشيعة، فقال لهم: اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة، تظهر فيها الطواغيت، وأن اللّه عز وجل يفرج عنكم بالقائم من ولدي، اسمه هود، له سَمْت، وسكينة، ووقار، يشبهني في خَلْقي وخُلُقي، وسيهلك اللّه أعداءكم، عند ظهوره، بالريح. فلم يزالوا يترقبون هودا عليه السلام، وينتظرون ظهوره، حتى طال عليهم الأمد، وقست قلوب أكثرهم. فأظهر اللّه ـ تعالى ذكرُه ـ نبيَّه هودا عليه السلام، عند اليأس منهم، وتناهى البلاء بهم، وأهلك الأعداء بالريح العقيم، التي وصفها اللّه ـ تعالى ذكره ـ، فقال[٧٨]: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾. ثم ظهرت الغيبة به، بعد ذلك، إلى أن ظهر صالح عليه السلام.[٧٩]

وروى أيضا، بسنده، عن جعفر الصادق، أنه قال: «... **وإنما مثل القائم عليه السلام مثل صالح.**»[٨٠]

وبهذا الاعتبار، فإن نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد المهديين. وقد نستفيد هذا المعنى من الصلاة، التي ذكرها الجزولي، في "دلائل الخيرات"، وهي: «**فاجعل سيدنا محمدا في الأصدقين قيلا، والأحسنين عملا، وفي المهديين سبيلا.**»[٨١]

ولعل هذا التأويل يسهم في درء التعارض الظاهر، بين الأحاديث المميِّزة، بين شخص المهدي وشخص المسيح من جهة، والحديث الذي يعتبرهما شخصا واحدا من جهة أخرى، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا مهدي، إلا المسيح ابن مريم.**»[٨٢]

وعليه، فإن كل من قام بالوظيفة المُوكَلة بالمهدي المنتظر، فهو مهدي. وقد يدل على هذا المعنى قوله تعالى[٨٣]: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وقوله تعالى[٨٤]: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، وقوله تعالى[٨٥]: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم، اهتديتم"[٨٦].

علة ادعاء بعض المصلحين للمهدوية

من هذا المنطلق، فإن ادعاء الكثير من المصلحين للمهدوية، لم يكن من قبيل الادعاء الكاذب، وإنما كان تمثلا لشخصية المهدي، من خلال الاضطلاع العملي بوظائفه، وتحويلها إلى مشاريع عمل سياسية، واجتماعية، ودينية. بل تحوَّل هذا الادعاء، في الكثير من الأحيان، إلى مصدر لإنجاح الثورات على الأنظمة الاستبدادية، ولتغيير الواقع الفاسد إلى واقع سليم.

وقد نمثل لذلك بأحد أكبر المصلحين، الذين ادعوا المهدوية، وهو محمد بن تومرت، الذي أتى على الدولة المرابطية، بعد انحطاطها وتخلفها، وأقام على أنقاضها الدولة الموحدية.

يقول عبد الواحد المراكشي، لدى كلامه على محمد بن تومرت: "وقيل: إنه لقي أباحامد الغزالي بالشام، أيام تزهده، فالله أعلم. وحكي أنه ذكر للغزالي ما فعل أمير المسلمين[٨٧] بكتبه، التي وصلت إلى المغرب، من إحراقها وإفسادها، وابن تومرت حاضر ذلك المجلس، فقال الغزالي، حين بلغه ذلك: "ليذهبن عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما أحسب المتولي لذلك، إلا حاضرا مجلسنا"، وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم، فقوي طمعه"[٨٨].

ونجد لهذه الحكاية مصداقا فيما قاله أبو حامد الغزالي، في كتابه "سر العالمين وكشف ما في الدارين": "فأول من استحسنه[٨٩]، وقرأه علي، في النوبة الثانية، بعد رجوعي من السفر، رجل من أرض المغرب، يقال له: "محمد بن تومرت"، من أهل سلمية. وتوسمت منه الملك"[٩٠].

ولا جرم أن الإمام الغزالي، عندما توسم منه الملك، فإنه قصد بذلك المُلْك العادل، الذي يهدف إلى إقامة الخلافة على منهاج النبوة. والحاكم، وفق هذا المنهاج، يشترط فيه شروط، يمكن أن نجملها في القدرة على الوظائف التي سيقوم بها المهدي آخر الزمان.

لقد توسم الإمام الغزالي في محمد بن تومرت الرجل المجسد للمهدوية في بُعْدَيْها اللغوي والوظيفي.

يمكن أن نستنتج ذلك، من خلال العنوان التوحيدي، الذي بنى عليه ابن تومرت مشروع دولته، مما يحيلنا إلى المقصد الأساس، الذي يجيء من أجله المهدي، وهو أن يعيد للتوحيد صفاءه، ويقضي على مظاهر الشرك.

لكن، هل ادعى محمد بن تومرت المهدوية حقا؟

ممن نسب إليه ذلك، عبد الواحد المراكشي، فقد قال، في كتابه "المعجب": "وأمر رجالا منهم، مَن استصلح عقولهم بنصب الدعوة، واستمالة رؤوس القبائل، وجعل يذكر المهدي، ويشوق إليه، وجمع الأحاديث، التي جاءت فيه، من المصنفات. ولما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي، ونسبه، ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: "أنا محمد بن عبد الله"، ورفع نسبه إلى النبيﷺ، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم، أنه المهدي. وبسط يده، فبايعوه على ذلك، وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول اللهﷺ"[٩١].

بيد أن هذه الدعوى فيها نظر، حيث لا يخلو هذا الخبر من تناقضات، منها:

ـ لا جرم أن أحاديث المهدي، التي كان يشوق بها محمدُ بنُ تومرت أصحابَه، فيها أن المهدي المنتظر اسمه محمد بن عبد الله[٩٢]، وكنية الرجل "ابن تومرت"، لا "ابن عبد الله"؛

ـ تفيد الأخبار الإمامية، أن المهدي المنتظر، سيكون حسيني النسب[٩٣]، والحال أن ابن تومرت حسني النسب، كما صرح بذلك هو نفسه: "ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وُجِدت بخطه"[٩٤]. وهذا يتناقض مع ما نسبه إليه، من أنه "كان يبطن شيئا من التشيع"[٩٥]؛

ـ أخبار المهدي، تفيد أنه سيصلي بعيسى[٩٦]. ومحمد بن تومرت لم يدَّع ذلك، بل كان يقول لأتباعه: "وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال، ومنكم الأمير، الذي يصلي بعيسى بن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة"[٩٧]. فلو كان الأمر

كما زعم عبد الواحد المراكشي، لادعى لنفسه، أنه هو الذي سيصلي بعيسى؛

ـ نسب محمد بن تومرت إلى أتباعه قتل الدجال في المستقبل، ولم ينسب ذلك لنفسه، ولم يدع أنه سيقتله في زمنه. ومعلوم أن الأخبار تقرر أن المهدي هو الذي سيتولى قتل الدجال، بتعاون مع عيسى بن مريم؛

ـ يقول محمد بن تومرت، في رسالته الموسومة بـ "الرسالة المنظمة"، لدى كلامه على فساد وضلال المرابطين: "فلولا أن رسول الله ﷺ، عيَّن الدجال بصفته، لقلنا: "إن هذا هو الدجال، وهؤلاء أتباعه""[٩٨].

وهدا دليل على أنه كان يعتقد أن الدجال لم يظهر بعدُ، والحال أن الأخبار تفيد أن ظهور الدجال سابق لظهور المهدي. كما أن ابن تومرت اعتبر أفضل جهاد يقوم به هو محاربة الدولة المرابطية[٩٩]، ولم يدع محاربة الدجال، ولا حاربها بوصفها هي الدجال، بعينه أو صفته.

ـ كان عبد الواحد المراكشي أديبا، قبل أن يكون مؤرخا. ولهذا، تضمن كتابه التاريخي "المعجب" أخطاء وأوهاما. ولا نستبعد أن يكون ما ادعاه في حق محمد بن تومرت من جملة أوهامه وأخطائه.

بيد أننا عندما نقرأ أخلاق محمد بن تومرت، ودعوته الإصلاحية، وثورته على الظلم والفساد، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، نستشف؛ من خلالها؛ أنه كان يقدم نفسه نائبا عن الإمام المهدي، وممهدا له طريق الظهور، لا أنه ادعى المهدوية.

ويلحق بهذا أيضا، إبطال دعوى أنه ادعى العصمة.

ولو سلمنا أنه صرح بأنه المهدي المنتظر، فليس هناك أي مانع من أن ندعي أنه من قبيل إطلاق المسبَّب وإرادة السبب، أعني إرادة أنه، بتمثُّله لوظائف المهدي المنتظر، سيكون سببا في التعجيل بظهوره. ولا مانع أيضا من أن ندعي أنه من قبيل التَّسَمّي باسم المبشَّر به، واستعارة المنتظِر (بكسر الظاء) لاسم المنتظَر (بفتح الظاء). وهذا جائز في المجال التداولي العربي، ومستفيض في كلام العرب. ومنه، أن أول من جاء بدين الإسلام،

هو محمدﷺ، لكن هذا لم يمنع من تسمية الأنبياء وأتباعهم من الموحدين قبله بالمسلمين، حيث تلقبوا بلقب النبي الذي كانوا يبشرون به.

أما ما نقلناه من "المعجب"، بأنه كان يبشر أتباعه، بان الله سيفتح لهم ملك فارس والروم، وأن الأمر لا يزال فيهم إلى قيام الساعة، فهو لا يزيد عن كونه تذكيرا بالبشرى النبوية لأهل المغرب، حيث قال النبيﷺ: "لا يزال أهل الغرب، ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة"[100]. وقد ذكر عبد الواحد المراكشي، أنه كان يذكِّر أتباعه بهذا الحديث النبوي[101].

لكن، قد يقال بأن ابن تومرت صرح تصريحا بادعاء المهدوية، حيث أمر أعداءه من المرابطين، بأن لا يكف عن قتالهم، إلا بعد إقرارهم بالمهدي المعصوم، فقد قال عبد الواحد المراكشي: "ولما كانت سنة ٥١٧، جهز جيشا عظيما من المصامدة، جلهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل سوس، وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين، المبدلين، الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم. فإن أجابوكم، فهم إخوانكم، لكم ما لهم، وعليهم ما عليكم. وإن لم يفعلوا، فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنة قتالهم"[102].

والتأمل في هذا الخبر، يجعلنا نلاحظ، أنه أمرهم بالإقرار بالمهدي المعصوم، على جهة الإطلاق، لا على جهة التقييد والتعيين، فلم يقل لهم: "الإقرار بأن محمد بن تومرت هو المهدي المعصوم"، ولا قال لهم: "الإقرار بأنني أنا هو المهدي المعصوم". مما يُفهَم منه، أنه حَوَّل العقيدة المهدوية إلى فكرة سياسية، ينظم بها جيشه، ويفعِّل بها وظائف المهدي. وسبيل الأمر بالإقرار بالإمام المهدي المعصوم كسبيل الأمر بالإقرار بشريعة النبي محمدﷺ. فلو قال قائل: "أنا أدعوكم للإقرار بنبوة محمد"، فهل يعني هذا، أنه يدعي النبوة؟!

أما العبارة الواردة في آخر كتاب محمد بن تومرت "أعز ما يطلب"، وهي: "كمل جميع تعاليق الإمام المعصوم المهدي المعلومؓ"[103]، فهو من قول النُّسَّاخ، لا من قوله.

وقد استنتجنا، قبل حين، أن من قام بالوظائف الموكلة بالمهدي المنتظر، يسمى مهـديا بهذا الاعتبار، على جهة التجاوز والاتساع في اللغة.

* * *

ويمكن أن نمثل لذلك أيضا، بمحمد أحمد بن السيد عبد الله، الذي ادعـى المهدويـة في السودان[١٠٤]، فتجمع حوله ناس كُثْر، وألهب عواطفهم، وشحذ هممهم، ضـد الاسـتعمار، إلى أن طردوه من بلادهم[١٠٥]، حيث يمكن أن نقرر، بأن ادعاءه المهدوية، لم يكن ادعـاء للشخص المبشَّر به بعينه وخطمه، وإنما ادعاؤه لها بمعنى القيـام بوظـائف المهـدي، هـذه الوظائف التي مثلها خير تمثيل، فجاهد بها المستعمِر خير جهاد؟!

الهوامش

١. قال السخاوي: "أورده مالك، في "الموطإ"، بلاغا، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال ابن عبد البر: "هو متصل من وجوه صحاح، عن أبي هريرة"" (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٣، ١٤١٧ / ١٩٩٦، ص. ١٣١ ـ ١٣٢).

٢. من الخلافات الواقعة بين المسلمين في ذلك، أن أهل السنة والجماعة يذهبون إلى أن المهدي، لم يظهر بعد، وسيظهر في آخر الزمان، بالأوصاف المذكورة في أحاديثهم. كما أنهم لا يشترطون فيه العصمة، ولا يوجبون التعبد بانتظاره. أما الشيعة الإمامية، فقد ظهر عندهم المهدي في شخص محمد بن الحسن العسكري، الذي غاب غيبتين صغرى وكبرى، وهو حي يرزق، لكنه خافٍ عن الأنظار، مستور عنهم، وسيظهر في آخر الزمان، حين يصير الوقت مناسبا لظهوره. ويعتقدون فيه العصمة، كسائر الأئمة الأحد عشر قبله. كما أن المهدوية عقيدة راسخة عندهم، وركن من أركان مذهبهم (انظر تفصيل ذلك في كتابنا "تذليل العقبات في طريق التقريب بين أهل السنة والشيعة الإمامية"، مطبعة أكدال المغرب، الرباط، ط. ١، ١٤١٨ / ١٩٩٨، ص. ٥٨ – ٦٢).

٣. حيث اتفقوا على أنه من آل البيت، من نسل فاطمة، لأحاديث عدة وردت في ذلك، منها قوله عليه الصلاة والسلام: "المهدي من هترتي، من ولد فاطمة" (رواه أبو داود، في "سننه"، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، حمص، ط. ١، ١٣٩٣ / ١٩٧٣، ج.٤، ص. ٤٧٤، حديث ٤٢٨٤. وعزاه السيوطي إلى أبي داود،، وابن ماجه، والحاكم في "المستدرك"، عن أم سلمة، ورمز إليه بالصحة: الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٥٥٢، حديث ٩٢٤١. وقولهﷺ: "المهدي رجل من ولدي: وجهه كالكوكب الذري" (رواه الروياني، عن حذيفة، ورمز إليه السيوطي بالصحة: الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٥٥٣، حديث ٩٢٤٥) . لكنهم اختلفوا في تعيين شخصه. فعينه الشيعة الإمامية في محمد بن الحسن العسكري، المولود سنة ٢٥٥ هـ ، والذي اختفى، ليظهر في آخر الزمان. بيد أن أهل السنة لم يعينوا شخصه. وجاء في أحاديث كثيرة عندهم، انه حسني النسب، قال تقي الدين بن تيمية: "فكذلك الخليفة الراشد المهدي، الذي هو آخر الخلفاء، يكون من ذرية الحسن" (حقوق آل البيت، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٧، ص. ٥٣).

٤. حيث ذهب الجمهور من المسلمين إلى أن المهدي هو غير المسيح، وذهب البعض إلى أنهما شخص واحد، بناء على حديث: "لا مهدي، إلا المسيح بن مريم" (رواه ابن ماجه والحاكم). وممن نُسِب إليهم هذا القول، من التابعين: مجاهد، والحسن البصري، وممن قال به، من المُحْدَثين: محمد رشيد رضا.

٥. اتخذ بعض أعداء التقريب بين المسلمين عقيدة إخواننا الشيعة الإمامية غَرَضاً لتوجيه سهام التكفير والتضليل،

واتخذها ذريعة لتبزهم بمخالفة أهل السنة في الأصول والفروع، وهو المدعو محمد كامل الهاشمي، في كتاب طائفي متعصب وَسَمَه بعنوان "عقائد الشيعة في الميزان" (د. ت.، ص١٢٢ ـ ١٢٨). وممن تولى كِبْرَ ذلك أيضا إحسان إلهي ظهير، في جل كتبه (انظر مثلا كتابه "الشيعة وأهل البيت"، إدارة ترجمان القرآن، لاهور، د. ت.، ص٢٤٤ ـ ٢٤٦، ٢٩٤ ـ ٢٩٦).

٦. مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، د. ت.، ص٣٢٢.

٧. مقدمة ابن خلدون، ص٣١١.

٨. ورد في الدعاء النبوي: "اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع". وهو جزء من حديث نبوي، رواه أحمد في "المسند"، وعبد بن حميد، ومسلم، والنسائي، عن زيد بن أرقم، ورمز إليه السيوطي بالصحة (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٠ / ١٩٩٠، ج١، ص٩٧، حديث ١٥٥٨).

٩. كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٥، ج٢، ص٦٤٨.

١٠. الضمير يعود إلى إيليا وأَلِيشَع عليهما الصلاة و السلام.

١١. كتاب الملوك الثاني، الإصحاح الثاني، العدد ١١.

١٢. هو المعروف عند المسلمين باسم "إلياس" عليه الصلاة والسلام.

١٣. كتاب ملاخي، الإصحاح الرابع، العددان ٥ ـ ٦.

١٤. يعرف عند المسلمين بالنبي يحيي عليه الصلاة والسلام.

١٥. إنجيل متى، الإصحاح ١١، الأعداد ٧ ـ ١٥.

١٦. إنجيل متى، الإصحاح ٣، العدد ٤.

١٧. سفر متى، الإصحاح ٨، العددان ١٩ ـ ٢٠.

١٨. إنجيل متى، الإصحاح ٣، العدد ١١.

١٩. سفر متى، الإصحاح ٣، الأعداد ١٣ ـ ١٦.

٢٠. كتاب إشعياء، الإصحاح ٤٠، الأعداد ٣ ـ ٥.

٢١. إنجيل متى، الإصحاح ٣، الأعداد ١ ـ ٣.

٢٢. كلمة "المعين"، وأيضا "المعزّي"، من الكلمات العربية، التي عوَّضت بها الترجمات العربية الحديثة كلمة "الفارقليط".

٢٣. إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، الأعداد ١٥ ـ ١٧.

٢٤. إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥، العددان ٢٦ ـ ٢٧.

٢٥. سورة الحج، الآية ٧٨.

٢٦. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٣٥.

٢٧. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٣٦.

٢٨. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٥٩.

٢٩. سنن أبي داود، ج٤، ص٤٧٧، حديث ٤٢١٩.

٣٠. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢١.

٣١. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢٢.

٣٢. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢٧.

٣٣. أي: من قريش.

٣٤. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨.

٣٥. صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤، ج٢، ص٤٦٦، حديث ٣٥١٧.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٠ / ٢٠٠٠، ج٧، ص٤١١٧، باب ذكر قَحْطان.

٣٧. هذا الخبر، والذي قبله، يعتبران دليلا على فساد رأي ابن تيمية، بزعمه أن المهدي هو آخر الخلفاء (حقوق آل البيت، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٧، ص٥٣).

٣٨. كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٣٥٨.

٣٩. فتح الباري، ج٧، ص٤١١٧، باب ذكر قَحْطان.

٤٠. سورة البقرة، الآية ٢٥١.

٤١. سورة الرعد، الآية ١١.

٤٢. سورة الروم، الآية ٤٤.

٤٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ضبطه وعلق عليه محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢، ج١٤، ص٣٦٦. وانظر أيضا "الكشاف عن حقائق التنزيل" للزمخشري، دار الفكر، ط. ١، ١٣٩٧/ ١٩٧٧، ج٣، ص٢٢٥، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وآخَرِين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٢/ ٢٠٠١، ج٧، ص١٧٢.

٤٤. تفسير البحر المحيط، ج٧، ص١٧٢. الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٣٦٦.

٤٥. كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٤٤.

٤٦. كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٤٥.

٤٧. معاني الأخبار لابن بابويه القمي، تصحيح علي أكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ / ١٩٧٩، ص٦٥.

٤٨. رواه أبو داود، في "سننه"، عن أبي هريرة (ج. ٤، ص٤٨٠، حديث ٤٢٩١). وعزاه السيوطي إلى أبي داود،

والحاكم في "المستدرك"، والبيهقي في "المعرفة"، عن أبي هريرة، ورمز إليه بالصحة (الجامع الصغير، ج١، ص١١٥، حديث ١٨٤٥).

٤٩. رواه أحمد في "المسند"، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في "المستدرك"، عن شداد بن أوس، ورمز إليه السيوطي بالصحة (الجامع الصغير، ج٢، ص٤٠٢، حديث ٦٤٦٦٨).

٥٠. مقدمة ابن خلدون، ص٣١١.

٥١. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢٢.

٥٢. حقوق آل البيت، ص٥١.

٥٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد أمين قره علي، وآخَرين، دار الفيحاء، عَمَّان، ط. ٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٦، ج١، ص٦٥٥.

٥٤. سنن أبي داود، ج٤، ص٤٧٣ ـ ٤٧٤، حديث ٤٢٨٣. وعزاه السيوطي إلى أحمد في "المسند"، وأبي داود، عن علي، ورمز إليه بالحسن (الجامع الصغير، ج٢، ص٤٥٩، حديث ٧٤٨٩).

٥٥. سنن أبي داود، ج٤، ص٤٧٧، حديث ٤٢٩٠.

٥٦ سنن أبي داود، ج٤، ص٤٧٥ ـ ٤٧٦، حديث ٤٢٨٦.

٥٧. رواه أبوداود (ج٤، ص٤٧٤ ـ ٤٧٥، حديث ٤٢٨٥). وعزاه السيوطي إلى أبي داوود، والحاكم في "المستدرك"، عن أبي سعيد، ورمز إليه بالصحة (الجامع الصغير، ج٢، ص٥٥٢ ـ ٥٥٣، حديث ٩٢٤٤).

٥٨. مقدمة ابن خلدون، ص٣١٥.

٥٩. مقدمة ابن خلدون، ص٣١٥.

٦٠. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب، الرياض، ط. ١، ١٤١٧ / ١٩٩٦، ج٤، ص٢٢٣٤، حديث ٢٩١٣.

٦١. صحيح مسلم، ج٤، ص٢٢٣٥، حديث ٢٩١٣ / ٢٩١٤.

٦٢. مقدمة ابن خلدون، ص٣١٧.

٦٣. مقدمة ابن خلدون، ص٣١٨.

٦٤. مقدمة ابن خلدون، ص٣١٨.

٦٥. مقدمة ابن خلدون، ص٣١٩.

٦٦. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢١.

٦٧. مقدمة ابن خلدون، ص٣٢١.

٦٨. سورة نوح، الآيات ١٠ ـ ١٢.

٦٩. سورة البقرة، الآية ١٥٥.

٧٠. سورة آل عمران، الآية ٧.

٧١. كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٦٤٩ ـ ٦٥٠.

٧٢. بيد أن بعض الأعداء اللُّدّ لمشروع التقريب بين المسلمين، زعموا أن الخميني؛ بهذا الاجتهاد؛ قد ادعى لنفسه المهدوية بشكل ذكي، يقول أحدهم مفتريا: " وهو؛ بهذا الرأي؛ يخلق من الأسطورة واقعا، يتمثل في الفقيه المجتهد. وعمله هذا، في واقع الأمر، ادعاء للمهدية، بشكل ذكي، وبطريقة محنكة. فهو قد وضع نفسه موضع الإمام، الذي تخلع عليه كتب الشيعة، ومدوناتها، صفات أسطورية، تذكرك بمعبودات اليونان الوثنية، وليس هناك فرق بين الخميني ومراجع الشيعة وآياتها، فإن كل آية من آياتهم له الحق في النيابة عن الإمام المهدي" (الخميني بين التطرف والاعتدال للمدعو عبد الله محمد الغريب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص٤٥).

٧٣. دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار لأبي عبد الله محمد ابن سليمان الجزولي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص٦١. مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي القصري، المطبعة الشرفية المصرية، القاهرة، ١٢٩٨، ص١٠٠. وقال ابن الفارض في ذلك:

أ جبريل قل لي كان دحية إذ بدا لِمَهْدِيّ الهدى في صورة بشرية؟!

(نقلا من "مطالع المسرات"، ص١٠٠). وقال ابن النحوي، في "القصيدة المنفرجة":

صلوات الله على المَهْدِيّ الهادي الخلق إلى النَّهَجِ

(القصيدة المنفرجة، منشورة ضمن ذيول "دلائل الخيرات"، ص٢٠٧).

٧٤. دلائل الخيرات، ص١٧١.

٧٥. في المطبوع: تتوقعون.

٧٦. خصيصة انتظار القائم (نوح)، مع التحلي بالصبر من الطواغيت، يعني أن انتظارهم، كان انتظارا إيجابيا جهاديا، لا انتظارا سلبيا استسلاميا.

٧٧. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٢٧.

٧٨. سورة الذاريات، الآية ٤٢.

٧٩. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٣٥ ـ ١٣٦.

٨٠. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص١٣٧.

٨١. دلائل الخيرات، ص١٢٥. وقد فسر محمد المهدي الفاسي عبارة: "المهديين سبيلا" بقوله: "والمراد: هداية صاحبها، أو سالكها" (مطالع المسرات، ص٣٩٩). ولا جرم أنه تفسير ضيق، لأنه ﷺ كان هداية لنفسه ولغيره، فيكون مهديا بكل الاعتبارات. ولذا، ذكر الجزولي من أسمائه المائتين وواحد اسمَي: "الهادي" و"المُهْدِي" (دلائل الخيرات، ص٦٣).

٨٢. رواه ابن ماجه والحاكم. وانظر تعليقنا على هذا الحديث، وما ورد فيه من ضعف واضطراب، في "تذليل العقبات في طريق التقريب بين أهل السنة والشيعة الإمامية" (ص. ٦١).

٨٣. سورة السجدة، الآية ٢٤.

٨٤. سورة الأنعام، الآية ٩٠.

٨٥. سورة يونس، الآية ٣٥.

٨٦. قال إسماعيل العجلوني: "رواه البيهقي، وأسنده الديلمي، عن ابن عباس، بلفظ: "أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، بأيهم اقتديتم، اهتديتم"" (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١، ج١، ص١٣٢).

٨٧. يقصد: السلطان علي بن يوسف المرابطي.

٨٨. المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، مطبعة الثقافة، سلا (المغرب)، ١٣٥٧ / ١٩٣٨، ص١٠٧.

٨٩. الضمير يعود إلى كتاب "سر العالمين وكشف ما في الدارين".

٩٠. سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي، المجموعة السادسة من رسائل الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٠٩ / ١٩٨٨، ص٣.

٩١. المعجب، ص١١٢.

٩٢. روى أبو داود، بسنده، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيﷺ: "لو لم يبق من الدنيا، إلا يوم [...] لطول ذلك اليوم [...] حتى يُبْعَث فيه رجل مني ـ أو من أهل بيتي ـ ، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي [...] يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا" (سنن أبي داود، ج٤، ص٤٧٢ ـ ٤٧٣، حديث ٤٢٨٢. وانظر أيضا "الجامع الصغير"، ج٢، ص٤٥٩، حديث ٧٤٩٠). وجاء في حديث سفيان الثوري: "لا تذهب ـ أو لا تنقضي ـ الدنيا، حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي" (سنن أبي داود، ج٤، ص٤٧٣، حديث ٤٢٨٢).

٩٣. من ذلك، الخبر الذي رواه ابن بابويه القمي، بسنده، عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق: "... قال المفضل: فقلت: "يا ابن رسول الله، فأخبرني أن قول الله عز وجل: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾" [سورة الزخرف، الآية ٢٧]، قال: "يعني بذلك الإمامة، جعلها الله تعالى في عقب الحسين، إلى يوم القيامة"، قال: فقلت له: "يا ابن رسول الله، فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين، دون ولد الحسنعليهما السلام، وهما جميعا ولدا رسول اللهﷺ، وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنة؟"، فقالعليه السلام: إن موسى وهارون، كانا نبيين ورسولين وأخوين، فجعل الله عز وجل النبوة في صلب هارون، دون صلب موسىعليه السلام، ولم يكن لأحد أن يقول: "لِمَ فعل الله ذلك؟"، وإن الإمامة خلافة الله عز وجل في أرضه، وليس لأحد أن يقول: "لِمَ جعل الله في صلب الحسين، دون صلب الحسنعليه السلام، إن الله تبارك وتعالى هو الحكيم في أفعاله: ﴿لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٢٣]"" (كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٣٥٩).

٩٤. المعجب، ص٢٠٧.

٩٥. المعجب، ص١١٢. لكن توجد أخبار سنية تفيد أن المهدي حسني النسب، منها الخبر الذي ذكرناه آنفاً عن أبي إسحاق النسفي قال: قال علي؛ ونظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيد، كما سماه رسول الله ﷺ، سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، ولا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض عدلاً، وعلق تقي الدين بن تيمية على هذا الحديث بقوله: "وقول أمير المؤمنين صريح في أنه حسني، لا حسيني" (حقوق آل البيت، ص٥٣).

٩٦. نزول عيسى بن مريم آخر الزمان لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٠٥ / ١٩٨٥، ص٥٦ ـ ٥٨، فصل "ثبوت صلاة عيسى خلف المهدي".

٩٧. المعجب، ص١١٢ ـ ١١٣.

٩٨. رسائل موحدية، تحقيق ودراسة أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق ـ رقم ٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. ١، ١٤١٦ / ١٩٩٥، ص٤٨.

٩٩. يقول محمد بن تومرت آمرا أتباعه بجهاد المرابطين (الملثَّمين): "واعلموا؛ وفقكم الله؛ أن جهادهم فرض على الأعيان، على كل من فيه طاقة على القتال. واجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين، فجهادهم أعظم من جهاد الروم، وسائر الكفرة، بأضعاف كثيرة" (كتاب أخبار المهدي لأبي بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، تحقيق لافي بروفنسال، المكتبة الاستشراقية، باريز، ١٩٢٨، ص٩).

١٠٠. رواه مسلم، بسنده، عن سعد بن أبي وقاص، مرفوعا (صحيح مسلم، ج٣، ص١٥٢٥، حديث ١٩٢٥. وبهذا اللفظ أيضا ذكره محمد بن تومرت، في كتابه "أعز ما يطلب" (د. ت.، ص٣٦٩، باب فيأن الطائفة التي تقاتل على الحق في آخر الزمان في المغرب). بيد أن عبد الواحد المراكشي ذكره بهذا اللفظ: "لا تزال طائفة بالمغرب، ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله" (المعجب، ص١١٢). ويفيدنا القاضي عياض، لدى تعليقه على حديث مسلم، أن لفظ "المغرب"، قد ورد أيضا، في لبحديث، بمعناه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج١، ص٦٥٥).

١٠١. المعجب، ص١١٢.

١٠٢. المعجب، ص١١٥.

١٠٣. كتاب أعز ما يطلب، ص٤٠١.

١٠٤. تاريخ السودان الحديث لضرار صالح ضرار، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط. ٤، ١٩٦٨، ص١٠٩ ـ ١١٧.

١٠٥. تاريخ السودان الحديث، ص١٥٣ ـ ١٧٤.